نموذج ترخيص

أنا الطالب : سعود خليد سعود العجمي أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

معوقات الإملاء وطرق علاجها من منظور قرآني

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: سعود خليد العجمي

التوقيع:

التاريخ: ٨/١/٢٠١٤

معوقات الإصلاح وطرق علاجها من منظور قرآني

إعداد

سعود فهيد سعود العجمي

المشرف

الدكتور أحمد نوفل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

ربيع الأول/ كانون الثاني

نوقشت هذه الرسالة (معوقات الإصلاح وطرق علاجها من منظور قرآني) وأجيزت بتاريخ ٤/١٢/ ٢٠١٢م.

أعضاء لجنة المناقشـــــة	**التوقيع**
الدكتور/ أحمد إسماعيل نوفل، مشرفاً أستاذ مشارك- التفسير	....
الدكتور/ سليمان محمد الدقور، عضواً أستاذ مشارك- التفسير	....
الدكتور/ محمد مجلي ربابعة، عضواً أستاذ مساعد- التفسير	....
الدكتور/ جمال محمود أبوحسان، عضواً أستاذ مشارك-التفسير (جامعة العلوم الإسلامية)	....

الإهداء

- إلى كل موحد ومتمسك بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.
- إلى أساتذتي ومشايخي الذين أفدت من علومهم وتوجيهاتهم.
- إلى من أمرني ربي ببرهما، والإحسان إليهما، إلى والدي الكريمين، الذين كانا سبباً في وجودي ووصولي إلى ما أنا عليه، فاللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيراً.
- إلى زوجتي الغالية، التي سهرت وتعبت من أجلي، وساهمت في تهئية أجواء كتابتي ودراستي، فبارك الله فيها.
- إلى أبنائي الكرام، الذين أرجو من الله أن يمن عليّ بصلاحهم، وأن يكونوا قرة عين لوالديهما، وللأمة أجمع.
- إلى إخوتي وعضدي، لا حرمني الله منهم.
- إلى أحبتي وصحبي الكرام، الذين لم يبخلوا عن الدعاء لي، وأخص الذين أسهموا في مساعدتي بكل ما أمكنهم على إعداد هذه الرسالة، وعلى رأسهم أخي/ خالد فاروس العازمي.
- إلى كل من أسهم في إعداد هذه الرسالة.

شكر وتقدير

أشكر الله أولاً أن وفقني إلى إعداد هذه الرسالة، وشرح صدري ويسر أمري، فالحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، واسأله أن يعيننا على أداء شكره ونعمه وفضله علينا.

وأشكر مشرفي الدكتور أحمد نوفل -حفظه الله- على ما بذله لي من جهد ووقت، والذي أولاني رعايته واهتمامه ونصائحه وتوجهياته القيمة، وأشكر الأساتذة لجنة المناقشين على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، والذين أولوني وقتهم في الإطلاع على ما فيها، وتقويم ما فيها من أخطاء، كلاً من أستاذي ومعلمي الدكتور سليمان الدقور -وفقه الله- الذي استفدت منه كثيراً في مرحلتي الجامعة، وخصوصاً في كيفية إعداد الرسائل الجامعية، وأشكر الدكتور محمد مجلي ربابعة -حفظه الله-، وأشكر الأستاذ الدكتور جمال أبوحسان -حفظه الله- على توجيهاته القيمة.

وأشكر كل من ساهم في إعداد هذه الرسالة، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

فهرس الموضوعات

معوقات الإصلاح وطرق علاجها من منظور قرآني

إعداد

سعود فهيد سعود العجمي

المشرف

الدكتور أحمد نوفل

الملخص

القرآن الكريم يحوي جميع الجوانب الإصلاحية التي تحتاجها الأمة، وهذا دلالة على صلاحيته لكل زمان ومكان، فقد بين حقيقة الإصلاح والمعوقات التي تقف أمام رجال الإصلاح، وقد جاءت هذه الدراسة من أجل استقراء هذا الإصلاح في القرآن الكريم، وتحليل هذه العملية، واستنتاج الطريقة التي استخدمها في علاج هذه المعوقات والمشاكل.

وهذه الدراسة تبرز مفهوم المعوقات التي تعد صارفاً عن إصلاح الأمور وفعل الخير، وتثبط حصوله وانتشاره، وإبراز مفهوم الإصلاح الذي يزيل الفساد، ويستبدله بالخير والنفع، ومحاولة تحقيق الاستقامة في سائر الأمور باعتدال، وأن هناك عناصر ترتكز عليها كل أمة إصلاحية، من عقيدة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإقامة العدل، وحسن الأخلاق، وأن الأمة الفاسدة تجتمع فيها ما يضاد هذه العناصر.

والقرآن الكريم بين معوقات الجانب العقدي، وكيف يتم علاجها، بطريقة منظمة وسليمة: من دعوة إلى التوحيد، واستخدام الوعظ والإرشاد، والمحاجة والمناظرة، بهدف الإصلاح، وقد بين الجانب السياسي الذي تقوم عليه الدولة، وأن هناك معوقات تقف أمامه ولابد من معالجتها بعدة أمور، أهمها: السعي في تحكيم شريعة الله الذي بدوره يسعى إلى الحث على تطبيق سائر طرق العلاج، وأن هناك معوقات اقتصادية أدت إلى إضعاف اقتصاد الأمة، فلابد من استبدالها باقتصاد إسلامي شَرَّعه القرآن الكريم، والذي يساهم بدوره بتعزيز اقتصاد الأمة، فلا تجعلها في حاجة لغيرها، وأن هناك عدة معوقات أدت إلى تمزيق وحدة المسلمين، وجعلتهم في دائرة الظلم والاعتداء، فلابد من تربيتهم تربية إيمانية، وتنمية وازعهم الديني، وجعلهم أمة متعاونة متحابة فيما بينها، وبين ما يقف أمام الأسرة من مشاكل، وعالجها أحسن علاج، حتى يجعلها أسرة متماسكة، وحدد المشاكل التي تعرقل العملية التعليمية لدى الأمة، وكيف يتم علاجها.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، الحمدلله الذي قال ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾(١)، الحمدلله الذي أنعم علينا بنعمة الهداية، الحمدلله الذي أنعم علينا بنعمة القرآن، الحمدلله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، الحمدلله الذي أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمه الظاهرة والباطنة، وصلى الله على خير الأنام، نبينا محمد وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن أعظم نعمة أنعمها الله على عباده أن أنزل عليهم القرآن الكريم الذي انقذهم من من حفرة النار، كما قال تعالى ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾(٢)، أنزله على عباده لإصلاح ما كانوا فيه من شرك وظلم وسوء الإخلاق والرذيلة والفاحشة، وهكذا يدعو القرآن العظيم إلى الإصلاح في سائر الأمور، ويذكر حال الأمم التي جاءها المنهج الرباني الذي جاء ليخرجهم من الفساد، فمنهم من أخذ به فنجا، ومنهم من أعرض عنه فهلك شر مهلكة، فهذا المنهج الرباني يصف للعباد داءهم، ويصرف لهم الدواء، وإنه يذكر لهم قصص الأمم منذ زمن آدم -عليه السلام- حتى عهد نزوله، ويبين أن المعوقات منذ ذاك الزمان حتى هذا الزمان واحدة، وإن اختلفت في المسمى، مما يدل على أن هذا القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، ومن أخذه أخذ بحظ وافر، فالعباد يحتاجون إلى من يبين لهم هذه العقبات التي ذكرها القرآن الكريم وكيف عالجها، حتى يستصلحوا به، وحتى يعلموا أن هذا المنهج فيه كل ما يحتاجونه، وليعلموا أنه كما قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾(٣)، يهدي لكل ما فيه خير للعباد، فحاجة المسلمين إلى معرفة دينهم أشد من حاجتهم إلى سائر الأمور، فهو عمدتهم في الاعتقاد والعبادات والسلوك والمعاملات، وهم اليوم أشد حاجة إليه من سائر الأيام، لما جرى لهم من أحداث ونوازل؛ بسبب إعراضهم عنه، فينبغي لهذه الأمة أن تعود

---

(١) سورة الكهف:١

(٢) سورة آل عمران:١٠٣

(٣) سورة الإسراء:٩

إلى رشدها، حتى تملك زمام الأمور، وتنتصر على أعدائها، كما كانت عليه عندما نزل عليها.

خطة البحث

أسئلة الدراسة:-

تتحدث الدراسة عن المعوقات التي تواجه الإصلاح، من خلال إظهار وإبراز هذه المعوقات، وذلك يكون من خلال ذكر المعوقات التي بينها القرآن الكريم، ومن ثم كيف يتعامل القرآن مع هذه المعوقات، وكيف عالجها، وتدور المشكلة حول عدة نقاط، وهي كالآتي:-

*** والتساؤلات التي تقوم عليها الدراسة :-**

١- ما حقيقة الإصلاح ؟
٢- ما مفهوم الإصلاح في ضوء القرآن الكريم ؟
٣- ما معوقات الإصلاح في ضوء القرآن الكريم ؟
٤- ما طرق علاج معوقات الإصلاح في ضوء القرآن الكريم ؟

أهمية الدراسة:-

إن حاجة المجتمعات والأفراد لمعرفة المعوقات التي ذكرها القرآن الكريم شديدة، وكيف تعامل معها؛ ليتسنى لهم اتباع القرآن في المنهج الإصلاحي الذي استخدمه، وهو الذي يصلح لكل زمان ومكان، فالقرآن هو أيضاً منهج حياة، ولا بد من اظهار هذه المعوقات وعلاجها، حتى يعلم الناس أن القرآن هو منهج حياة، ومنهج كامل لما يحتاجه الفرد والمجتمعات في جميع أنواع حياتهم.

*** والأهمية في الدراسة تدور حول :-**

١- حاجة المجتمعات للإصلاح في جميع أنواع حياتها.
٢- القرآن يدعو إلى إصلاح الإنسان في الاعتقاد والسلوك والعبادات والمعاملات، ويدفع الله به عن البشر الشر والهلاك.
٣- القرآن منهج إصلاح، والإصلاح يستجلب به الخير والبركة والنماء.
٤- حاجة الباحثين لمعرفة المعوقات التي تواجههم لإزالتها.
٥- القرآن يهتم بذكر المعوقات وخطورتها وكيفية علاجها.

٦- لابد من معرفة وإظهار طرق العلاج التي ذكرها القرآن لإصلاح هذه المعوقات؛ حتى يستفاد منها.

أهداف الدراسة: -

تهدف الدراسة إلى إبراز وإفراد المعوقات التي تواجه الإصلاح في القرآن الكريم، وكيف كان يعالجها، وذكرها في دراسة مستقلة، والجواب عن تساؤلات المشكلة التي تواجه الدراسة.

*** وهي على النحو الآتي :-**

١- بيان حقيقة الإصلاح.

٢- بيان مفهوم الإصلاح في ضوء القرآن الكريم.

٣- بيان معوقات الإصلاح كما ذكرت في القرآن الكريم.

٤- معرفة طرق علاج معوقات الإصلاح في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة :

بعد البحث والتحري في هذا الموضوع، وجد الباحث عدداً من الموضوعات التي تتحدث عن الإصلاح، فبعضها يتكلم عن الإصلاح عموماً، والبعض الآخر يتحدث عن جانب من جوانب الإصلاح المتعددة، والذي يود الباحث دراسته هو تناول جزئية في هذا الموضوع، وهي المعوقات بشكل عام، ودراستها وبيان طرق علاجها.

*** والدراسات التي وجدتها هي على النحو الآتي :-**

١- الصلح والإصلاح في القرآن الكريم، مريم أبوعلي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٢٠هـ، دراسة موضوعية .

وبعد التراسل مع جامعة أم القرى بخصوص الدراسة حصل الباحث على نسخة من الرسالة، وبعد الاطلاع عليها تبين أن الباحثة تحدثت عن أهمية التفسير الموضوعي، ومفهوم الصلح والإصلاح، وأدلة مشروعيتهما، وتحدثت عن طرق الإصلاح كالإصلاح الديني والسياسي والإداري والحربي بشكل موجز، وألفاظ الصلح والإصلاح والوجوه التي تحتملها، وموقف القرآن من الصلح والإصلاح، وعلى ذلك فالدراسة مختلفة عن هذه الدراسة؛ لعدم تناولها للمعوقات التي تواجه هذا الإصلاح، وكيف تتم معالجتها، فالمعالجة وحدها لا تكفي، والرسالة تناولت الإصلاح وأنواعه، ولم تذكر أياً من المعوقات.

٢- الإصلاح والإفساد في ضوء القرآن الكريم، عبدالقادر حشادي، رسالة ماجستير، الجامعة الوطنية، اليمن: ١٤٢٢هـ، دراسة موضوعية .

وبعد التراسل مع الباحث بخصوص الدراسة أفاد بخطة دراسته، حيث تحدث فيها عن مفهوم كل من الإصلاح والإفساد، وتحدث عن مجالات الإصلاح كالإصلاح بين الناس والزوجين والنهي عن الإفساد، والمفسدون في الأرض، وتبين بعد الاطلاع أن المحتوى مختلف عن هذه الدراسة؛ لعدم تناولها المعوقات في الإصلاح وإبرازها وبيان طرق علاجها، وهو ما لم يقم به الباحث السابق؛ لأنه لم يذكر أياً من المعوقات، والدراسة ستقوم بذكر هذه المعوقات معوقاً تلو الآخر وإبرازها، والبحث عن الكيفية التي سلكها القرآن الكريم في علاجها.

٣- الإصلاح والإفساد كما تحدث عنهما القرآن الكريم، هويده الصردي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر ، ٢٠٠٤ ، دراسة موضوعية .

بعد التراسل مع أحد الأخوة في جمهورية مصر، قام بإرسال نسخة من الرسالة للاطلاع عليها، حيث إن الباحثة تحدثت فيها عن معنى كل من الصلاح والإصلاح، والفساد والإفساد، والفرق بينهما، وحديث القرآن عن الصالحين كالأنبياء والأولياء والمؤمنين، ودعوة القرآن إلى الصلح والإصلاح، وأثره على الفرد والمجتمع، والمفسدون في الأرض، وأسباب الفساد وعاقبة المفسدين، وتختلف دراسة الباحثة عن هذه الدراسة بأنها لم تبرز معوقات الإصلاح المختلفة في القرآن الكريم العقدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأسرية والتعليمية، ولا بد من تناولها من جميع الجوانب، وإبراز هذه المعوقات لبيان خطورتها، وكيف يتم علاجها وفقاً للقرآن الكريم، وهذا ما لم تبينه الباحثة.

٤- الإصلاح وأثره على الفرد والمجتمع، فايز أبوعمرة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة: ٢٠٠٤م، دراسة موضوعية .

بعد الحصول على نسخة من الرسالة، تبين أن الباحث تحدث عن الدعوة إلى الاصلاح في القرآن، وأثر الدعوة في المجتمع والفرد، ووسائل الإصلاح ومحبطاتها كالمحافظة على الشعائر الدينية أو تركها، والرسالة تختلف عن هذه الدراسة؛ لعدم ذكرها المعوقات التي تواجه الإصلاح من خلال القرآن الكريم، وكيف تقوم بإزالتها وفقاً للمنهج الذي سلكه القرآن الكريم .

٥- الإصلاح الأسري من منظور قرآني، يونس ياسين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح: فلسطين: ٢٠٠٦م، دراسة موضوعية .

بعد الحصول على نسخة من الرسالة، تبين أن الباحث تناول جانباً واحداً من جوانب الإصلاح، وهو الأسري، وتناول ملامحه وحقوق كل فرد في الأسرة، والرسالة تختلف عن هذه الدراسة؛ لأنها تقوم بدراسة المعوقات التي تواجه هذا الإصلاح؛ لأن الإصلاح لا يتم إلا بعد استئصال ومعالجة هذه المعوقات، وتناول هذه المعوقات من جميع الجوانب، فلا يكفي تناولها من جانب واحد، وهو ما لم يذكره الباحث السابق.

٦- الإصلاح السياسي من منظور قرآني، يونس محمود صادق ياسين، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن: ٢٠١٢م، دراسة موضوعية .

الرسالة تختلف عن هذه الدراسة؛ لأنها تناولت جانباً واحداً من جوانب الإصلاح، ولم تبحث عن جميع الجوانب، وذلك أن تناولها من جانب واحد لا يكفي، بل لا بد من جمعها من جميع الجوانب في مكان واحد يسهل الوصول إليه، والاستفادة منه، وهذا ما ستتناوله هذه الدراسة .

٧-منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، د. محمد السيد يوسف، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م، **دراسة موضوعية.**

وتناولت هذه الرسالة أسباب فساد المجتمع، ومجالات الإصلاح الأساسية: إصلاح العقيدة، وإصلاح السياسة والحكم، والإصلاح الخلقي، والإصلاح الإجتماعي، والإصلاح الاقتصادي، وأهم وسائل الإصلاح في القرآن الكريم، وسمات المنهج القرآني في الإصلاح، ولم تتناول الرسالة تحديد المشكلة وهي المعوقات، حتى يتم علاجها، وهذا ما جاء به الباحث في هذه الرسالة -معوقات الإصلاح وطرق علاجها من منظور قرآني-.

٨- وهناك ثلاث رسائل أخرى لم يستطع الباحث الوصول إليها، ووجدها في الشبكة العنكبوتية دون تفاصيل ولا نسخة عنها، وهي: مفهوم الإصلاح في القرآن -دراسة موضوعية- إعاد: محمد محمود الخزرجي ٢٠٠٤م جامعة بغداد، ورسالة دكتوراه بعنوان: آيات الإصلاح والإفساد في القرآن، إعداد: إبراهيم الكبيسي ٢٠٠٦م، ورسالة ماحستير بعنوان: آيات الصلح والإصلاح في القرآن، ٢٠٠٦م.

*** منهج البحث :-**

١- اتبعت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي القائم على تتبع الآيات التي ورد فيها معنى الإصلاح ومعوقاته وطرق علاجه، واستقراء آراء المفسرين في هذه الآيات، وآراء علماء اللغة، وآراء المتخصصين.

٢- ثم أتبعت ذلك بالمنهج التحليلي في الكلام على الإصلاح وتحليل معوقاته التي ذكرها القرآن الكريم، والكلام على الآيات الواردة في ذلك.

٣- ثم أتبعت ذلك بالاستنتاج في إخراج معنى الإصلاح ومفهومه في القرآن الكريم، ومعوقاته ووسائل علاجه بحسب ما تفصِّله تلك الآيات.

٤-ويكتفي الباحث بذكر بيانات المراجع أول مرة بشكل كامل وتفصيلي، فإن لم يكن عليها بيانات يتركها الباحث خالية، وعند تكرار المصدر مرة أخرى يتم اختصاره من خلال ذكر اسم العائلة أو الشهرة للمؤلف مع اسم الكتاب والصفحة فقط، والدراسة لم تذكر فهارس الآيات والأحاديث والأعلام التزاماً بمواصفات كتابة الرسائل في الجامعة الأردنية، والدراسة تبين غالباً ما أشكل لفظه من المصطلحات في الحاشية.

* يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول: الفصل التمهيدي، وفيه أربعة مباحث، وفي الفصل الأول ستة مباحث، وفي كل مبحث أربعة مطالب عدا الخامس والسادس ففيهما أربعة مطالب، وفي الفصل الثاني ستة مباحث، وكل مبحث فيه أربعة مطالب عدا الخامس والسادس فيهما مطلبان، وهي على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي : الإصلاح في القرآن الكريم

- **المبحث الأول: المعوقات لغة واصطلاحاً :-**

المطلب الأول : المعوقات لغة .

المطلب الثاني :المعوقات اصطلاحاً .

- **المبحث الثاني: الإصلاح لغة واصطلاحاً :-**

المطلب الأول : الإصلاح لغة .

المطلب الثاني :الإصلاح اصطلاحاً .

- **المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح من منظور القرآن الكريم :-**

- الإصلاح في القرآن الكريم.

- **المبحث الرابع: مقومات الإصلاح :-**

المطلب الأول : العقيدة.

الفصل التمهيدي:

المعوقات والإصلاح في القرآن الكريم

المبحث الأول: المعوقات لغة واصطلاحاً.

المبجث الثاني: الإصلاح لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح من منظور قرآني.

المبحث الرابع: مقومات الإصلاح.

المبحث الأول: المعوقات لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : المعوقات لغة

ـ المعوقات لغة :ـ

جمع معوق، يقال: عاقه عن كذا إذا حبسه وصرفه، وأصل عاق عوق، فالعوق هو الحبس والصرف(١) .

وتقول عَوَّقه بمعنى منعه(٢) .

والعوق هو الصارف عما يراد من خير، يقال عاقه وعَوَّقه واعتاقه، قال تعالى ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾(٣)، أي: المثبطين الصارفين عن طريق الخير(٤).

والعوق: الرجل الذي لا خير فيه وعنده (٥) .

فتبين أن المُعَوَّقات تأتي بمعنى الصوارف والمثبطات والشواغل والموانع والحوابس .

---

(١) ينظر: الزبيدي، محب الدين أبوالفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي ١٢٠٥ هـ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة عوق (٢٢٤/٢٦-٢٢٥) .

(٢) المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ٧٧٠هـ، **المصباح المنير**، الطبعة الأميرية: مصر ١٩١٢م، ط٣ (ص٦٧١) .

(٣) الأحزاب: ١٨ .

(٤) الأصفهاني، أبوالقاسم الراغب الحسين بن محمد ٥٠٢هـ، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق مصطفى العدوي، مكتبة فياض: المنصورة، ١٤٣٠هـ، (ص٤٥٠).

(٥) الفراهيدي، أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد ١٧٥هـ، **كتاب العين**، تحقيق كل من د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (١٧٣/٢) .

المطلب الثاني : المعوقات اصطلاحاً

- المعوقات اصطلاحاً :-

المعنى اللغوي السابق لا يختلف كثيراً عن المعنى الاصطلاحي، فقد قيل إنها:-

هي الصارف عما يُرَادُ من الخير(١) .

وقيل: هي العوامل التي تعوق وتعرقل حدوث شيء مفروض أن يقع (٢) .

وفي الحقيقة المعنى الاصطلاحي يشمل التعريفين السابقين، ولابد أن يكون هناك شمول في المعنى، ويعرف الباحث المعنى الاصطلاحي بتعريف أكثر شمولية، وهو :-

الموانع التي تصرف عن إصلاح الأمور، أو تثبط حصوله.

---

(١)الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن،** (ص٤٥٠) .

(٢) المطيري، فواز مخلد، **معوقات المدمنين على مراكز علاج الإدمان،** رسالة ماجستير منشورة ١٤١٧هـ، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية: السعودية، (ص١٢)..

المبحث الثاني: الإصلاح لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : الإصلاح لغة

- **الإصلاح لغة :-**

الصلاح ضد الفساد، تقول صَلَحَ يَصْلُحُ ويَصْلُحُ (١)، تقول أصلح الشيء بعد فساده، أي: أقامه، ويُقال: أصلح الدابة إذا أحسن إليها فصلحت (٢) .

ويقال صلح الشيء يصلح صلوحاً (٣) .

والصلح يختص بإزالة النّفار بين الناس، يقال منه: اصطلحوا وتصالحوا (٤) .

وصلاح من أسماء مكة (٥)، وصالح اسم نبي الله، قال تعالى ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢﴾(٦) .

فالإصلاح لغة -من خلال ما سبق- يأتي بإقامة الشيء بعد فساده، وبإزالة الفساد، وإحسان الشيء، والاستقامة.

---

(١) ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ٧١١هـ، **لسان العرب**، دار صادر: بيروت، (٥١٦/٢) .
(٢) **تاج العروس** (٥٤٧/٦-٥٤٨).
(٣) زكريا، أبوالحسين أحمد بن فارس ٢٩٥هـ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ، (٣٠٣/٣) .
(٤) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٣٦٦) .
(٥) الزبيدي، **تاج العروس**، (١٨٣/٢) .
(٦) هود: ٦٢ .

المطلب الثاني : الإصلاح اصطلاحاً

- الإصلاح اصطلاحاً :-

وردت في مفهوم الإصلاح أقوال متعددة، ومعان مختلفة، منها :-

ما عرفه الكفوي: هو سلوك طريق الهدى (١).

وقيل: استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل (٢).

وقيل: السلامة من العيب (٣).

وقال الشيخ أحمد بن المرابط:(هو العمل بمقتضى كتاب الله تعالى وصحيح سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-)(٤).

وقال الآلوسي:(هو جامع لكل خير)(٥).

وقال ابن السعدي:(أن تكون الأمور كلها مستقيمة معتدلة، مقصوداً بها غاياتها الحميدة)(٦).

وقال محمد رشيد رضا:(ما يؤدي إلى المحافظة على الدين والعمل به، وجمع كلمة المسلمين)(٧).

---

(١) الكفوي، أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني ١٠٩٤هـ، **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)،** تحقيق كل من: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (ص٥٦١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط،** دار الدعوة: مصر، (٥٢٠/١) .

(٤) المرابط، أحمد، **مفاهيم الإصلاح والتغيير ومقاصده الشرعية،** بحث منشور في مؤتمر الإصلاح والتغيير: الكويت، ١٤٣٤، العدد الأول (ص٧) .

(٥) الآلوسي، أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي ١٢٧٠هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٣٩/٢٠).

(٦) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله ١٣٧٦هـ، **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن،** دار البصيرة: الاسكندرية، (ص١٢٨) .

(٧) رضا، محمد رشيد ١٣٥٤هـ، **مجلة المنار،** العدد ٣٩ يناير ١٨٩٩م، (٧٦٧/١) .

والناظر في هذه التعريفات يجد أن بعض المعَرِّفين تناول التعريف من جانب كان ينظر إليه، وهناك من كان تعريفه عاماً بحيث إنه لا يمكن أن يحدد، والحقيقة أن معنى الإصلاح كبير جداً، وكما قرر الباحث في المبحث السابق[١] من أنه لابد أن يكون هناك شمولية في التعريف، فلا يصح أن يُعرف من جانب، وتترك باقي جوانبه، وأن لا يكون التعريف عاماً أكثر مما يستحق بحيث يصعب تحديده، وعليه فالباحث يرى أن التعريف الأنسب هو:-

(إزالة الفساد، وتحقيق الاستقامة في سائر الأمور الشرعية والمحمودة).

وقد اجتمعت معاني الإصلاح في قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[٢].

فالإيمان تم بصلاح النفس أولاً، ثم تعدّى بالإصلاح المتمثل في إزالة الفساد، وإحلال الخير مكانه، وهذا فرق دقيق بين الصلاح والإصلاح، فهناك تلازم بين الصلاح والإصلاح، وذلك أن الصالحين يبنون أنفسهم، والمصلحين يبنون غيرهم.

(١) ينظر: في تعريف المعوقات اصطلاحاً .
(٢) العصر:١-٣ .

المبحث الثالث: مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن موضوع الإصلاح فيما يزيد عن مئة وثمانين موضعاً(١)، وهذا مما يدل على أهميته، وكيف لا يكون ذلك والقرآن الكريم لم ينزل علينا إلا من أجل الإصلاح، فإن الأمة كانت في شرك وجاهلية، وهذا هو قمة(٢) الفساد وأصله، فالجهل مُوقع في الفساد الذي أمر الله بإزالته، فأنزل الله القرآن الذي ينصلح به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ورسم لنا القرآن منهجاً قويماً في إزالة الفساد وإحلال الإصلاح مكانه، قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾(٣)، فدل منطوق الآية أن المتمسك بكتاب الله والمقيم للصلاة من المصلحين، حيث إن الجزاء من جنس العمل(٤)، وهم لم يظفروا بهذا اللفظ إلا بعد سلوكهم منهج الإصلاح، من خلال التمسك بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- التي هي جزء من الوحي، وعمل ما فيه خير ونفع .

* وجاء القرآن الكريم بلفظ الإصلاح في عدة مواضع وبمعانٍ متعددة، وعلى وجوه شتى، تختلف باختلاف السياق، ومن هذه المعاني السياقية:-

- جاء تارة بمقابلة العمل السيء، قال تعالى ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾(٥)(٦).

- وجاء تارة بمقابلة الفساد، وأنه بمعنى إزالة الشر، وابتعاث الرسل ودعاة الحق، وإيضاح الحجج قال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث: القاهرة، ١٣٦٤هـ، (ص٤١٠-٤١٢) .

(٢) القمة: أعلى كل شيء، وأعلى الرأس، ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، (٢٩٨/٣٣)، قلت: وقد يقال قمة الشيء في الكلام المحمود، وقد يقال في المذموم أيضاً كما ذكر الباحث في المتن.

(٣) الأعراف: ١٧٠ .

(٤) قاعدة شرعية، دل عليها قوله تعالى ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ سورة الصافات: ٣٩ .

(٥) التوبة: ١٠٢ .

(٦) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٣٦٦).

قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾(١)، أي: بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل ودعاة إلى الحق، وإيضاحه حججه لهم (٢).

- وجاء تارة بمعنى إزالة النِّفار بين الناس، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(٣)(٤).

- وجاء تارة بمعنى إزالة الفساد، قال تعالى ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾(٥)(٦).

- وجاء تارة بمعنى الإيمان، قال تعالى ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾﴾(٧)، أي: ومن آمن(٨).

- وجاء تارة بمعنى حسن المنزلة، قال تعالى ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾(٩)، أي: في المنزلة عند الله(١٠).

-وجاء تارة بمعنى الرفق والوفاء، قال تعالى ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾(١)، أي: من الرافقين بك، والموفين بعهدهم (٢).

---

(١) الأعراف: ٥٦ .

(٢) الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير ٣١٠هـ، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق دار الفكر: بيروت، ١٤٠٥هـ، (٢٠٧/٨) .

(٣) الحجرات: ١٠ .

(٤) الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٣٦٦).

(٥) الأحقاف: ١٥ .

(٦) **المعجم الوسيط**، (٥٢٠/١).

(٧) الرعد: ٢٣ .

(٨) ابن ثعلبة، يحيى بن سلام ٢٠٠هـ، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، تحقيق: هند شلبي، طبعة الشركة التونسية للتوزيع: تونس، ١٩٧٩م، (ص٢٧٥) .

(٩) النحل: ١٢٢ .

(١٠) ابن ثعلبة، **التصاريف لتفسير القرآن**، (ص٢٧٥) .

-وجاء تارة بمعنى تسوية الخلق، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾(٣)، أي: لئن أعطيتنا ولداً سويّ الخلق لنكونن من الشاكرين(٤).

-وجاء تارة بمعنى الإحسان، قال تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾(٥)، أي: أريد الإحسان(٦).

-وجاء تارة بمعنى مشتمل على الأمانة، قال تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾(٧)، أي: كانا ذا أمانة(٨).

---

(١) القصص: ٢٧ .

(٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران ٣٩٥هـ، **الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، (ص٢٤٨).

(٣) الأعراف: ١٨٩ .

(٤) ينظر: القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب: القاهرة، (٣٨٨/٧).

(٥) هود: ٨٨ .

(٦) ابن ثعلبة، **التصاريف لتفسير القرآن**، (ص٢٨٠) .

(٧) الكهف: ٨٢ .

(٨) ابن ثعلبة، **التصاريف لتفسير القرآن**، (ص٢٧٣-٢٧٥) .

- وجاء تارة مقروناً بالتوبة، وأنه بمعنى الاستقامة العامة وترك الظلم، والتحلي بالفضائل والمكارم، قال تعالى ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٣٩﴾(١).

-وجاء تارة بمعنى دوام الخير وحسن العشرة، قال تعالى ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ۝٣٥﴾(٢).

-وجاء تارة بمعنى العدل وإيتاء الحقوق والعناية بأحوال أصحابها، قال تعالى ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٢٢٠﴾(٣).

-وجاء تارة بمعنى الاعتصام بكتاب الله وفعل الواجبات، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ۝١٧٠﴾(٤).

-وجاء تارة بمعنى الاستقامة على الولاية الشرعية، قال تعالى في قول موسى لأخيه هارون -عليهما السلام- ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤٢﴾(٥).

(١) المائدة: ٣٩ .
(٢) النساء: ٣٥ .
(٣) البقرة: ٢٢٠ .
(٤) الأعراف: ١٧٠ .
(٥) الأعراف: ١٤٢ .

-وجاء تارة بمعنى حسن العمل، قال تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾(١)، أي: وأحسنوا أعمالهم .

-وجاء تارة بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾(٢).

-وجاء تارة بمعنى توفيق المؤمنين للعمل الصالح، قال تعالى ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

-وجاء تارة بمعنى العفة، قال تعالى ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾(٤).

-وجاء تارة بمعنى الطاعات، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾(٥)(٦).

---

(١) الشعراء: ٢٢٧ .
(٢) هود: ١١٧ .
(٣) الأحزاب: ٧١ .
(٤) النور: ٣٢ .
(٥) البقرة: ٢٥ .
(٦) العسكري، **الوجوه والنظائر** ص٢٨٣-٢٨٤ .

المبحث الرابع: مقومات الإصلاح

هناك عناصر ترتكز عليها كل أمة من الأمم، فكل أمة تجتمع فيها هذه العناصر هي أمة إصلاحية، تنجو من الهلاك والعذاب، وتسمو بنفسها، ويرتفع ذكرها، وكل أمة تجتمع فيها ما يضاد هذه العناصر هي أمة فاسدة، وتهلك أشرَ مهلكة، ويحل عليها السخط من الله -جل وعلا- كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣﴾[١]، وهذه العناصر تعد من مقومات الإصلاح التي دعت إليها جميع الشرائع، وسيتناولها الباحث على أربعة مطالب، وهي: العقيدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل، والأخلاق.

المطلب الأول: العقيدة

الإيمان ركيزة من ركائز الإصلاح التي دعت إليها الفطرة السلمية، قال تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾[٢]، وهي التي دعت إليها الأديان السماوية، قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[٣]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾[٤]، فهذه الآيات تدل على أن الدين الذي جاءت به كل الشرائع يدعو إلى توحيد الله، والكفر بما سواه، وكل أمة تحمل عقيدة صافية، خالية من شوائب الشرك، هي أمة إصلاحية، وأما الأمة التي غرقت في الشرك، وخالفت فطرتها وشريعتها، فهي أمة فاسدة، قال سيد قطب -رحمه الله-:(إن انحراف العقيدة وفسادها ينشىء آثاره في حياة الجماعة الواقعية، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية. وتصحيح العقيدة ينشىء آثاره في صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة

---

(١) سورة يونس:١٣
(٢) سورة الروم:٣٠
(٣) سورة الأنبياء:٢٥
(٤) سورة الزمر:٦٥-٦٦

الاجتماعية واستقامتها)[١]، فالعقيدة أهم ركيزة تقوم عليها الأمم، إن كانت حسنة فحسنة، وإن كانت خلاف ذلك فهي فاسدة، وذلك أن من لم يصلح علاقته مع الله، فمن باب أولى مع غيره.

(١) قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي ١٣٨٥هـ، **في ظلال القرآن**، دار الشروق: بيروت، الطبعة السابعة عشرة: ١٤١٢هـ، (٢٢٢٣/٤).

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعت إليه جميع الشرائع، وما من أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إلا أنجاها الله، وجعل لها النصر والتمكين، وما من أمة تركت ذلك إلا أرسل الله عليها العذاب، وأخبار القرآن في قصص الأنبياء وكيف كانوا يدعونهم للمعروف وينهونهم عن المنكر كثيرة، فهذا نوح -عليه السلام- يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما كان منهم إلا أن كذبوه، ولم يقبلوا منه، فأحَلَّ الله عليهم سوء العقاب، وأنجى من كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو نوح ومن معه، قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾(١)، وقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾(٢).

وهذا نبي الله إبراهيم -عليه السلام- ينكر على قومه، قال تعالى ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾(٣).

وقد تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل، وأخبر بأنهم استحقوا اللعنة من الأنبياء؛ بسبب عدم استجابتهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا

---

(١) سورة الشعراء:١٠٥-١١٠
(٢) سورة العنكبوت:١٤-١٥
(٣) سورة الشعراء:٦٩-٧٣

يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾(١)، "لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير"(٢)، ويروى عن ابن مسعود، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: -تلا الآية السابقة-، ثم قال: كلا، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا))(٣)، قال صاحب المنار:(أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر ما من المنكرات، مهما اشتد قبحها وعظم ضررها، وإنما النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الآداب والفضائل، فإذا ترك تجرأ الفساق على إظهار فسقهم وفجورهم، ومتى صار الدهماء(٤) يرون المنكرات بأعينهم، ويسمعونها بآذانهم، تزول وحشتها وقبحها من أنفسهم، ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثرون على اقترافها، فالإخبار بهذا الشأن من شؤونهم إخبار بفشو المنكرات فيهم، وانتشار مفاسدها بينهم؛ لأن وجود العلة يقتضي وجود المعلول، ولولا استمرار وقوع المنكرات لما صح أن يكون ترك التناهي شأنا من شئون القوم، ودأبا من دئوبهم)(٥).

فالأمم التي تعاونت فيما بينها وتناصحت نجت وأفلحت، وكذلك يخبر الله تعالى عن حال كثير من الأمم التي حَلَّ عليها العذاب بسبب تركها هذا الأمر، قال تعالى ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ

---

(١) سورة المائدة:٧٨-٧٩

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٣١٧/٦).

(٣) أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٧٥هـ، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الفكر: بيروت، حديث رقم: ٤٣٣٦، (١٢١/٤)، والحديث ذكر من طريق أبوعبيدة عن أبيه (ابن مسعود)، وهو ضعيف لوجود انقطاع فيه، حيث إن أبوعبيدة بن مسعود لم يسمع من أبيه، وقد جزم بذلك الترمذي في سننه فقال:(أبوعبيدة بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه)، والحديث ضعفه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه سنن أبي داود، (٣٩١/٦)، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، (٢٢٧/٣).

(٤) قال ابن جني: الدهماء هم الحشو من الناس، ينظر: ابن جني، أبوالفتح عثمان الموصلي ٣٩٢هـ، **المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، دار إحياء التراث العربي القديم: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ، (١٧٧/٢).

(٥) رضا، محمد رشيد ١٣٥٤هـ، **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**، الهيئة العامة المصرية للكتاب: القاهرة، ١٩٩٠م، (٤٠٦/٦).

﴿١٦٥﴾[١]، قال ابن تيمية:(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهو من الدين)[٢]، وقال الغزالي:(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد)[٣].

---

(١) سورة الأعراف:١٦٥

(٢) ابن تيمية، ، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق: محمد جميل غازي، مكتبة المدني: جدة، (ص٩).

(٣) الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد ٥٠٥هـ، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة: بيروت، (٣٠٦/٢).

المطلب الثالث: العدل

لقد بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ليحكموا بين الناس بالعدل، وهذا ما جاءت به جميع الشرائع، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾(١)، فالأمة إذا أخذت بالعدل قامت، وإذا تركته سقطت وانهارت، وذلك أن أصعب شيء على العباد هو الظلم، فالناس قد تتحمل جميع أنواع المساوئ عدا الظلم، فإنه يصعب عليهم، وكم من أمم ومجتمعات حتى عهدنا هذا لم تصبر على الظلم وخرجت ولم تتمالك، فالعدل هو الأصل الذي تقام عليه الأمم، وهو حليف النصر، ولهذا قيل:(إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة)(٢)، ولذلك فقد اهتم القرآن الكريم بالعدل غاية الاهتمام، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾(٣)، وقد حرم الظلم أشد التحريم قال الله تعالى في الحديث القدسي:((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا))(٤).

وإن تحقيق العدل لا يتم إلا بتحكيم شريعة الله -جل وعلا-، قال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٥).

---

(١) سورة الحديد:٢٥

(٢) ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم النجدي، مكتبة التقوى، الطبعة الثانية، (٦٣/٢٨).

(٣) سورة النحل:٩٠

(٤) مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١هـ، **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار أحياء التراث العربي: بيروت، حديث رقم: ٢٥٧٧، (١٩٩٤/٤).

(٥) سورة المائدة:٤٥

وقد حذر الله تعالى من عاقبة الركون إلى الظلم الوخيمة، حيث يقول تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾(١)، وهذا حال كثير من الأمم التي أهلكها الله، وابتلاهم بأنواع العذاب، وما هذا إلا بسبب ظلمها، كالاعتداء على الأنبياء، وظلم الحقوق، وأكل أموال اليتامى والناس بالباطل وغيرها، قال تعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾(٢)، وهذا نبي الله شعيب -عليه السلام- يخاطب قومه ويحذرهم مما يرتكبونه من الظلم، قال تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٣)، والظلم العظيم في قتل الأولاد بغير ذنب، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾(٤)، ووأد البنات، قال تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾(٥)، "وإذا تتبعت الآيات القرآنية تجد أن الله -عز وجل- جعل النهي عن الظلم تنقية للأرض وتصفيتها قبل حرثها وزراعتها، فالزرع والغرس لا يظهران إلا في الأرض الطيبة النقية، ولن تكون طيبة ونقية إلا إذا أزيل عنها الظلم"(٦)، فالأمة التي تقيم العدل هي أمة إصلاحية تنعم بالخير والسعادة والاستقرار والاطمئنان، والأمة التي تقيم الظلم هي أمة فاسدة، ومآلها الزوال والخسران، وقد أخبر تعالى أن هذا الظلم هم من كان سببه، وأن الله تعالى لم يظلمها بشيء، بل عاملها بعين

---

(١) سورة هود:١١٣
(٢) سورة النساء:١٦٠-١٦١
(٣) سورة هود:٨٥
(٤) سورة الأنعام:١٣٧
(٥) سورة التكوير:٨-٩
(٦) سيف، محمد إبراهيم أحمد، **إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، رسالة ماجستير منشورة ٢٠٠٧م، جامعة النجاح الوطنية: فلسطين، (ص١٢).

العدل، قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾[1].

(١) سورة الزخرف:٧٦

المطلب الرابع: الأخلاق

إن الأمم الصالحة التي تستجيب لأمر الأنبياء هي أمة تتحلى بالأخلاق الحميدة؛ لأن من أمر الأنبياء الدعوة إلى مكارم الأخلاق، فالأخلاق هي شعار الأنبياء، وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول:((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))(١)، فالأخلاق الحميدة هي شعار لكل أمة صالحة، وهي دعوة الأنبياء والصالحين الذين يدعون إلى الإحسان، وصلة الأرحام، والقيام بحقوق الناس، وكف الأذى، والعفو عن من أساء، واحترام سائر الناس، والتواضع، والصبر، **قال تعالى** ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾(٢)، **وقال تعالى** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(٣)، **ومن أخلاق الصالحين ما قاله لقمان الرجل الصالح لابنه، قال تعالى** ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه أحمد، أبوعبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ، **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة: مصر، حديث رقم: ٨٩٣٩، (٣٨١/٢)، والبخاري، محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ، **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر: بيروت، حديث رقم: ٨٣٥، (١٨٨/٧)، قال ابن عبدالبر في التمهيد:(وهذا حديث مدني صحيح)، (٣٣٤/٢٤)، وقال الهيثمي:(رجاله رجال الصحيح)، (١٨٨/٨)، وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة، (ص١٨٠)، الألباني، في السلسلة الصحيحة، (١١٢/١).

(٢) سورة البقرة:٨٣

(٣) سورة فصلت:٣٣-٣٥

لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾(١)، فهذه هي أخلاق الأمم الناجية.

والأمم الفاسدة لا تدعو إلا لمساوئ الأخلاق، وشيوع الفاحشة والرذيلة، والظلم والسلب والأعتداء على الغير، فهذه "الأمراض السلوكية والمنكرات الظاهرة التي تأباها الفطر السليمة، والطباع المستقيمة، كعمل قوم لوط (الشذوذ الجنسي)، يقول سبحانه ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾(٢)، ومن الأمراض السلوكية والمنكرات الظاهرة، ما دأب عليه أهل مدين من تطفيف الموازين، والغش في المعاملات، قال سبحانه ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾(٣)، ومن الأمراض السلوكية والمنكرات الظاهرة، ما كان من أصحاب السبت واحتيالهم على أمر الله تعالى، قال سبحانه ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾(٤)، وفي المواضع الثلاثة السابقة،

---

(١) سورة لقمان:١٧-١٩
(٢) سورة الشعراء:١٦٠-١٧٦
(٣) سورة الشعراء:١٧٦-١٨٥
(٤) سورة الأعراف:١٦٣-١٦٦

قيض الله تعالى، من يقوم لوجه الله ناصحاً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصبر على ما يواجهه من جحود وإنكار، وإجرام وعصيان، حتى يأتيه وعد الله، بحسن العاقبة للمؤمنين، القائمين على حراسة الفضيلة في المجتمع"(١).

ومن مساوئ الأخلاق النكاح المنتشر بينهم كالجمع بين الأختين، ووراثة زوجة الأب، قال تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢﴾(٢)، وقال تعالى ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ﴾(٣)، قال الشافعي:(كان أكبر ولد الرجل يخلف على امرأة أبيه، وكان الرجل يجمع بين الأختين، فنهى الله -عز وجل- عن أن يكون منهم أحد يجمع في عمره بين أختين، أو ينكح ما نكح أبوه)(٤)، وفي هذا توضح أم المؤمنين بنت الصديق عائشة -رضي الله عنها- كيف كان النكاح في الجاهلية المقيتة، حيث تقول:(أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

١-فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

٢-ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

٣-ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

---

(١) ينظر: رفاعي، عاطف إبراهيم متولي، **صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير منشورة ١٤٣٢هـ، جامعة المدينة العالمية: ماليزيا، (ص٢٠٧).
(٢) سورة النساء:٢٢
(٣) سورة النساء:٢٣
(٤) الشافعي، محمد بن إدريس ٢٠٤هـ ، **الأم**، دار المعرفة: بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، (٥/٢٥).

٤-ونكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لهم القافة(١)، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد -صلى الله عليه وسلم- بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم)(٢).

ومن أخلاق الأمم الفاسدة أيضاً التسخط بالأناث، والتطير والاستسقاء بالنجوم والتعيير والتنابز والسخرية والتفاخر بالأنساب والنياحة على الميت، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-((خلال من خلال الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة والاستسقاء بالأنواء))(٣)، فمن كانت هذه خلقها فكيف تكون أمة صالحة عادلة؟!.

---

(١) القافة: هم من يعرف الآثار، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٢٩٣/٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وسننه وأيامه**، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير: بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ه، حديث رقم: ٤٨٤٣، (١٩٧٠/٥).

(٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٦٣٧، (١٣٩٨/٣).

الفصل الأول:
معوقات الإصلاح العامة وعلاجها من منظور قرآني:

المبحث الأول: المعوقات العقدية.

المبحث الثاني: وسائل علاج المعوقات العقدية.

المبحث الثالث: المعوقات السياسية.

المبحث الرابع: وسائل علاج المعوقات السياسية.

المبحث الخامس: المعوقات الاقتصادية.

المبحث السادس: وسائل علاج المعوقات الاقتصادية.

المبحث الأول: المعوقات العقدية

المطلب الأول: الكفر والشرك

الكفر لغة: الستر والتغطية(١).

واصطلاحاً: ضد الإيمان، قال ابن تيمية:(الكفر هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر)(٢).

اقتضت رحمة الله -عز وجل- أن يبعث الرسل والنبيين؛ لإقامة العدل وهو التوحيد، فكانت رسالة كل مبعوث هي الدعوة إلى التوحيد، قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ (٣)، قال الطبري:(هذا كله في الإخلاص والتوحيد)(٤).

وتضمنت أيضاً رسالة الأنبياء التحذير من الكفر والشرك فهي من لوازم التوحيد، قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾(٥)، قال ابن السعدي:(يخبر تعالى، أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما مِنْ أمَة متقدمة أو متأخرة، إلا وبعث الله فيها رسولاً وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة

---

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (١٩١/٥).
(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٦٣٩/٧).
(٣) الأنبياء: ٢٥.
(٤) الطبري، **جامع البيان**، (١٥/١٧).
(٥) النحل: ٣٦.

الله وحده لا شريك له)(١)، وقال الزجاج:(أَعْلَمَ اللهُ أنه بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية)(٢).

وبين القرآن الكريم أن رسالة الأنبياء هي الإصلاح التي أساسها توحيد الله، قال تعالى ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴿٨٨﴾﴾ (٣)، والتحذير من الكفر، ومحاربة الفساد(٤) الذي يقابل الإصلاح، قال تعالى حكاية عن موسى -عليه السلام- لقومه ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾(٥).

وقال تعالى حكاية عن شعيب -عليه السلام- لقومه ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٦).

وقال تعالى حكاية عن صالح -عليه السلام- لقومه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾(٧).

قال ابن تيمية:(فالله تعالى مستحق أن يعبد لا يشرك به شيء وهذا هو أصل التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزلت به الكتب)(٨).

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر ١٣٧٦هـ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: محمد ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢١هـ، (ص٤٤٠).
(٢) الزجاج، أبوإسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ٣١١هـ، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب: بيروت ، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ، (١٩٧/٣).
(٣) هود: ٨٨.
(٤) الفساد ضد الصلاح، وحقيقته العدول عن الإستقامة، أو خروج الشيء عن الاعتدال، ينظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٤٨٢).
(٥) البقرة: ٦٦.
(٦) هود:٨٥
(٧) الشعراء: ١٥٠-١٥٢.
(٨) ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية: القاهرة، ١٣٦٩هـ، (٤٤٦/١).

وقال محمد رشيد رضا:(أصول الدين الإلهي على ألسنة الرسل كلهم هي الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح، فمن أقامها كما أمرت الرسل فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون)(١).

والكفار والمنافقون يدَّعون -كذباً وزوراً- أنهم على صلاح، وأنهم مصلحون، ولم يكتفوا بأنهم غير مفسدين فقط، بل تجاوزوها وادعوا أنهم مصلحون، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾(٢)، أي: لا تفسدوا في الأرض الافساد المتمثل بالنفاق وموالاة الكفار، قال الشوكاني:(لم يقفوا عند هذا الكذب البحت والزور المحض حتى جعلوا صفة الصلاح مختصة بهم خالصة لهم)(٣)، ويتظاهرون بالصلاح وهم يحاربونه، قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾(٤)، قال ابن كثير:(المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث)(٥)، ولا نستغرب ذلك، فالدعاوى الباطلة والشعارات الزائفة موجودة في كل زمان، ولا نجد فيها إخلاصاً ومصداقية، فهي من أجل مصالح شخصية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها، قال سيد قطب:(إن أية فكرة، أو عقيدة، أو شخصية، أو منظمة إنما تحيا وتعمل وتؤثر بمقدار ما تحمل من قوة كامنة وسلطان قاهر، هذه القوة تتوقف على مقدار ما فيها من الحق... وإلا فهي زائفة باطلة ضعيفة واهية)(٦).

---

(١) ينظر: رضا، محمد رشيد ، **مجلة المنار**، ذو الحجة ١٣٣٣هـ، مجلد ١٨ جزء ١٠، (ص٧٣٧)، بتصرف.

(٢) البقرة: ١١.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ١٢٠٥هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر: بيروت، (٤٢/١).

(٤) البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر: بيروت، ١٤٠١هـ، (٢٤٧/١)

(٦) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٤٩٢/١)، بتصرف يسير.

والكافر والمنافق تجده يعيش في أمراض وشبهات وشكوك، لذلك قال تعالى ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۢ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾(١)، وقال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾(٢)، فالعمل السيء مصدر عن فساد قصد القلب، ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة، فيزداد مرضا على مرضه حتى يموت، ويبقى لا حياة فيه ولا نور له(٣)، فتجدهم لا يبصرون حكمة الله في خلقه وأفعاله، فإذا أنزلت آية أصبحوا في فهم مرادها حائرين، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ۝٢٦﴾(٤)، يتساءلون عن مرادها!، لا يعون مراد الله بها وحكمته؛ لأن في قلوبهم مرض، وقلوبهم فاسدة.

والكفار ظالمون، ذلك أن الكفر أقبح الظلم، وأشنع الفساد، قال تعالى ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ۝٢٥٤﴾(٥)، ظلموا الحق فأنكروه، وظلموا أنفسهم فأوردوها موارد الهلاك، وظلموا الناس فصدوهم عن الهوى، وفتنوهم عن الإيمان، وموهوا عليهم الطريق، وحرموهم الخير الذي لا خير مثله، خير السلم والرحمة والطمأنينة والصلاح واليقين(٦)، وقال تعالى يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝١٥٢﴾(٧)، قال ابن مسعود:(بالكفر والعمل بالمعصية)(٨)،

(١) الحج: ٥٣.
(٢) البقرة: ١٠.
(٣) ابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الجوزية ٧٥١هـ، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة: بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ، (٦/١).
(٤) البقرة: ٢٦.
(٥) البقرة: ٢٥٤.
(٦) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٨٥/١).
(٧) الشعراء: ١٥٢.
(٨) الطبري، **جامع البيان**، (١٢٥/١).

أي: يفسدون في الأرض بالكفر وموالاة أهل الكفر وتعويق الناس عن الإيمان بالدين الذي ارتضاه الله -جلَّ وعلا- وصد الناس عن الإيمان بالرسول والقرآن، بدلاً من قبول هذه الدعوة والاستسلام والانقياد لها .

والشرك الذي وقع عند عامة الناس غالبه شرك الألوهية -العبادة-، فهم يقرون بتوحيد الربوبية، ولكنهم يشركون في الألوهية قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾(١)، قال أبوحامد الغزالي:(ولهذا بُعث الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله، وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله، فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشوئهم وفي عنفوان شبابهم)(٢)، وقال ابن الجوزي:(أكثرهم لا يعقلون توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق)(٣)، ويدل أيضاً على ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾(٤)، أي: يقرون بالربوبية ويشركون بالعبادة، وقال أكثر المفسرين:(أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان)(٥).

والكفر والشرك له صور عديدة، وأصل الشرك إعطاء حق من حقوق الله لغير الله، والقرآن الكريم بين صور هذه العقائد الفاسدة لأهل الكتاب والمشركين بياناً شافياً، كتكفير اليهود والنصارى؛ لتحريفهم التوراة والإنجيل، وفرية ألوهية عيسى -عليه السلام- وبنوته وصلبه، وفرية التثليث، وفرية الزوجة والولد بالنسبة لله تعالى عن ذلك، وفرية الشركية لله تعالى، وفرية التقرب بالأصنام، وعبادة ما لا ينفع ولا يضر، وتكذيب البعث، وإنكار الرسل، والإيمان ببعض الكتاب دون بعض، واتخاذ التشريع من دون الله، وطاعة الأحبار

---

(١) العنكبوت: ٦١.

(٢) الغزالي، أبوحامد ٥٠٥هـ، **قواعد العقائد**، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب: لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، (ص١٥٢).

(٣) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد ٥٩٧هـ، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي: بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ، (٢٨٣/٦).

(٤) يوسف: ١٠٦.

(٥) ينظر: القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ٦٧١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب: القاهرة، (٢٧٢/٩).

والرهبان في التحليل والتحريم، والاستهزاء بالله وآياته ورسله، وغيرها مما ذكرها القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم مليء ببيان صور الكفر، وخطره، وبيان مآله، والرد على مرتكبيه والواقعين فيه، وتفنيد حججهم، وبيان بطلانها، ومنافاتها للعقل(١).

قال ابن القيم:(إن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ونهى عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلا وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة رسوله، والدعوة إلى غير الله ورسوله)(٢).

ولا يكاد يذكر القرآن الكريم شيئاً من الشرك إلا حذر منه وبينه، حتى الشرك الأصغر المفضي إلى الشرك الأكبر، كالرياء والكفر العملي، وهو غير مخرج عن الملة، فهو كبيرة من كبائر الذنوب ومعصية وخطره عظيم ولا يوجب الخلود في النار، ولا يكفر صاحبه، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾(٣)، قال البغوي:(أي لا يرائي بعمله)(٤)، وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ

---

(١) وقد قسم العلماء الكفر إلى عدة الأقسام، للإستزادة ينظر: الحميدي، أ.د. عبدالعزيز بن محمد، **المنافقون في القرآن الكريم**، دار كنوز إشبيليا: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ، (ص٤٠)، ومحسن، حامد بن محمد بن حسين -توفي بعد- ١٣١٧هـ، **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**، تحقيق: بكر أبوزيد، دار المؤيد، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (ص٤٤).

(٢) ابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الجوزية ٧٥١هـ، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا وعادل العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار الباز: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، (٥٢٥/٣).

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود الفراء ٥١٦هـ، **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة: بيروت، (١٨٧/٣).

سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ۝﴾(١)، قال الشوكاني:(أي يراؤون الناس بصلاتهم إن صلوا، أو يراؤون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر؛ ليثنوا عليهم)(٢).

ومن الكفر العملي في القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝﴾(٣)، "والمراد بالكفر في الآية هو كفر النعمة، وهو كفر أصغر"(٤).

فالكفر معوق خطير، بل هو أخطر وأشنع معوق، إذ أنه يصيب صاحبه بالأمراض والأوهام والشكوك، ويجعله بعيداً عن الحق، ليس له ثمة هدف ينظر إليه، أهدافه كلها دنيويه، "والانحراف في العقيدة ينشأ عنه انحراف في العبادات والعادات، ويترتب على ذلك فساد في السلوك الاجتماعي"(٥)، وقد بين الله تعالى عظم انحراف هذا المعوق في قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝﴾(٦)، فما أشنع هذا المعوق الذي يهدي إلى سواء السبيل!، فقد يترتب على ضعف العقيدة وانحرافها "الضعف العام في الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدولة، وفي كل جانب من جوانب الحياة"(٧)، وقد أخبر تعالى أن هذا الكفر معوق ممقوت ومفسد في الأرض كما يُفهم من قوله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا

---

(١) الماعون: ٤-٧.

(٢) الشوكاني، **فتح القدير الجامع**، (٥/٥٠٠).

(٣) النحل: ١١٢.

(٤) ينظر: عطا، عبدالقادر محمد، **المفيد في مهمات التوحيد**، دار الأعلام، الطبعة الأولى :١٤٢٢هـ، ص١٨٥.

(٥) يوسف، د.محمد السيد، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، رسالة دكتوراه مطبوعة، دار السلام: مصر، الطبعة الثالثة: ١٤٢٨هـ، (ص١٣٧).

(٦) البقرة: ١٠٨.

(٧) سيد سابق ١٤٢٠هـ، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي: بيروت، (ص١٥)..

يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[١]، فالآية تصور أن التوحيد سبب في النصرة والنهوض والتمكين كما أن معوق الكفر سبب في الغلبة والتخلف والانحطاط، وحقاً أن "انحراف العقيدة سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى"[٢]، ومما يبين أيضاً مدى إعاقة هذا المعوق الشنيع الذي صد الناس عن الحق هو ما يترتب عليه من الآثار التالية:-

١- "الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار.

٢- وإن الكفر يورث الذل في الدنيا، والهوان على الله في الآخرة، ويورده موارد الهلاك والردى.

٣- ليس بعد الكفر ذنب.

٤- اشمئزاز الناس منه وتأذيهم من شره.

٥- معول هدم في المجتمع الذي يعيش فيه، وإن زعم الكافر أنه مصلح"[٣].

٦- الكفر يصيب صاحبه بالأوهام والشكوك.

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) ينظر: سيد سابق، **العقائد الإسلامية**، (ص١٥).

(٣) ينظر: مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، دار الوسيلة: جدة، الطبعة الرابعة، (٥٥٠٩/١١).

المطلب الثاني: الشيطان

الشَّيْطَان لغة: أصله من شَطَنَ، أي: بَعُدَ، سميَّ بذلك لبعده عن الحق(١)، وقيل: من شَاطَ إذا هَلَكَ(٢).

واصطلاحاً: يطلق على كلِّ عاتٍ متمردٍ من الجن والإنس والدواب(٣).

الشَّيَاطِيْن هم العصاة من الجن، وإبْليس هو أبوالجن وأصلهم ورأسهم(٤)، كما أن آدم أبوالإنس، والجن غير الملائكة، فهم من جنس آخر خلق من النار، قال تعالى ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾(٥)، فالشيطان الذي هو أبوالجن وذريته تمَرَدُوا وعَتَوْا عن أمْر الله وهم أعداؤنا، ومن صَلَحَ منهم ولم يتشيطن مثل أبيه، فهو من أخواننا في الله -عز وجل-، قال تعالى ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾(٦)، فالجن فيهم الصالح وغير الصالح، وأعداؤنا هم الشياطين الذين خرجوا وحادوا عن الحق، واتبعوا أباهم إبليس، وصاروا شراً على عباد الله، وكل إنسان معه قرين من الملائكة يأمره بالخير، وقرين من الشياطين يأمره بالشر(٧)، يستوي في ذلك الأنبياء وسائر البشر، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٢٣٧/١٣)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (١٨٣/٣)، والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ٧٢١هـ، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، (ص١٤٢).

(٢) الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري ٨١٥هـ، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، دار الصحابة للتراث: مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ (ص٥٨).

(٣) ينظر: الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٣٣٨).

(٤) ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٢٣٥/٤)، بتصرف

(٥) الحجر: ٢٧.

(٦) الجن: ١١.

(٧) ينظر: ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله ١٤٣٠هـ، **الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية**، دار الصميعي: الرياض، ١٤٣١هـ، (١٠٤/٤).

غُرُورًاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾(١)، وعن عبد اللهِ بن مَسعُودٍ قال رسول اللهِ -صلى الله عليه وسلم-:((ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟، قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير))(٢)، وأعمال الملائكة والشياطين على طرفي نقيض، فالملائكة ‘مالهم كلها خير وصلاح، والشياطين أعداء الله وأعمالهم كلها شر وفساد وتعوق الإصلاح وتأمر بالفساد والخراب والفرقة والتدمير والتمزيق، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر به أن يقطع، وكل فساد يحول على بني آدم لهم به صلة.

قال تعالى ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾(٣)، إبليس ليس من الملائكة بإعتبار أصله، ولكن كان منهم باعتبار الصورة والتبعية(٤)، وكان مأموراً بالسجود مباشرة قال تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾(٥)، فبسبب عصيانه، واستكباره، تحول إلى الكفر، فأراد أن ينتقم من الإنسان، بأن ينشر بينهم الخبث والفساد، قال تعالى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾(٦)، فلا يمكن أن يسلمَ الشيطان الأكبر، لخبر الله فيه -المَتلُوُّ إلى يوم القيامة- بأنه سيبقى على الكفر.

ولقدْ حَذرَنا الله تعالى في القرآن الكريم في عدة مواضع من إبليس وأتباعه من الشياطين، ومن مكايدهم وفتنهم، وأمرنا أنْ نتحَرَّزَ من شرهم، ولا نغفل عن مخططاتهم، في كل موضع، قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾(٧)،

---

(١) الأنعام: ١١٢.
(٢) أخرجه مسلم، **المسند الصحيح(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٨١٤، (٢١٦٧/٤).
(٣) البقرة: ٣٤.
(٤) ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٣٦٤/٤)، بتصرف.
(٥) الأعراف: ١٢.
(٦) ص: ٨٢-٨٣.
(٧) النحل: ٩٨.

وقال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾(١)، وفي سائر الأحوال، قال تعالى ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾(٢)، والمؤمن حُذِرَ من هذا العدو الذي أبان عداوته من زمن آدم -عليه الصلاة والسلام-، وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم، حتى قيام الساعة، يجتهد بكل ما لديه من جنود وأسلحة شيطانية، في إضلال وإغواء آدم وبنيه.

فقد جاء الأنبياء بالبيان الكافي، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي وتوافقوا على منهاج لم يختلف، فأقبَلَ الشيطان يخلط بالبيان شبهاً، وبالدواء سمّاً، وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام، ويحرمون السائبة والبحيرة والوصيلة والحام، ويرون وأد البنات، ويمنعونهم الميراث(٣)، وأيضاً فوق ذلك يزين لهم أعمالهم، ويحمدها ويجللها لهم، قال تعالى ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤٨﴾(٤)، وكما قال حسان بن ثابت:-

دَلاهُمُ بِغُرُورٍ ثمَّ أَسْلَمَهُمْ　　　　إنَّ الخَبيث لِمَنْ وَالاهُ غَرّارُ(٥)

وحزب الشيطان يعاونهم شياطين الإنس والجن، والضَّعِيْفُ المُسْتجيْبُ يُصدق ما يقولون من كذب ووعود وأماني، حتى إذا اجتمع الحق والباطل زهقَ هذا الباطلُ ومحيَّ،

(١) الفلق: ١-٥.
(٢) الأعراف: ٢٠٠.
(٣) ينظر: ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد ٥٩٧هـ، **تلبيس إبليس**، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، (ص١٠-١١).
(٤) الأنفال: ٤٨.
(٥) هذا البيت ذكره: ابن هشام، أبومحمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ٢١٣هـ، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، (٢١٧/٣).

واسْتَسْلَمَ للحق، وخُذل المُسْتجِيْبُونَ للشيطان، قال تعالى ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾(١)، فيُظهِرُ لهم النَّفع فيما فيه الضَّرر، وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه(٢)، قال ابْن القيم:(والفرق بين وَعْدِهِ وتمْنِيَتِهِ: أن الوعد في الخبر، والتمنية في الطلب والإرادة؛ فيعده الباطل الذي لا حقيقة له -وهو الغرور-، ويُمَنِّيه المحال الذي لا حاصل له)(٣)، فجماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان، أمران هما: الأمر بالشَّر ليرتكبه، والتّخويف من فعل الخير ليتركه، ولذلك وصف أولياء الشيطان المَخْدُوعِين به، بأنَّهم حزْبُه، وأنَّهم يقاتلون في سبيله، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾(٤)، فالطاغوت هو الشيطان، وأولياء الشيطان هم المُصَدِقون له من الكفار وغيرهم، وكيده متمثل في وساوسه وتزيينه الباطل وتمنيته ووعده لأولياؤه بالنصر القريب، وما هو إلا فساد وكذب ونصب واحتيال، وما هو إلا نصر ضعيف مقابل نصر الله النصر الحقيقي.

وهناك أيضاً شياطين الإنس، كما أخبر المولى -جلَّ وعلا- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾(٥)، قال ابْن عطية:(وإنهم يوحون إلى شياطين الإنس بالشر والوسوسة يتعلمها بعضهم من بعض)(٦)، وقد أمرنا الله بالاستعاذة منهم بقوله ﴿قُلۡ أَعُوذُ

---

(١) النساء: ١٢٠.

(٢) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ٦٨٥هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر: بيروت، (٢٥٦/٢).

(٣) ينظر: ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (١٠٧/١)، بتصرف يسير.

(٤) النساء: ٧٦.

(٥) الأنعام: ١١٢.

(٦) ابن عطية، أبومحمد عبدالحق بن غالب الأندلسي ٥٤٦هـ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية: لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، (٣٣٦/٢).

بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾(١).

ماذا يرجو الإنسان التارك لعُرْوَة الله من هذا الشيطان المتتبَّع لخطواته، من وصفهم الله بوصفٍ ما بعده وصفٌ، وحكم ما بعده حكمٌ، وعقابٍ ما بعده عقابٌ، ومآلٍ ما بعده مآلٌ؟!، قال تعالى ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ۝٢٧﴾(٢)، فالكفر هو أبْشَعُ الصفات، وأمْحَقُ الأحكا م، وعاقبته الخلود في النار الذي هو أعظمُ وأشدُّ العذاب، كما قال تعالى -مخبراً عن من كان هذا حالهم- ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾(٣)، فمن أعرض عن هداية الله، تمَكنَ الشيطان منه وخلي بينهما، قال تعالى ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِى وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِى ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ۝٣٩﴾(٤)، قال الآلوسي:(-الشيطان- دائماً لا يفارقه ولا يزال يوسوس له ويغويه، وهذا عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح)(٥)، وقد اقتضت مشيئة الله في خلقه الإنسان، أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه، ويصبح له قرين سوء يوسوس له، ويزين له السوء(٦) ، فهم يَصُدُّونَ النَّاس عن الحق بكل ما لديهم من أساليب ووسائل لصرف الناس عن عبادة الله، وصدَّ هم عن سبيله، حتى إذا أفاقوا من غَفْلَتِهم ندمُوا في يوم لا ينفع فيه ندم ولا اعتذار.

---

(١) الناس: ١-٦.
(٢) الإسراء: ٢٧.
(٣) غافر: ٤٦.
(٤) الزخرف: ٣٦-٣٩.
(٥) الآلوسي، **روح المعاني**، (٨١/٢٥).
(٦) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣١٨٩/٥)، بتصرف.

والشيطان له أهداف بعيدة وقريبة، فالبعيدة هي إلقاء الإنسان في نار جهنم، قال تعالى مخبراً عنه ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾(١)، فهذا هَمُّهُ ليلَ نهارَ، يبحث السُّبُل ويخطط المخططات، ويعمل مع جنده طرق الصدِّ والإغواء.

وكم من يهودي أو نصراني أو غيرهم، أحبَّ الإسلام وندم عما صَدَرَ منه من كفر وإعراض، وأراد التوبة إلى الله، ولكنَّ الشيطان ثبطه ومنَّاه وآخره وعَاقه عن ذلك الإصلاح، وسوَّفه، وأجَّل توبته، وسوَّف توبة كل عاصٍ، وكما قال بعض السلف:(أنذركم سوف، فإنها أكبر جنود إبليس)(٢)، وقال الشاعر:-

لا تعجل الذنب لما تشتهى   وتأمل التوبة من قابل(٣)

وعلى قدر مرض الجهل تكون قوة الشيطان، فكلما ازداد الإنسان جهلاً، زادت قدرة الشيطان وسيطرته عليه، وكلما ازداد الإنسان علماً قلَّ تمكنه منه، قال تعالى ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾(٤).

"فمن ترك هداية الله وما أرشد إليه من أعمال صالحة، ابتلاه الله باتّبَاع أرْذلهَا وأخسِّها وأضرِّها للعقول، قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾"(٥)(١).

---

(١) فاطر: ٦.
(٢) ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، (ص٤٨٧).
(٣) لم يذكر صاحب هذا البيت، ينظر: الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري االبغدادي ٤٥٠هـ، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ: بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ، (ص١١٧).
(٤) الحج: ٥٣.
(٥) البقرة: ١٠١.

قال الشيخ بدر الدين الشبلي الحنفي -رحمه الله-:(ما يدعو الشيطان إليه ابْن آدم ينحصر في ست مراتب: الكفر والشرك، والبدعة، والكبائر، والصغائر، واشتغاله بالمباحات، وأن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه؛ ليفوته ثواب العمل)(٢).

***أساليب مكائد الشيطان:-**

١- الغُلُوُّ في الصالحين، حتى يوقع الإنسان في الشرك، قال تعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍۢ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًۭا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾(٣) قال ابْن كثير:(أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلها من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً)(٤).

٢-الأمر بالفحشاء والمنكر، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًۭا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌۭ ﴿٢١﴾﴾(٥)، ووسائل الشيطان في دعوته إلى الفحشاء والمنكر: الوسوسة، والنَّزْغ

---

(١) ينظر: ابن السعدي، عبدالرحمن بن ناصر ١٣٧٦هـ، **القواعد الحسان المتعلقة بفسير القرآن**، دار البصيرة: الإسكندرية، (ص١٠٤)، بتصرف.

(٢) ينظر: الشبلي، بدر الدين أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحنفي ٧٦٩هـ، **آكام المرجان في أحكام الجان**، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن : القاهرة، (ص٢٢٥)، بتصرف.

(٣) المائدة: ٧٧.

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٨٣/٢).

(٥) النور: ٢١.

والهَمْز، والاستفزاز، والاسْتِهْواء[١]، قال الطبري:(وأما الفحشاء فهي مصدر مثل السراء والضراء وهي كل ما استفحش ذكره وقبح مسموعه)[٢].

٣-تزيين الباطل، قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾[٣]، قال ابْن القيم:(ومن مكايده -الشيطان- أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره، حتى يخيل إليه أنه أنفع الأشياء، وينفره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فلا إله إلا الله، كم فتن بهذا السحر من إنسان!)[٤]، ولقد كاد إبْليس اللعين آدم -عليه السلام-؛ إذ زين له الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه، فما زال به يزعم له أن هذه شجرة الخلد، وأن الأكل منها يجعله خالداً في الجنة، أو ملكاً من الملائكة، حتى أطاعه فخرج من الجنة[٥].

٤- الوَعْد والتَمْنِية، قال تعالى ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾[٦]، يَعِدُ الشيطان المريد أولياءه -الذين هم نصيبه المفروض- أن يكون لهم نصيراً ممن أرادهم بسوء، وظهيراً لهم عليه، يمنعهم منه، ويدافع عنهم، ويمنيهم الظفر على من حاول مكروههم والفلج عليهم[٧]، وما حقيقة هذا الوعد والتمنية إلا الخذلان والبطلان المبين، والهروب والفرار كما أخبر تعالى -في موضع آخر- ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ

---

(١) ينظر: الحواس، عبدالمنعم بن حواس بن محمد، **عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، نوقشت سنة ١٤١٤هـ، (٩٢٠/١-٩٢١)، بتصرف.

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٧٧/٢).

(٣) الحجر: ٣٩-٤٠.

(٤) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (٢١١/١).

(٥) الأشقر، عمر بن سليمان بن عبدالله ١٤٣٣هـ، **عالم الجن والشياطين**، دار النفائس: الأردن، الطبعة الخامسة عشرة: ١٤٢٣هـ، (ص٩٣).

(٦) النساء: ١٢٠.

(٧) الطبري، **جامع البيان**، (٢٨٦/٥).

نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾(١).

٥- الأنصَاب والأزلام، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾(٢)، الأنصَابُ: كلُّ ما عُبِدَ من دون الله تعالى(٣)، من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر(٤)، والأزلام قال ابْن عباس:(يعني القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور)(٥)، قال ابْن القيم:(ومن أعظم كيد الشيطان: أنه يَنْصِب لأهل الشرك قبراً مُعَظَّماً يعظمه الناس، ثم يجعله وَثناً يُعبد من دون الله، ثم يُوحِي إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته، واتخاذه عيداً، وجَعْلِهِ وَثناً؛ فقد تنقصَه، وهَضمه حقه)(٦).

٦- إلقاء الشُبُهَات والشكوك، قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾﴾(٧)، قال الشنقيطي:(أي: أن الشيطان يلقي وساوسه وشبهه ليصدّ بها عما تمناه الرسول أو النبي)(٨).

٧- السحر، قال تعالى ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ

---

(١) الأنفال: ٤٨.
(٢) المائدة: ٩٠.
(٣) ابن منظور، **لسان العرب**، (٧٥٩/١).
(٤) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (٣٨٣/١).
(٥) الطبري، **جامع البيان**، (٧٨/٦).
(٦) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (٣٨٨/١).
(٧) الحج: ٥٢-٥٣.
(٨) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني ١٣٩٣هـ، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥هـ، (٢٨٥/٥).

وَمَرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١)، قال ابن القيم:(وقلما يتأتى السِّحْر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب إليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو، فيكون ذبحاً لغير الله، وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق)(٢).

وعلى هذا يتبين أن الشيطان معوق خطير يقف أمام عباد الله، إذ أن هذا المعوق أول ما بان وظهر كان مع أبينا آدم -عليه السلام-، فمازال يكيد فيه ويمنيه حتى أخرجه من الجنة، ومازال أيضاً على هذا مع سائر العباد إلى قيام الساعة، وأوضح ما يبين هذا المعوق هو اعترافه لربنا -جل وعلا- وأخذه العهد على ذلك، إذ يقول تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾(٣)، فالشيطان يسعى لايقاع بني آدم في الشرك عن طريق اغرائه بهذا العمل، ويسعى لتفريق بني آدم وتمزيقهم شر ممزق، حتى ينتشر بينهم الكفرُ والغلُّ والشحناءُ والحقدُ، وقد حذر القرآن الكريم مراراً وتكراراً من هذا المعوق، وبين أساليبه بياناً شافياً -كما سبق ذكره-.

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) ابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الجوزية ٧٥١هـ، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا وعادل العدوي وأشرف أحمد، مكتبة نزار الباز: مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، (٤٦١/٢).

(٣) الحجر: ٣٩.

المطلب الثالث: الحكم بغير ما أنزل الله

لقد تجلى لنا القرآن الكريم بقاعدة واضحة، ألا وهي قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ۝٩﴾(١)، أي: أعدل وأصوب، قاعدة تجعل المؤمن يزداد يقيناً بعظمة هذا القرآن، ويرد على أصحاب الأهواء ببيان أنه الكتاب الوحيد الذي يصلح لكل زمان ومكان، وأنه علا على كل نظام وقانون، قال قتادة:(إن القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فذنوبكم، وأما دواؤكم فالاستغفار)(٢)، فهذه إشارة واضحة في كون القرآن يعالج كثيراً من الأدواء، وعلى الأمة أن تبحث عن علاجها فيه، قال الشنقيطي:(وهذه الآية الكريمة أجمل الله -جل وعلا- فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق، وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة)(٣).

وبتطبيق حكم الله تعالى في حياة الناس يعيش المسلمون حقيقة إسلامهم، وينعمون بخير رسالتهم، ويسعد بها الناس كافة؛ لأن به يظهر الحق، ويزهق الباطل، ويسود العدل، ويزول الظلم، ويغيب المنكر وينتشر المعروف، ويعبد الله وحده، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾(٤)، وبخلاف ذلك تكون المعوقات والمصاعب والآفات، فما أحوج المجتمعات إلى الإصلاح من خلال تطبيق شرع الله، لاسيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد نتيجة هذا المعوق الممحوق، والذي عمَّ بسببه البغي والظلم، ولم تستطع القوانين البشرية معالجته ولا استئصاله، وكيف لا، والله -جلَّ وعلا- يقول ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ

---

(١) الإسراء: ٩.
(٢) أخرجه البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين ٤٥٨هـ، **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، (٤٢٧/٥).
(٣) الشنقيطي، **أضواء البيان**، (١٧/٣).
(٤) الحج: ٤١.

﴿... يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾(١)، فكم نحن المسلمين بحاجة إلى أن نستبدل هذا المعوق بتطبيق شرع الله في أنفسنا وبيوتنا ومجتماعتنا حتى يسود العدل ويزول الفساد!.

أصبحت حكوماتنا ومجتمعاتنا تستمد قوانينها من أعدائها، الذين يريدون إفساد هذا الدين القويم، وغفلوا عن تحذير الله -عز وجل- ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾(٢)، يريدون من المسلمين أن ينغرسوا في الشهوات، ويتعلقوا بالملهيات، وينشغلوا بالمفسدات، حتى لا تعلوا للمسلمين كلمة.

ولقد تأثر كثير من المسلمين بفكر العلمانية القائلة بفصل الدين عن الدولة، والحقيقة ما جرَّ أولئك العلمانيين إلى هذا الفصل إلا إلحاد الملحدين منهم بالله -عز وجل-، وهناك من يتهم الأحكام الشرعية بالرجعية، وأنها ليست صالحة لكل زمان ومكان، وهذا القول بما فيه من الكفر، فإنه سوء أدب مع الله، ذلك أن الله هو الخالق الذي يعلم حين أنزل القرآن أن العباد سيقبلون على عصور مختلفة، ومتغيرات كثيرة، وانفتاح، وعلاقات، ومستجدات، وتطورات، فلم يتركهم هَمَلاً بل حفظ لهم القرآن ليرجعوا إلى هدايته، وحفظ لهم سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-؛ لتكون شارحة ومبينة لما أجمل فيه، فكل صانع أعلم وأتقن بما صنعه من غيره، ولله المثل الأعلى، قال د.محمد أبوالفتح البيانوني:(فكيف يسوغ لمؤمن أن تضعف ثقته بنجاح تطبيق شرع الله الخالق المبدع، وتقوى ثقته بنجاح تطبيق شرائع البشر القاصر الكافر ...!؟)(٣)، والدستور والقوانين حكم مبتور ناقص، وعرضة للتغيير والتبديل، وهي وضع بشري قابل للتطبيق في عصر أو زمن معين، ثم يصبح غير قابل للتطبيق والعمل، مما يقتضي تعديله أو تبديله، وكتاب الله لم يتغير منذ نزل، فهو حكم شامل كامل محقق للمصلحة العامة، غير قابل للتغيير أو التبديل، قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

---

(١) المائدة: ١٥-١٦.

(٢) البقرة: ١٢٠.

(٣) البيانوني، د. محمد أبوالفتح، **معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية**، طبعة اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة: الكويت، (ص٢٦).

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾(١)، والقرآن من عند رب البشر، قال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾(٢).

والقوانين الوضعية تقتصر على تنظيم العلاقات الاجتماعية فحسب، لا تعنى بالعقائد والدين والأخلاق إلا بقدر محدود جداً، وهو ما يمس تنظيم المعاملات أو العلاقات الاجتماعية، وليس لها صفة الشمول والعموم والاطراد إلا في داخل الدولة فقط، لذا اختلفت الدول في قوانينها وأنظمتها، وتغايرت وتصادمت، مما يثير عناءً وقلقاً لدى المتعامل مع أفراد دولة أخرى، فهو في قلق واضطراب وبحث مستمر عن مضمون هذا القانون أو ذاك(٣)، فهي ليست شاملة لكل أحكام الشريعة، ولكل مكان وزمان.

وأنكر الله على أهل الكتاب عندما قاموا بتجزئة دينهم، حيث آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، فندد بهم بقوله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ ﴿٨٥﴾﴾(٤)، فكيف بأصحاب الدين الشامل، إذا فعلوا فعلهم، ونحوا نحوهم!!(٥).

وحذر الله -جلَّ وعلا- في القرآن العظيم من هذا المعوق الخطير في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾(٦)، وفي موضع آخر قال ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٧)، وفي موضع آخر

---

(١) المائدة: ٣.
(٢) فصلت: ٤١-٤٢.
(٣) الزحيلي، أ.د. وهبة، **تطبيق الشريعة واستمداد القوانين من معين الفقه الإسلامي**، بحث منشور في جامعة الكويت مجلة الشريعة، عدد ٩، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، (ص٧٧).
(٤) البقرة: ٨٥.
(٥) ينظر: البيانوني، **معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية**، (ص٣٧).
(٦) المائدة: ٤٤.
(٧) المائدة: ٤٥.

قال﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾(١)، قال ابن السعدي -في تفسيره لهذه الآيات الثلاث-:(فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفراً ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه)(٢)، وما أخرجه مسلم عن البراء: أن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) الثلاث الآيات في الكفار كلها(٣)، وهذا لا ينافي تناولها لغيرهم؛ لأن الأعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(٤)، فالمؤمنون هم الذين يحكمون بما أنزل الله، وهذا الأمر مفرق الطريق بين الإيمان والكفر، وبين الشرع والهوى، والآية السابقة اشتملت على كل من لم يحكم بما أنزل الله، سواءً كان حاكماً أو مسؤولاً، فهي عامة لكل من له سلطة وولاية، "حيث إن لفظ (مَنْ) في الآية جاء في معرض الشرط، والنهي في معرض الشرط يدل على العموم"(٥)، ومما يدل على العموم أيضا ما أخبر به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته))(٦).

قال سيد قطب:(إما أن يكون الحكام قائمين على شريعة الله كاملة فهم في نطاق الإيمان، وإما أن يكونوا قائمين على شريعة أخرى مما لم يأذن به الله، فهم الكافرون الظالمون الفاسقون، وأن الناس إما أن يقبلوا من الحكام والقضاة حكم الله وقضاءه في أمورهم فهم مؤمنون.. وإلا فما هم بالمؤمنين.. ولا وسط بين هذا الطريق وذاك ولا حجة ولا معذرة، ولا احتجاج بمصلحة، فالله رب الناس يعلم ما يصلح للناس ويضع شرائعه لتحقيق مصالح الناس الحقيقية، وليس أحسن من حكمه وشريعته حكم أو شريعة)(٧).

---

(١) المائدة: ٤٧.
(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٢٣٣).
(٣) أخرجه مسلم، **المسند الصحيح(صحيح مسلم)**، حديث رقم: (١٧٠٠)، من حديث البراء. (١٣٢٧/٣).
(٤) القاسمي، محمد جمال الدين ١٣٣٢هـ، **محاسن التأويل**، تحقيق: أحمد بن علي وحمدي صبح، دار الحديث: القاهرة، ١٤٢٤هـ، (١٥٠/٤).
(٥) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (٦/١٢).
(٦) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٨٥٣، (٣٠٤/١).
(٧) قطب، **في ظلال القرآن**، (٨٨٨/٢).

وحذر الله من الإعراض عن الشريعة أو نبذها، في قوله -جلّ وعلا- ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴿٢١﴾﴾(١)، قال ابن كثير:(أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحليل أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم)(٢)، فمن ذلك يتبين أن البشر إذا وضعوا لأنفسهم قوانين تنظم شؤون حياتهم نابذين بذلك شريعة الله فإنهم يكونون مشرعين بما لم يأذن به الله، وقد جاء القرآن بأسلوب استفهامي تعجبي وانكاري منددا بالإعراض عن حكم الله، قال تعالى ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾(٣).

قال سيد قطب:(تقوم نظرية الحكم في الإسلام على أساس شهادة أن لا إله إلا الله، ومتى تقرر أن الألوهية لله وحده، بهذه الشهادة تقرر بها أن الحاكمية في حياة البشر لله وحده، والله سبحانه يتولى الحاكمية في حياة البشر، عن طريق تصريف أمرهم بمشيئته وقدره من جانب، وعن طريق تنظيم أوضاعهم وحياتهم وحقوقهم وواجباتهم، وعلاقاتهم وارتباطاتهم بشريعته ومنهجه من جانب آخر)(٤).

والمؤمن بمقتضى عقيدته الإيمانية متطلع إلى الحق الذي أقره الله له، كما هو ملتزم القيام بما اقتضاه الله منه من واجب، وأي تعطيل لواحد من هذه الأحكام التي يوقن بأنها صادرة عن الله، وهو بموجب عقيدته مطالب بالتزامها وتنفيذها والخضوع لها، فيه تحول عن الحق وامتناع من تلقى الحكم عن الله: إما بسبب عدوان فيكون ظلما، أو بسبب شهوة فيكون فسقا، وإما بسبب جحود للعقيدة الأولى فيكون كفرا، ولهذا المعنى جاءت الآيات

(١) الشورى: ٢١.
(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (١١٢/٤).
(٣) الأنعام: ١١٤.
(٤) قطب، سيد ١٣٨٥هـ، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة السادسة: ١٣٨٣هـ، (ص١٠٠).

الثلاث -التي سبق ذكرها- من سورة المائدة، مؤكدة لهذه الأوصاف القائمة بالمتحاكمين لأحكام الله من المسلمين أو بالمعطلين لها من المنتسبين للإسلام(١).

ومما يدل أيضاً على وجوب تحكيم الشريعة على ولاة الأمر، قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾(٢)، وأورد ابن جرير الطبري رواية عن علي -رضي الله عنه- قال فيها:(حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدى الأمانة، وإذا فعل ذلك، فحق على الناس أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا)، ثم قال الطبري -في آخر الحديث-:(وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال هو خطاب من الله ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا في فيئهم وحقوقهم وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية والقسم بينهم بالسوية) ثم قال:(إن الله يأمركم يا معشر ولاة أمور المسلمين أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيتكم، من فيئهم وحقوقهم وأموالهم وصدقاتهم إليهم على ما أمركم الله، بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له بعد أن تصير في أيديكم لا تظلموها أهلها ولا تستأثروا بشيء منها ولا تضعوا شيئاً منها في غير موضعه، ولا تأخذوها إلا ممن أذن الله لكم بأخذها منه قبل أن تصير في أيديكم، ويأمركم إذا حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف، وذلك حكم الله الذي أنزله في كتابه وبينه على لسان رسوله، لا تعدوا ذلك فتجوروا عليهم)(٣)، فالدين أمانة، والشريعة أمانة، والحكم بالشريعة أمانة، والأمانة واجبة، فالحكم بالعدل يستوجب الحكم بكتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، قال ابن تيمية:(فأما الأمر باتباع الكتاب والسنة فكثير جداً)(٤).

وتحكيم الشريعة مرتبط ارتباطاً وثيقاً وأساسياً بالعقيدة، مما يدل على عظمها وخطرها، على الحاكم أولاً وعلى المجتمع ثانياً، فجاءت أحياناً آيات تحكيم الشريعة مرتبطة بتوحيد العبادة، قال تعالى ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

---

(١) الخوجة، د. محمد الحبيب، **وجوب تطبيق الشريعة**، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، ١٣٩٦هـ، طبع سنة ١٤٠١هـ، (ص١٥).
(٢) النساء: ٥٨.
(٣) الطبري، **جامع البيان**، (١٤٥/٥-١٤٦).
(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٤٩٩/٢٠).

أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴿٤٠﴾﴾(١)، وارتبطت بتوحيد الربوبية، قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾(٢)، وارتبطت بتوحيد الأسماء والصفات، قال تعالى ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾﴾(٣)، وارتبطت بالإيمان، قال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾(٤)(٥)، فالمقصود أنه يجب على جميع العباد أن يؤدوا حق هذا التوحيد والعقيدة بتحكيم شريعة الله، فإن الله هو الحاكم، والشريعة شريعته، والملك ملكه، والخلق خلقه، ليس لأحد من البشر حق في التشريع أو التقنين أو التحليل أو التحريم، بل الحق في ذلك لله وحده.

قال سيد قطب:(وفي النظام الإسلامي لا يشارك الله سبحانه أحد، لا في مشيئته وقدره، ولا في منهجه وشريعته.. وإلا فهو الشرك أو الكفر!، وبناء على هذه القاعدة لا يمكن أن يقوم البشر بوضع أنظمة الحكم وشرائعه وقوانينه من عند أنفسهم؛ لأن هذا معناه رفض ألوهية الله، وادعاء خصائص الألوهية في الوقت ذاته.. وهذا هو الكفر الصراح)(٦).

وهذا كله ثمار يُجنى بسبب ضعف الوازع الديني عند المسلمين، وبسبب ضعف الحكام الذين غفلوا عن النظام المتكامل الذي جاءت به شريعتهم الإسلامية، والذي بدوره يعالج جميع المعوقات التي ابتليت بها الأمة، ولكونه ينظم سلوك الجماعة، ويضبط

---

(١) يوسف: ٤٠.
(٢) الأعراف: ٥٤.
(٣) الممتحنة: ١٠.
(٤) النور: ٥١.
(٥) ينظر: المحمود، د. عبدالرحمن بن صالح الحمود، **الحكم بغير ما أنزل الله-أحواله وأحكامه-**، دار طيبة: الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ، (ص٢١-٢٥)، بتصرف.
(٦) قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، (ص١٠٠).

تصرفات الأفراد في أعمالهم وعلاقاتهم فيما بينهم وبين خالقهم، وفيما بينهم وبين ذوات أنفسهم، وفيما بين المكلفين بعضهم مع بعض.

قال محمد رشيد رضا:(ولعمري إن الشبهة في الأمراء الواضعين للقوانين أشد، والجواب عنهم أعسر، وهذا التأويل في حقهم لا يظهر، وإن العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمنًا مذعنًا لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكمًا، ثم هو يغيره باختياره، ويستبدل به حكمًا آخر بإرادته إعراضًا عنه، وتفضيلاً لغيره عليه، ويعتد مع ذلك بإيمانه وإسلامه. والظاهر أن الواجب على المسلمين في مثل هذه الحال مع مثل هذا الحاكم أن يلزموه بإبطال ما وضعه مخالفًا لحكم الله، ولا يكتفوا بعدم مساعدته عليه ومشايعته فيه، فإن لم يقدروا فالدار لا تعتبر دار إسلام فيما يظهر، وللأحكام فيها حكم آخر)(١)، وهذا رأي نقله الباحث لبيان شناعة هذا الفعل.

ونال الأعداء مرادهم وتمكنوا، فجعلوا اسم التعصب -بمعنى التمسك بالدين- بين المسلمين مسبة وعاراً، واتخذوا من هذا ذريعة لفصم عروة الدين وتوهين رابطته العامة، فضعف الحكام، وضعفت المجتمعات معهم، حتى صاروا يخافون من الأعداء ويخشونهم، ضعفوا واستسلموا لهم، فكان الأجدر بهم أن ينسلخوا عن أعدائهم، ويعتزوا بدينهم، ولا يخشونهم، ولابد من القوة والأمانة، قال تعالى ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ۝٣﴾(٢).

وفي هذه الظروف العصيبة التي يشعر فيها المسلمون بالضعف والهوان والفرقة وعدم الاستقرار، ليس لهم مخرج إلا بتدبر القرآن الكريم ودراسته بفهم واع، ثم تطبيقه على كل نواحي الحياة تطبيقاً عملياً واسعاً مبصراً، إنهم إن فعلوا ذلك أصبحوا أمة قوية عزيزة كريمة لها كيانها ووجودها، وسيكون خطوة في المسار الصحيح لإنشاء حضارة إسلامية عريقة مزدهرة(٣). قال ابن تيمية:(والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام، والأمانة ترجع إلى خشية الله وألا

---

(١) رضا، محمد رشيد ، **مجلة المنار**، غرة شعبان ١٣٢٢هـ، مجلد٧ جزء١٥، (ص٥٦١).
(٢) المائدة: ٣.
(٣) ينظر: أبوهزيم، د. أحمد فريد صالح، **منهج القرآن الكريم في التدرج وأثره في التغيير**، بحث منشور في جامعة الكويت مجلة الشريعة، عدد ٧٠، شعبان ١٤٢٨هـ، (ص٢٨-٢٩)، بتصرف.

يشتري بآياته ثمنا قليلا، وترك خشية الناس؛ وهذه الخصال الثلاث التي أخذها الله على كل من حكم على الناس)[١].

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٢٥٣/٢٨).

المبحث الثاني: وسائل علاج المعوقات العقدية

المطلب الأول: الدعوة إلى التوحيد

لقد أخبر الله -جل وعلا- أنه خلق الإنس والجن من أجل غاية واحدة، ليس هناك شيء أهم ولا أكرم منها، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(١)،"أنها دعوة التوحيد الخالصة"(٢)، وهي دعوة الأنبياء التي ساروا عليها ودعوا الناس إليها، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٣)، "وإن كل رسول -من الرسل الذين بعثهم الله تعالى- كان يدعو قومه إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يخلصوا الدين لله، ولا يشركوا معه أحداً"(٤)، ودعوة التوحيد خير ما يبدأ بها؛ لأنها هي الأهم، فإذا كان التوحيد خالصاً لله كان ما بعده أهون منه، فهو أساس البيت الذي بدونه يقع، وكل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، قال ابن القيم:(فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم)(٥).

والدعوة إلى التوحيد علاج للكفر والسحر والبدع والأهواء، فهذا موسى -عليه السلام- بسبب دعوته للتوحيد آمن له الكافر والساحر، قال تعالى ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١﴾(٦)، والمسلم له وظيفة لا ينبغي أن يتهاون فيها، ألا وهي وظيفة الدعوة إلى الله، قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(٧)، "والأمر بالمعروف هو الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن

---

(١) سورة الذاريات:٥٦

(٢) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (٢٣٥/٤).

(٣) سورة النحل:٣٦

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٠٣/١٤).

(٥) ابن القيم، **مدارج السالكين**، (٤٥٠/٣).

(٦) سورة الأعراف:١٢٠-١٢١

(٧) سورة آل عمران:١١٠

المنكر هو النهي عن الشرك"[١]، وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-:(كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل تدخلونهم في الإسلام)[٢]، وهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لبث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو فيها إلى توحيد الله تعالى[٣]، فالله -جل وعلا- يأمر عباده بأن يقيموا لله الدين الخالص، إذ يقول تعالى ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾[٤]، وهذا موسى نبي الله -عليه السلام- يأمره ربه مع أخيه هارون أن يدعوا أكبر طاغية على وجه الأرض -وهو فرعون- إلى التوحيد، قال تعالى ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [٥] ، يأمرهما تعالى بالذهاب إلى فرعون وإظهار المعجزات له لعله يتوب ويقبل دعوة التوحيد، إنها الدعوة الخالصة إلى الله، والميثاق الذي أخذه الله تعالى على النبيين، إذ يقول تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾[٦]، "إنه العهد الذي أخذ على أولي العزم وباقي أنبيائه من الدعوة إلى الله الخالصة، وإقامة دينه، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والإتفاق"[٧]، إنها الدعوة التي سيسألهم الله تعالى عنها يوم القيامة، وعن حال الناس معها هل قبلوها أم رفضوها؟، "فالأنبياء -عليهم السلام- يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، فلهذا قال شعيب -عليه السلام-: ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[٨]، ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٤/٤٥).
(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٤/٤٤).
(٣) ينظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٦٨٩، (٣/١٤١٦).
(٤) سورة الزمر:١١
(٥) سورة طه:٤٢-٤٤
(٦) سورة الأحزاب:٧-٨
(٧) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/٤٧٠).
(٨) سورة هود:٨٤

يشرعون في الأهم ثم الأهم"(١)، وأكد القرآن الكريم أيضاً الدعوة إلى التوحيد في قوله تعالى ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾(٢)، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾(٣)"وهي الدعوة إلى التوحيد بألا يكون النسك والذبح وسائر أنواع العبادة إلا لله خالصاً"(٤)، وقد بين الله تعالى كيف تكون الدعوة إلى التوحيد، إذ يقول تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾(٥)، ففي هذه الآية بين الله تعالى مراحل الدعوة إلى الله، "فأولها الدعوة بالحكمة بأن تكون على علم وتبدأ بالأهم فالمهم، فإن لم تنجح فالدعوة بالموعظة الحسنة المشتملة على الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فإن لم تنجح وكان المدعو يرى نفسه أنه على حق فالدعوة تكون بالمجادلة بالتي هي أحسن، باستخدام الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، بشرط ألا تؤدي المجادلة إلى الخصومة والشقاق فتذهب فائدتها، ودعوتهم تكون على حسب حال وفهم وقبول وانقياد كل واحد منهم"(٦)، فهذه المراحل جاءت على سبيل الترتيب، ولابد أن تكون الدعوة بالرفق واللين؛ لأنها أدعى للقبول، كما قال تعالى لموسى وهارون -عليهما السلام- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾(٧)، وقد رغب الشرع الحنيف بالدعوة إلى توحيده سبحانه، ورتب عليها الأجر العظيم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((لأن يُهدَى بك رجلٌ واحدٌ،

---

(١) الرازي، **التفسير الكبير**، (٣٣/١٨).
(٢) سورة الحج:٦٧
(٣) سورة الأنعام:١٦٢
(٤) ينظر، الطبري، **جامع البيان**، (١٩٩/١٧)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٩٤/١٢).
(٥) سورة النحل:١٢٥
(٦) ينظر: الشعراني، أبوالمواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي ٩٧٣هـ، **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار(الطبقات الكبرى)**، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (ص٣٦٥)، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٤٥٢).
(٧) سورة طه:٤٤

خيرٌ لك من حمر النعم))(١)، قال ابن القيم:(وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله، بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيراً له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس)(٢)، "فلابد أن يعلم الداعي إلى التوحيد أن هداية الخلق أفضل من كل عبادة"(٣)، وقد بين الله -جل وعلا- في القرآن الكريم أن دعوة التوحيد لابد أن تكون مدعمة بالحجج والبراهين، وإبطال دعوة الخصوم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾(٤)، "إن الله في هذه الآية يدعوهم ويدعو العقلاء إلى الفطرة الحقيقية التي تقرر أن الخلق كله لله، ولا أحد يملك منه شيئاً، فكيف إذاً يستطيع أن يكشف ضراً أصابه الله لعباده!"(٥)، "والسؤال في الآية هو سؤال استنكاري"(٦)، وجوابه الذي لم يستطيعوا أن يجيبوه: هو أنه لا أحد يستطيع دفع الضر عن نفسه فضلاً عن غيره، وعلى ذلك فإن أنتم علمتم حقيقة ضعفكم وحاجتكم إلى الله، فلماذا لا تعبدونه مخلصين له الدين؟!، "فلو تأمل الناظر في هذا النظم والترتيب في تقرير الدعوة إلى التوحيد والتنزيه، وإظهار فساد الشرك، عَلِمَ أنه لا طريق أوضح ولا أصلح منه"(٧).

وحتى يتم هذا العلاج بشكل سليم وعملي، فالباحث يقترح عدة اقتراحات، منها:-

١-اهتمام مؤسسات الدولة والعلماء ببيان الجانب التوحيدي بياناً شافياً للناس.

٢-محاربة الشرك وذرائعه من خلال عدم جلبه للبلاد -كاستقبال وإقامة حفلات الشعوذة في الأعياد والمناسبات والتي تسمى بالألعاب السحرية والخفية-، وعدم السماح للأفكار الكفرية

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٢٧٨٣، (١٠٧٧/٣).
(٢) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، (٦٢/١).
(٣) ينظر: ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد ٥٩٧هـ، **التبصرة**، تحقيق: د. مصطفى عبدالواحد، دار الكتاب المصري: مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، (٣١٤/٢).
(٤) سورة الزمر:٣٨
(٥) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٠٥٣/٥).
(٦) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٧/٢٤).
(٧) الرازي، **التفسير الكبير**، (٩٨/١٣).

والدسيسة في التدخل بالدين، واعدم السماح بالتأثير على الناس بشتى الوسائل والتي أخطرها التعليمية والإعلامية.

٣-إنشاء هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذات كفاءة عالية وضوابط شرعية، وعلم وأخلاق وأمانة؛ كي ترشد الناس إلى التوحيد، وتنهاها عن صور الشرك بطريقة صحيحة ومقبولة.

٤-تدريس مادة التوحيد في المدارس من بداياتها إلى نهاياتها؛ لتعلم الأطفال والشباب حقيقة التوحيد وفضله، وتحذر من الشرك وتبين مآله.

٥-إقامة دور متخصصة في تعليم الناس التوحيد الذي هو أهم للناس من الأكل والشرب.

المطلب الثاني: الوعظ والإرشاد

إن الموعظة لها تأثير عجيب، فهي مفتاح القلوب، وأنجح الوسائل المؤثرة، وقد اهتم القرآن الكريم بالموعظة أشد اهتمام، فقد وصف الله تعالى كتابه بأنه موعظة إذ يقول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾[١]، قال الطبري:(جعله الله للمؤمنين شفاء، يستشفون بمواعظه، من الأدواء العارضة لصدورهم، من وساوس الشيطان وخطراته، فيكفيهم ويغنيهم، عن كل ما عداه من المواعظ، ببيان آياته)[٢]، وكيف لا وهو قول رب العالمين!، "فهو في الحقيقة موعظة لأن القائل هو الله تعالى، والآخذ جبريل، والمستملي محمد، فكيف لا تقع به الموعظة"[٣]، إنها الموعظة التي هي: "الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب وشفاء الصدور المتضمن لعافيتها من داء الجهل والظلمة والغي والسفه، وهو أشد ألماً لها من أدواء البدن"[٤]، فكفى بها موعظة، ومن لم يتعظ بالقرآن فلا يعظه شيء، فالموعظة فيها مصلحة عظيمة للعباد؛ إذ في الوعظ كف عن الردى، وإرشاد إلى الهدى، ولاشك أن الموعظة هي من أهم أدوات الإبلاغ المؤثرة، ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بها في قوله ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾[٥]، "والبلاغة في الموعظة مستحسنة؛ لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها، والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها وأفصحها وأحلاها لدى الأسماع، وأوقعها في القلوب"[٦].

---

(١) سورة يونس:٥٧

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٩/١).

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، (١٤/٢).

(٤) ابن القيم، **مدارج السالكين**، (١٥٧/٣).

(٥) سورة النساء:٦٣

(٦) ابن رجب، زين الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ٧٩٥هـ، **جامع العلوم والحكم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٧هـ، (ص٢٥٩).

ومن الموعظة في القرآن الكريم ضرب الأمثال، وقد بين الله تعالى أن هذه الأمثال لا يتعظ ويعتبر بها إلا العاقل، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾(١)، وقيل: إن "العالم الذي عقل عن الله -عز وجل- فعمل بطاعته واجتنب سخطه"(٢)، ومن هذه الأمثال التي أمرنا الله بالاستماع لها والاتعاظ بها ما قاله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾(٣)، "أجمع المفسرون أن المقصود في المثل في الكلمة الطيبة: كلمة التوحيد، وفي الكلمة الخبيثة: الشرك"(٤)، مَثّلَ الله -جل وعلا- في الآية بين كلمة التوحيد لا إله إلا الله وهي الكلمة الطيبة وبين كلمة الشرك وهي الكلمة الخبيثة، وأما نوع هذه الشجرة التي مُثل عليها القرآن الكريم هي النخلة، حيث إن هذه النخلة لا يأتي ولا يثمر منها إلا كل خير يستفاد منه، كما بينتها السنة النبوية(٥)، وذلك أنها تؤكل "كل غدوة وعشية؛ لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً إما تمراً أو رطباً أو بسراً، كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره، وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً بل تصل إليه في كل وقت"(٦)، وأن الشجرة الخبيثة قيل: أنها "شجرة الحنظلة، وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الأرض"(٧)، فليتدبر المسلم ويتعظ من هذا المثال الذي بين وصور عظم جرم الشرك بالله بتشبيهه بالشجرة الخبيثة التي

---

(١) سورة العنكبوت:٤٣

(٢) ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب ٢٨٢هـ، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية: المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (٨١٢/٢).

(٣) سورة إبراهيم:٢٤-٢٦

(٤) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، (١١٣/٣).

(٥) ينظر الحديث: البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٤٤٢١، (١٧٣٥/٤)، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعاً:((أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها وتؤتي أكلها كل حين؟، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هي النخلة)).

(٦) البغوي، **معالم التنزيل**، (٣٣/٣).

(٧) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (١٠٦/٣).

لا يستفاد منها، فهو مثال يصور للمخالف عظم معصيته وفريته على الله، وقال تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾(١)، "الأعمى والبصير: الجاهل والعالم، ولا الظلمات ولا النور: الكفر والإيمان، ولا الظل ولا الحرور: الجنة والنار، وما يستوي الأحياء ولا الأموات: المؤمنين والكفار"(٢) ، أمثلة تدل على بلاغة القرآن، تشبيه مؤثر، مَثَّلَ حال الإنسان أحسن تمثيل في دنياه وآخرته بأنه يبصر، وأنه في نور، وأنه في ظل الجنة، وأنه حي، ما أجمل هذا التشبيه، وشبه الكافر أدق تشبيه بأنه أعمى وفي ظلمات وفي النار وأنه ميت، فضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه في: "أمور التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس، وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، والله أعلم "(٣).

ومن المواعظ والإرشاد ما خاطب به الله -جل وعلا- الإنسان أحسن خطاب، إنه خطاب بدأ فيه بالعاطفة، وما أحوج كثير من الناس للإقناع العاطفي، وذلك أن "للنفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير فتحتاج إلى إقناع عقلي، وقوة وجدان فتحتاج إلى إقناع عاطفي"(٤)، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝﴾(٥)، أي: "يامعشر الإنسان ما الذي غرك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا فأحسن إليك بإكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلاً فاهماً، ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدِرُ على جحد شيء منها! ، أكان اغترارك تهاوناً منك في حقوقه؟، أم احتقاراً منك لعذابه؟، أم عدم إيمان منك

---

(١) سورة فاطر:١٩-٢٢

(٢) ينظر: الواحدي، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، (٨٩٢/٢)، والبغوي، **معالم التنزيل**، (٥٦٩/٣)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٣٣٩/١٤).

(٣) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، (٨١٥/٤).

(٤) ينظر: دراز، **النبأ العظيم**، (ص١٤٨).

(٥) سورة الانفطار:٦-٨

بجزائه؟"(١)، ولكن ما كان حال الإنسان من هذا إلا أنه كان كما قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾(٢)، ولكن الله شدد على الإنسان بالموعظة واستخدم معه أسلوب الترهيب في قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾(٣)، أي: "بل أنتم مع هذا الوعظ والتذكير ما زلتم مغترين ومطمئنين ولم تتعظوا من حسن الخطاب، وما زلتم مكذبين، ولكن قد وكلنا عليكم ملائكة، يحفظون كل ما تقولون وتفعلون، ثم ستندمون على كل ما فعلتموه"(٤)، ثم قال تعالى -مبيناً مآل هؤلاء المكذبين المغترين- ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾(٥)، وهذا جزاء ما تكتبه الملائكة من جحود واغترار وكفر، فهم لقوا ما زرعوه، والجزاء من جنس عملهم، وكرر الله في الآيات يوم الدين، للتأكيد ولعظم وهول المنظر، حتى أنه يصل من شدته إلى أنه لا يدري أحد عن مقدار هوله وشدته"(٦).

ومن المواعظ الهامة ما جاء بها القرآن الكريم -محذراً من خطورة الحكم بغير ما أنزل الله-، قال تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾(٧)، وقال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٨)، وقال تعالى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ

---

(١) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (٣٩٥/٥)، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٩١٤).
(٢) سورة الأحزاب:٧٢
(٣) سورة الانفطار:٩-١٢
(٤) ينظر: أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (١٢٢/٩)
(٥) سورة الانفطار:١٤-١٩
(٦) ينظر: ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (١٨٣/٤)، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٩١٤).
(٧) سورة المائدة:٤٤
(٨) سورة المائدة:٤٥

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾(١)، وقال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾(٢)، لقد حذر الله في الآيات الأربع من عدم تحكيم شرع الله -عز وجل- من أجل خشية الناس، أو لأي سبب كان، "فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر والفسق، وقد يكون كفراً ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وهو أعظم الظلم، وهو حكم الجاهلية، وكل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله فهو حكم جاهلية، فليس ثمة حكم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والبغي، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم والعدل والقسط والنور والهدى لمن آمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء"(٣)، وليت هؤلاء القوم الذين يتحاكمون إلى الطاغوت يتعظون بذلك، ويعلمون ما لاقته الأمم من الشرور جراء حكم الجاهلية القائم على ظلم العباد، والذي شجع على نشر الفاحشة والرذيلة، والله المستعان.

وجميل أن يختم في هذا المطلب بموعظة هي من أقوى المواعظ إن لم تكن أقواها للمتدبر، قال تعالى ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾(٤)، قال القرطبي:(إيجاز بليغ، والمعنى: الزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا، فأتى بلفظ موجز يتضمن المقصود، ويتضمن وعظًا وتذكيرًا بالموت)(٥).

والباحث يقترح أن يكون الوعظ والإرشاد من خلال الآتي:-

١-ارشاد الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من مكايد الشيطان وخطر تحكيم الطواغيت، ووعظهم من خلال منابر الجمعة ووسائل الإعلام المتنوعة بطريقة منظمة ومحضرة من لجان متخصصة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يشرف عليها نخبة من أهل العلم الموثوقين، وأن لا يتوقف هذا الأمر في منابر الجمعة فحسب، بل يكون ذلك أيضاً بعد

---

(١) سورة المائدة:٤٧

(٢) سورة المائدة:٥٠

(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٦٨/٢)، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٢٣٣).

(٤) سورة البقرة:١٣٢

(٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٣٧/٢).

الصوات المفروضة في المساجد من قبل إئمة المساجد، وأن يتم إنتهاز الفرص في اجتماع الناس لوعظهم وارشادهم بفضل الإلتزام بالدين وما يترتب عليه من الجزاء، وخطر الابتعاد عنه وما يترتب عليه من المساوئ والمفاسد والأثام.

٢-وعظ الوالدين لأبنائهم، من خلال تحبيبهم بالتوحيد ونحوه، وتحذيرهم من الشرك من خلال تصويرهما للشرك بأبشع الصور الشنيعة؛ حتى ينفروا منها.

٣-وعظ أهل العلم وطلبتهم للناس، والوعظ يكون أولاً في أهلهم ومن ثم أقاربهم وجيرانهم وسائر مجتمعاتهم في محافلهم.

المطلب الثالث: المحاجة والمناظرة

إن أول من سن المحاورة هم الملائكة -عليهم السلام-، قال تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾(١)، ولقد كان غرضهم من هذه المحاورة "هو الاستعلام والاستكشاف عن الحكمة في ذلك"(٢)، ولقد حث الله -جل وعلا- على محاجة ومناظرة المخالفين، قال تعالى ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾(٣)، أي: "جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر والمقدمات الأشهر، فإن ذلك أنفع في تسكين لهيبهم وتليين شغبهم"(٤)، والمجادلة بالحسنى لها حكمة عظيمة وهي: "أن الأنبياء لو قابلوا الخصوم بغلظة لنفرت طباعهم، وانصرفت عقولهم عن التسديد لما قالوا والتدبر لما جاؤوا به من البينات، فلا تتضح لهم المحجة، ولم تقم عليهم الحجة"(٥)، فيصل بالخصوم نتيجة الغلظة معهم أن يصبحوا كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾(٦)،"حملتهم الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم، وعدم قبول الحق"(٧)، ومن المناظرة المدعمة بالحجج في القرآن الكريم ما حصل بين إبراهيم -عليه السلام- والملك الذي ادعى الربوبية، قال تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي

---

(١) سورة البقرة:٣٠

(٢) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٧٠/١).

(٣) سورة النحل:١٢٥

(٤) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٤٢٦/٣)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (١٥١/٥)، والقاري، أبوالحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي ١٠٤١هـ، **جمع الوسائل في شرح الشمائل**، المطبعة المشرفية: مصر، (١٦٣/٢).

(٥) ينظر: ابن الحنبلي، ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم ٦٣٤هـ، **استخراج الجدال في القرآن الكريم**، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، (ص٥٤).

(٦) سورة البقرة:٢٠٦

(٧) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٤٩١/١)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢١١/١).

رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾(١)، "وما حمل الملك على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره"(٢)، وقد أخبر الله تعالى عن مناظرة نوح لقومه، حيث يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٣)، جادلهم نوح حتى أفحمهم وضيق عليهم السبل، وأقام عليهم الحجة، ولكنهم عجزوا عن القيام بالحجة، وقصروا عن رتبة المناظرة، واستكبروا وأبوا إلا العناد فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾(٤)، أي: "خاصمتنا بأنواع الخصام ودفعتنا بكل حجة لها مدخل في المقام، ولم يبق لنا في هذا الباب مجال، فقد ضاقت علينا المسالك وانسدت أبواب الحيل، فأتنا من العذاب الذي تخوفنا منه وتخافه علينا، استعجلوا نقمة الله وعذابه وسخطه، فأجابهم بأن ذلك ليس إليه، وإنما هو بمشيئة الله وإرادته"(٥)، فهذه الآيات تصور لنا مدى يأس وضعف قوم نوح من محاجة ومناظرة نبيهم، وذلك أنهم "قد يئسوا من مناهضة الحجة بالحجة، فإذا هم على عادة طبقاتهم قد أخذتهم العزة بالإثم، وأن يذعنوا للبرهان العقلي والفطري، فتركوا الجدل إلى التحدي بسؤال العذاب، وما هذا إلا من عجزهم وضعفهم وخوفهم من غلبة الحق، أما نوح

(١) سورة البقرة:٢٥٨
(٢) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣١٤/١).
(٣) سورة هود:٢٥-٢٨
(٤) سورة هود:٣٢
(٥) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (٤٩٥/٢)، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤٤٤/٢).

فلا يخرجه هذا التكذيب والتحدي عن سمت النبي الكريم، ولا يقعده عن بيان الحق لهم وإرشادهم إلى الحقيقة التي جهلوها وغفلوا عنها، فقد بين لهم أنه ليس بيده إلا البلاغ، وأما أمر العذاب فمن الله، هو الذي يدبر الأمر كله، ويقدر المصلحة في تعجيل العذاب أو تأجيله"(١)، وهذا إبراهيم -عليه السلام- قد جادل نفسه، وجادل أباه، وجادل قومه، فمن مجادلته لنفسه ما قاله تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾(٢)، "الآيات بينت كيفية استدلال إبراهيم -عليه السلام- ووصوله إلى رتبة اليقين"(٣)، لقد بين الله -عز وجل- كيف أن فطرة إبراهيم -عليه السلام- السليمة أظهرت ضعف الآلهة من حوله، وأنها لا تستحق أن تعبد فلا هي تبقى ولا تجيب ولا تكشف الضر، ومن مجادلة إبراهيم لأبيه ما حكاه الله تعالى ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾(٤)، لقد صورت لنا الآيات كيف أن إبراهيم -عليه السلام- أراد أن يحرر أباه من عبادة الأصنام إلى عبادة الله، "وصورت لنا مدى الصراع بين الإيمان والكفر، والمؤمنين والكافرين، وأن هذا الصراع قد وصل إلى أن فرق بين الابن وأبيه"(٥)، وما أجمل هذا الأدب، إنه أدب الابن مع أبيه، وهو أدب النبوة، مع ما واجهه من أبيه من شدة وغلظة، فما أحلم إبراهيم -عليه السلام-!، وصدق

---

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (١٨٧٥/٤).
(٢) سورة الأنعام:٧٦-٧٨
(٣) القاسمي، **محاسن التأويل**، (٤٠٢/٤).
(٤) سورة مريم:٤٢-٤٦
(٥) الخطيب، عبدالكريم يونس ١٣٩٠هـ، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي: القاهرة، (٧٣٨/٨).

الله تعالى إذ يقول ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[١]، وهذا إبراهيم -عليه السلام- تجادل مع قومه ثم حطم الأصنام كلها إلا صنماً كبيراً؛ من أجل أن يكشف لهم مدى جهلهم وضعف آلهتهم، فيحكي الله -جل وعلا- ما دار بينهم بعد تحطيم إبراهيم للأصنام، قال تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾[٢]، لقد أقام إبراهيم عليهم الحجة الدامغة، التي جعلتهم ينكسون رؤوسهم ضائقة بهم الحيل، ولا يملكون إجابة عن حجته، فما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[٣]، هذه نتيجة الاستكبار، وهذا ديدن أهل الباطل في كل زمان ومكان، إذا عجزوا عن مواجهة الحق وأدلته القوية وبراهينه الساطعة، يلجؤون إلى التخويف والتهديد والتحدي والكيد، ولقد صورت لنا الآيات الجدل المحمود في القرآن قال الشوكاني:(فأما الجدال لاستيضاح الحق ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمتشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن وردهم بالجدال إلى المحكم، فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون)[٤]، وهناك جدل مذموم كما في قوله تعالى ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[٥]، "فالجدل المذموم هو كل جدل بالباطل، أو يستهدف الباطل، أو يفضي إليه، أو كان القصد منه التعالي على الخصم والغلبة عليه، فهذا ممنوع شرعاً، ويتأكد تحريمه إذا قلب الباطل حقاً، أو الحق باطلاً"[٦]، وهناك شروط للمناظرة لابد من معرفتها والعمل بها، ومنها:-

---

(١) سورة هود:٧٥

(٢) سورة الأنبياء:٦٢-٦٦

(٣) سورة الأنبياء:٦٨

(٤) الشوكاني، **فتح القدير**، (٤٨١/٤).

(٥) سورة الكهف:٥٦

(٦) مجموعة من الباحثين، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (١٢٧/١٥).

"١-أن يكون المناظر على علم بالكتاب والسنة والقواعد الأصولية ومقاصد الشريعة، والعلم بموضوع الحوار.

٢-الجهر بالحق دون مداهنة أو مجاملة، متجرداً لطلب الحق.

٣-الحوار بالحسنى، والرفق واللين، "فاللين من شعار الدعوة إلى الحق"(١).

٤-الهدوء والتثبت بالقول، واتقاء الزلل، دون مجازفة في القول ولا تسرع.

٥-أن يرتب المناظر أفكاره، وأن يكون عنده منطق البداهة.

٦-تجويد لغة الحوار؛ حتى يسهل على المخالف الفهم والاستيعاب.

٧-التسليم بالحق من أي مصدر جاء"(٢).

٨- أن يكون المناظر صابراً في مجادلته، لا ييأس من المخالف حتى يُوصل حجته، ويدمغ حجة المخالف.

ومن أجل أن يستفاد من هذه المحاجة والمناظرة بشكل صحيح، فيقترح الباحث الآتي:-

١-إقامة أماكن متخصصة تجمع الخصوم؛ لكشف الشبهات ودحضها، وأن يكون ذلك من أناس راسخين في العلم مشهوداً لهم بذلك، ومتجردين عن التعصب، وأن يلتزموا بضواط وشروط وأدب المناظرة المذكورة عند أهل العلم(٣)، وبقصد بيان الحق واتباعه.

٢-عدم ترك إقامة هذه المناظرات في أي مكان ومن أي أحد؛ حتى لا تفضي إلى العداوة والمشاحة والمفاسد.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٥/١٦).

(٢) ينظر: تركستاني، أحمد بن سيف الدين، **الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه**، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: السعودية، (ص٤٢-٥١).

(٣) ينظر: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (٧٨/٣٨).

المبحث الثالث: المعوقات السياسية

المطلب الأول: القوانين الوضعية

كانت المجتمعات قديماً تعيش بين ظلم وخوف، وعداوة وبغضاء، وجهالة عمياء، فأصبحت الحاجة لديهم ملحة إلى إقرار نظام، وسن قوانين لمصلحتهم، وتنظيم علاقاتهم، وسلوكهم، وصون حقوقهم على مبدأ العدل مع الحفاظ عليها، فجاء التشريع الإسلامي وعالج كثيراً من العادات والتقاليد والأعراف، فأبقى منها ما كان صالحاً، ورفض منها ما كان فاسداً، وحكم بين الناس بالعدل، وفشى بينهم الأمن والأمان، ونظم علاقاتهم، وصلحت سائر أمورهم، فازدهرت الأمة الإسلامية، وقويت أركان الدولة الإسلامية وشوكتها، فكانت صالحة لكل الأجناس، ولكل زمان ومكان، إلى أن جاءت القوانين الوضعية، وحلت محل التشريع الإسلامي، وظنوا أنهم سيسعدون الناس بها، وأنها تضمن لهم حياتهم، وتنعم عليهم بالرفاهية والمساواة، ولكنهم عجزوا عن ذلك، وما كان منها إلا أن بدلت حالهم من الأمن إلى الخوف، ومن العدل إلى الظلم، ومن حسن العلاقة إلى عداوة وبغضاء، فضعفت الأمة وتفككت، فكان هذا جزاء الإعراض عن هذا التشريع الإسلامي القويم، قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(١)، وذلك أن العقول البشرية لا يمكنها الإحاطة بكل شيء، فهي محدودة الإدراك والعلم، والناظر المنصف سيعلم مدى إعاقة هذا المعوق (القوانين الوضعية) على الجانب السياسي وغيره من الجوانب، إذ أن القوانين الوضعية لم تكتسب منها الأمة إلا الظلم والبغي، والعداوة والشحناء، وساعدت على نشر الجريمة والفاحشة والرذيلة، وكفلت للمجرم الحياة الآمنة الهنيئة من خلال ما توفره الدولة في السجون من مرقد ومأكل ومشرب وملعب، وأنها جعلت الأمة دائماً في صراع لاختلاف الآراء والأنظار في تطبيق هذه القوانين، فهي شجعت على التحايل، وسهلت طرق الإفلات، ولم يرتدع المجرم منها، لاسيما مع تأخيرها لتطبيق الأحكام، ولم يُدخل هذا المعوق على الناس الخوف في السر والرهبة من أداء الجرم، لاسيما في الخلوة، ومع ذلك كله مازالت هذه القوانين ناقصة، وفي كل يوم تتجدد عليها الأمور، وهي مقتصرة فقط على تنظيم علاقة الأفراد فيما بينهم، وتحاول تطهير الأعمال مع ترك القلوب مدنوسة، وتفصيل ذلك يأتي من خلال تناول الباحث لأهم الفروق بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، التي تبين مدى

---

(١) الإسراء: ٩.

شناعة وجرم هذا المعوق الوضعي، والذي من خلال تتم معرفة الفروق وتتضح الحقيقة وتتبين، وهي على النحو الآتي:-

١- تميزت الشريعة الإسلامية عن سائر الشرائع والقوانين بأنها ربانية المصدر، فمصدرها هو الوحي من الله المتمثل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وأما القوانين الوضعية فإن مصدرها عادات الناس وتقاليدهم وأعرافهم، ومن خلال خبرة بعض الأفراد، والذي يفرق فيه بين الشريف والوضيع، فكيف لنا أن نقيس الناس برب الناس؟!، وهذا كله راجع إلى العقل الذي قد يخطئ ويصيب، ولا علاقة له بالوحي الرباني، وهذه هي الجاهلية بعينها التي حذرنا الله منها ومن الاحتكام إليها، قال تعالى ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾(١)، فهذا استفهام استنكاري يدل على سوء هذا الفعل، فمن أعرض عن حكم الله ولم يرتضه وأراد خلافه، فقد لجأ إلى حكم الجاهلية، "فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول، ابْتلي بالثاني المبني على الجهل، والظلم، والبغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى، فمبني على العلم، والعدل، والقسط، والنور، والهدى"(٢)، قال ابن حزم:(ولا عجب أعجب ممن يدع حكم الله وهو يقر أنه الحق، وأنه حكم الله تعالى، ويحكم بحكم الكفر، وهو يقر أنه حكم الشيطان الرجيم، وأنه الضلال المبين، والذي لا يحل العمل به، إن هذا لعجب عجيب)(٣).

٢- أن الشريعة الإسلامية كاملة الأصول والشمول، ولم تفرط في شيء من الحقوق والواجبات، فهي تمتاز بالسمو الدائم الذي يتخطى مستوى الجماعة، "وأنها غنية بالمبادئ والنظريات التي تكفل سد حاجات الجماعة في الحاضر القريب والمستقبل البعيد"(٤)، وأما القوانين الوضعية فالعقول التي قامت بوضعها عقول بشرية، فهي ناقصة، ولا يمكنها العلم والإحاطة والإدراك بكل ما تتطلب الحياة في سائر مجالاتها، وعجباً أن "هناك بعض الأغرار من الناس يقولون عن عناد أو جهل: إن في القوانين الوضعية ما يكفي لضمان

---

(١) المائدة: ٥١.

(٢) السعدي، ، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٢٣٥).

(٣) ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ٤٥٦هـ، **المحلى**، دار الآفاق الجديدة: بيروت، (٣٠٧/٩).

(٤) عودة، عبدالقادر ١٣٧٣هـ، **التشريع الجنائي في الإسلام**، دار الكتاب العربي: بيروت، (٢٤/١).

سلامة المجتمع وصيانته من البغي والعدوان"(١)، وصدق الحق حيث قال تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾(٢) ، قال الشوكاني:(عِلمُكم الذي عَلمَكم الله ليس إلا المقدار القليل بالنسبة إلى عِلم الخالق سبحانه، وإن أوتي حظاً من العلم وافراً، بل علم الأنبياء -عليهم السلام- ليس هو بالنسبة إلى علم الله سبحانه إلا كما يأخذ الطائر فى منقاره من البحر كما فى حديث موسى والخضر -عليهما السلام-)(٣)، فهذه القوانين الوضعية تنشأ غير مكتملة المبادئ والأحكام، فإن كانت هذه العقول البشرية ناقصة وجاهلة لما يحتاجه العباد من تشريع، فلا حاجة للإنسان فيها، وفي الحديث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع))(٤)، "هذه صيغة عموم، ربا الجاهلية، تبرج الجاهلية، حمية الجاهلية، ظلم الجاهلية، حكم الجاهلية، فهذا مكانها تحت الأقدام لا فوق الرؤوس"(٥).

٣-وتميزت الشريعة الإسلامية بالدوام والثبات والاستقرار، وأنها لا تقبل أي شطب أو تصويب أو تبديل، وبأنها شريعة ذات مرونة متينة؛ وذلك لأن هذا التشريع "يتناول الكليات من قضايا التشريع بالأحكام الفاصلة، ويدع الجزئيات؛ ليجتهد العلماء والفقهاء في إبداء الرأي فيها بما فيه المصلحة، وهذه مرونة لازمة ليتواءم مع ظروف الزمان والمكان دون مساس بأصول القواعد العامة"(٦)، فهي تحكم على كل حالة جديدة حتى وإن لم تحدث بعد، بخلاف القوانين الوضعية المعقدة التي يقع مرتكبوها في إشكالات، ويحتاجون إلى تجديدات؛ لأنهم يقعون في قضايا يختلف زمانها عما قبلها، أو قضايا ليس لها قانون يحكمها، فهذه القوانين ليست كاملة في البيئة الواحد والزمن الواحد، فكيف بسائر الأزمان؟!، وقد دلت "التجارب الحديثة على المستوى الدولي غلبة الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية، وذلك أن المتخصصين في القوانين الوضعية قالوا: إن أحسن نظام جنائي هو الذي يؤدي عملاً إلى نتائج أكيدة في كفاح الجريمة، وأن التجارب هي وحدها الكفيلة بإبراز هذا النظام

---

(١) إبراهيم، محمد إسماعيل، **القرآن وإعجازه التشريعي**، دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٨٢م، (ص٣٥).
(٢) الإسراء: ٨٥.
(٣) الشوكاني، **فتح القدير**، (٢٥٤/٣).
(٤) أخرجه: مسلم، **المسند الصحيح (صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٢١٨، (٨٨٩/٢).
(٥) المقدم، محمد إسماعيل، **سلسلة الإيمان والكفر**، دروس صوتية مفرغة، موقع الإسلام ويب، شريط رقم: ٢٠.
(٦) إبراهيم، **القرآن وإعجازه التشريعي**، (ص٣٤).

المنشود"(١)، ولا تخلو القوانين الوضعية من تعارض ومجاملات ومصالح، "فإن واضعيها وإن أفرغوا جهودهم في تطلب الحق لا يسلمون من الوقوع في ضلالات بسبب غَفلات، أو تعارض أدلة، أو انفعال بعادات مستقرة، أو مصانعة لرؤساء، أو أمم رأوا أن من المصلحة طلب مرضاتهم"(٢) ، كما هو الحال في كثير من الدول، حيث إنها قبلت كثيراً من القوانين الدولية على حساب المجاملة والمصالح، تحت اسم الحقوق، كحقوق الإنسان أو الشعب أو الأسرة أو المرأة أو الطفل وغيرها.

٤-أن التشريع الإسلامي ينظم حياة الأفراد والمجتمعات بين بعضها وبعض، بين حاكم وحكوم، وبين رجل وامرأة، وبين غني وفقير، وبين قوي وضعيف، كما أنها تنظم علاقات الدول بعضها مع بعض في الحرب والسلم، فهو ينظم شبكة اجتماعية كبيرة ومتينة، ومع ذلك فهو أيضاً ينظم أهم علاقة خلق الإنسان من أجلها علاقة الأفراد والمجتمعات مع الإله، بل إنها غرست في الأفراد مراقبة الله والخوف منه في السر والعلانية، فالجزاء في الشريعة الإسلامية دنيوي وآخروي، "فالدنيوي: ما يكون من أعمال الجوارح كالقتل والزنا وشرب الخمر وما يقدره القضاة وولاة الأمور كالتعزير، والآخروي: ما يكون من أعمال القلوب مما لا يطلع عليها إلا الله كالحقد والحسد وقصد الإضرار وعلى المخالفة في أعمال الجوارح إذا لم ينل العقاب الدنيوي، بل حتى لو نال الجزاء الدنيوي فقد لا يسلم من الجزاء الآخري، والجزاء الآخروي أشد من الدنيوي، ومن ذلك يحس المؤمن بوازع دنيوي قوي بضرورة العمل بأحكامه واتباع نواهيه، ولو أمكنه التفلت من الجزاء الدنيوي"(٣)، فطهرت الأجساد والقلوب، وأن الجزاء في التشريع الإسلامي لا مفر منه، وهذا كله ما تفتقر إليه القوانين الوضعية، "إذ إنها تنشأ لمعالجة الحاجة في مجتمع خاص وزمن خاص، ولا تصلح لكل المجتمعات والأزمان، ثم تتناولها بعد ذلك يد التغيير والتعديل والحذف والإضافة على ممر الأزمان، وطبقًا لحاجات المجتمع، وخير مثال لهذا، القانون الروماني الذي يعده القانونيون من مفاخر القوانين الوضعية القديمة، فإن هذا القانون ولد مع مولد مدينة روما سنة ٧٥٤ قبل الميلاد، ولم تتم قواعده إلا في عهد القيصر جوستنيان سنة ٥٣٣ بعد الميلاد، أي أنه لم يتم إلا في قرابة ثلاثة عشر قرنًا من الزمن، ومع هذا فلم يعد صالحًا للتطبيق في

---

(١) ينظر: عودة، **التشريع الجنائي في الإسلام**، (٧١٢/١).

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٣٣١/١٦).

(٣) ينظر: الصالح، أ.د. محمد بن أحمد، **المصادر الأصلية والتبعية للشريعة الإسلامية وقواعد الفقه فيها وبيان قدرتها على حل مشكلات المجتمع المعاصر**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة علمية محكمة: الرياض، العدد الثاني، ١٤١٠هـ، (ص٧٢)، بتصرف.

هذا الزمن، بل ولا فيما قبله بقرون، وكذلك الشأن في كل القوانين الوضعية تلحقها يد التغيير والتعديل والإضافة، وأحيانًا يكون ذلك منذ ولادتها وفي مهدها"(١)، والقوانين الوضعية اقتصرت على تنظيم علاقة الأفراد بين بعضهم بعض، دون علاقة الإنسان مع ربه، التي هي الغاية من خلقه، واقتصرت على الجزاء الدنيوي دون الآخروي، فليس لها من الآخرة شيء، ولم تجعل لقوانينها في النفوس هيبة واحتراماً، وإن أمكن الإفلات من هذا الجزاء الدنيوي فليس ثمة حساب، واقتصرت على أعمال الجوارح فقط، دون أعمال القلوب، فطهرت الأعمال وتركت القلوب مدنوسة.

٥-التشريع الإسلامي تشريع رادع زاجر للمجرم والظالم، يعتبر به الإنسان وينزجر، وكل جريمة لها حكم يناسبها، فهذا الحكم خاص بالله -سبحانه وتعالى-، فهو المالك والمتصرف والمشرع، فمن حكم بخلاف حكم الله فقد اعتدى وظلم بتجاوزه إلى حق غيره، قال تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٢)، "فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء"(٣)، قال ابن عبدالسلام:(وربما كانت أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح، لا لكونها مفاسد، بل لكونها مؤدية إلى المصالح، وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظاً للأرواح، كالمخاطرة بالأرواح في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفاسد، بل لكونها المقصودة من شرعها، كقطع السارق وقطع الطريق وقتل الجناة ورجم الزناة وجلدهم وتغريبهم، وكذلك التعزيرات، كل هذه مفاسد أوجبها الشرع لتحصيل ما رتب عليها من المصالح الحقيقية)(٤)، فإقامة الحدود وفق الشريعة الإسلامية تترتب عليها مصلحة عظيمة للعباد، ففيها يردع المجرم، ويعتبر غيره، ويعم الأمن في البلاد ويسود، قال الماوردي:(الحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به؛ لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة، وخفية من نكال الفضيحة، ليكون ما حظر من محارمه وما أمر به من فروضه متبوعاً، فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم، قال الله تعالى

---

(١) الصالح، **المصادر الأصلية والتبعية للشريعة الإسلامية**، (ص٧١).

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٨/٢).

(٤) ابن عبدالسلام، أبومحمد عزالدين عبدالعزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ٦٦٠هـ، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٢/١).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(١)، يعني في استنقاذهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصي وبعثهم على الطاعة)(٢)، والمجتمعات كلها تدعي أنها تريد صيانة النفس، وقطع الجرائم، ومن أجل ذلك فمن الطبيعي "أن يجعل الله للمفسدين والمعتدين على حقوق الغير والظالمين عقاباً عاجلاً في الدنيا؛ لكبح هذه النفوس صيانة للجماعة من شيوع الفساد وتفشي جراثيم الإجرام"(٣)، بخلاف القوانين الوضعية التي تفتقر إلى الروادع الزاجرة والقاسية للمجرمين، بل إنها تضمن للمجرم السلامة في العيش والمأوى والمرقد، من خلال السجون التي يأكل فيها المجرم وينعم، ويرقد فيها ويمرح، ومع ذلك فهي تعطي وتساعد على الاحتيال من خلال طول الاجراءات والوقت، وليس فيها رادع يمنع المجرم من معاودة الجرم، وهذه القوانين أيضاً ليست موحدة بين الدول، مما يشعر أنهم مختلفون، فلكل دولة لها قانون خاص يحكمها، "وعلماء الغرب وفلاسفته يعترفون بإفلاس حضارتهم، ويبحثون عن مخرج، وهذا أعظم الكتّاب الغربيين (برنارد شو) الإنجليزي في القرن العشرين يقول عن الإسلام في رسالته (نداء العمل):(فهو الدين الوحيد الذي يتقبل أطوار الحياة المختلفة)، وهو يرى في رسولنا: منقذ الإنسانية، ولو تولى الحكم رجل مثله حكم العالم الحديث، لنجح في حل مشكلاته العويصة، بما يحقق للعالم السلام والسعادة اللذين هما في أشد الحاجة إليها الآن"(٤)، فهذا دليل واضح على فشل القوانين الوضعية التي لا تزجر ولا تردع المجرم، بل هي تشجع على ذلك، فالزنا لا تمانعه ما دام لا إكراه فيه، إذا كانوا غير متزوجين وتجاوزا سن الـ ١٨ سنة، وهذا لا شك أنه إحلال لما حرم الله، قال أحمد شاكر:(إن هذه القوانين الأجنبية تقضي على ما بقي في أمتكم من دين وخلق، فأبيحت الأعراض، وسفكت الدماء، لم تنه فاسقاً، ولم تزجر مجرماً، حتى اكتظت السجون، وصارت مدارس لإخراج زعماء المجرمين، ونزعت من الناس الغيرة والرجولة، وامتلأ البلد بالمراقص والمواخير، وشاع الاختلاط بين الرجال والنساء، حتى لا مزدجر، وصرتم ترون ما ترون، وتقرؤون ما تقرؤون، في الصحف والمجلات والكتب، بما يسرت

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ٤٥٠هـ، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ، (٢٥٠/١).

(٣) عليان، د. شوكت محمد، **التشريع الإسلامي والقانون الوضعي**، دار الشواف: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، (ص٢٤٣).

(٤) ينظر: محمد، د. محمد عبدالجواد، **كيف حاد العالم الإسلامي عن صراط الشريعة الإسلامية**، بحوث في الشريعة الإسلامية والقانون، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، (ص٩٠-٩١).

من سبل الشهوات، وبما حمت من الإباحية السافرة المستهترة، وبما نزعت من القلوب الإيمان، حتى صار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً)(١).

ولا عجب من أن يأخذ هذه القوانين الغرب، ولكن العجب أن يأخذها المسلمون الذين قال الله -جل وعلا- في شريعتهم ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾(٢)، مع العلم أن هذا أمر مجمع عليه لدى كل الشرائع المنزلة، قال تعالى ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ۝٤٩﴾(٣)، "أمره تعالى بالحكم بما أنزل الله أمر عام لأهل التوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحد في وقت من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج"(٤)، فعلى الأمة أن تتبع شريعتها الكاملة، فكلما بعدنا عنها تباعدت قلوبنا، وعاشت في العداوة والبغضاء والظلم والجرم، وصدق أبوبكر -رضي الله عنه- حيث قال:(وإن هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله)(٥).

---

(١) شاكر، أحمد محمد ١٣٧٧هـ، **الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين**، مكتبة السنة: القاهرة، الطبعة الثالثة، (ص٢٧).

(٢) المائدة: ٣.

(٣) المائدة: ٤٩.

(٤) ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني: مصر، (٤٣٨/٢).

(٥) الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ٩٧٥هـ، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٢٧١/٥).

المطلب الثاني: الملأ

الملأ: هم أشراف القوم وكبراؤهم، ويقال لهم ملأ؛ لأنهم هم الذين يملأون العيون[(١)]، أي: لا ترى العيون غيرهم، وفرعون لم يصبح فرعون إلا بالملأ؛ لأنهم هم الذين نصبوه[(٢)]، وردت لفظة (الملأ) في القرآن الكريم ٢٢ مرة[(٣)]، وخصهم الله بالذكر دون غيرهم؛ لأنهم أهل الحل والعقد والاستشارة في الدولة[(٤)].

الملأ لهم مكانة كبيرة عند القوم، فهم الذين يديرون البلاد، من خلال آرائهم ومشوراتهم على الولاة، فهم من يقبلون منهم الولاة ويسمعون، وكان الشريف من العرب إذا قتل، يجاوز قتله إلى من لم يقتله[(٥)] ؛ نظراً لمكانتهم عند القوم، وهم عادة الذين يزينون للولاة الطغاة الاستخفاف بالرعية، وهم في كل عصر موجودون، وهم أصحاب المنافع من مراكز وغيرها، يردون دعوة الحق لمنافاتها للباطل[(٦)]؛ من أجل عرض الدنيا، وخشية فوات منافعهم ومصالحهم، ولقد أخبرنا الله تعالى عن حال الملأ مع الأنبياء، وكيف كانوا يقفون أمام الدعوة ويكيدون لها، خوفاً على مناصبهم ومكانتهم بين الناس، ومن ذلك ما أخبرنا به المولى عن حال نوح -عليه السلام- وهو يصنع الفلك، وكلما مر عليه الملأ سخروا منه، فيخبر الله تعالى بجواب نوح عليهم، حيث قال تعالى﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ

---

(١) ينظر: الطبري، محمد بن جرير ٣١٠هـ، **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، تحقيق: عيسى الحميري، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، (٢٠٠/٢)، وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (١٥٩/١)،

(٢) ينظر: الشعراوي، محمد متولي ١٤١٨هـ، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم: القاهرة، (٦١٢٤/١٠).

(٣) ينظر: اللحام، محمد سعيد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار المعرفة: بيروت، الطبعة السابعة: ١٤٣٠هـ، (ص٨٨١-٨٨٢).

(٤) ينظر، الشوكاني، ، **فتح القدير**، (٥٢٣/٢)، وينظر: رضا، **تفسير المنار**، (١٢٥/١٢).

(٥) ينظر، الشافعي، محمد بن إدريس ٢٠٤هـ، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرّان (رسالة دكتوراة)، دار التدميرية: الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ، (٧٦١/٢).

(٦) ينظر: الجزائري، أبوبكر جابر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، غير مذكورة بيانات الطباعة، (٤٧٣/١).

﴿٣٨﴾(١)، أي: سوف تعلمون مستقبلاً من يأتيه عذاب يخزيه ويذله ويهينه، وهو عذاب النار(٢).

ولقد كانت سنة الله أن يجعل أتباع الأنبياء هم الضعفاء؛ وذلك أن الملأ يخشون على مناصبهم وملكهم، ولا ينظرون في مصالح الناس، بل ظنوا أن الأنبياء يطمعون في مراكزهم(٣)، قال تعالى ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾(٤)، قال العلماء في كون أتباع الأنبياء هم الضعفاء: لأنهم أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن السلطان والجاه، فليس لديهم حرص على منصب يضيع، ولا جاه يهدر، ويجدون في الدين عزاً ورفعة(٥)، فالضعفاء يتبعون الحق، بخلاف الكبراء الذين حجبهم كبرهم عن اتباع الحق، وهذا يدل على صدق مقالة هرقل حينما سأل أبا سفيان، عن أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم-: أهم أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال: هكذا هم أتباع الرسل(٦).

والقرآن الكريم "أشار إلى أنّ الملأ والقادة يضعون العوائق أمام تحقيق الإصلاح السياسي وغيره، إما بسبب الخوف على المنصب، وإما استبداداً برأيهم واستكباراً وطغياناً، وقد تجتمع كل هذه الدوافع في شخص واحد، كما هو الحال مع فرعون، فحينئذ تكون العوائق أشدّ، كما أنّ تغيير الفساد وإصلاحه سيكون أصعب"(٧).

---

(١) هود: ٣٨.
(٢) ينظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، (٥٤٣/٢).
(٣) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، ١٢٨٤هـ. **التحرير والتنوير**، دار سحنون: تونس، ١٩٩٧م، (٢٥٢/١١).
(٤) هود: ٢٧.
(٥) ينظر: الشنقيطي، ، **أضواء البيان**، (٤٣٣/٨).
(٦) ينظر: أخرجه البخاري، ، **الجامع الصحيح**، حديث رقم (٧)، (٨/١).
(٧) ياسين، د. يونس محمود صادق، **الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، رسالة دكتوراة، جامعة العلوم الإسلامية: عمّان، ١٤٣٣هـ، غير منشورة، (ص٢٥٣).

والملأ هم الذين يتصدون لدعوات الرسل بالإعراض والتكذيب والتسفيه والحرب الإعلامية المتنوعة الوسائل والأهداف، وهم من يمسك زمام المبادرة في ذلك ويحمل راية التكذيب والعصيان ويلوّحون بها للناس، وأما الأتباع والضعفاء فإنهم ينقادون لهم ويسيرون في القطيع، يهتفون باسم السادة ويصفقون لهم، ويصدقوهم فيما يخبرون؛ لأنهم اعتادوا على الذل والخنوع(١)، فالملأ هم من يقف ويعارض دعوة الله -جلّ وعلا-، قال ابن كثير:(الواقع غالباً أن من يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته)(٢).

أسباب عداوة الملأ :-

الأول: الكبر والاستبداد:-

وهذه أشنع صفة يتصف بها المخلوق، قال ابن تيمية:(الاستقراء يدل على أنه كلما كانَ الرجل أعظم استكباراً عَن عبَادَة الله كانَ أعظم إشراكاً بالله)(٣)، قال تعالى ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾(٤)، يخبر تعالى عن الكبر الذي وقف أمام دعوة شعيب-عليه السلام-، بل جاوزوا بكبرهم وكفرهم بتوعدهم إياه ومن معه بالنفي، قال الغزالي:(الإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان، فتعاليم الدين تنتهي بالناس إلى عبادة ربهم، أما مراسيم الاستبداد فترتد بهم إلى وثنية سياسية عمياء)(٥)، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((العزُّ إزَارهُ وَالكبْرِيَاءُ رِدَاؤهُ فمَنْ ينازعني عذَبْتهُ))(٦)، فما أكثر من نازع الله في صفاته!!.

(١) ينظر: ضميرية، عثمان جمعة، **مواقف الملأ من الدعوة إلى الله**، مقالة في مجلة البيان، العدد الثالث: ربيع الثاني ١٤٠٧هـ، (٥٠-٥١).
(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/٤٤٣).
(٣) ابن تيمية، ، **مجموع الفتاوى**، (١٠/١٨٩).
(٤) الأعراف: ٨٨.
(٥) الغزالي، محمد، **الإسلام والاستبداد السياسي**، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، (ص٢٠).
(٦) أخرجه مسلم، **لمسند الصحيح(صحيح مسلم)**، حديث رقم ٢٦٢٠ (٤/٢٠٣٦).

الثاني: حب الرئاسة والخوف على المنصب:-

فرعون كان على علم بوحدانية الله وربوبيته كما قال تعالى ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾(١)، ومع ذلك حمله حب الرئاسة والإعجاب بما أوتي من الملك إلى دعوة الألوهية له(٢)، قال ابن عاشور:(وأما قادتهم وكبراؤهم وأهل العقول منهم فهم يعلمون أنه من عند الله، ولكنهم غلب عليهم حبّ الرئاسة)(٣)، فهؤلاء الملأ جهلاً منهم ظنوا أن الرسول طامع وراغب بسيادة القوم، فخشوا على مناصبهم وسيادتهم، واتهموه بها، قال تعالى ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٤).

فحب الرئاسة كان سبباً في صدهم عن سبيل الله، قال تعالى ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾(٥)، قال الطبري:(أي: إن هذا القول الذي يقول محمد ويدعونا إليه من قول لا إله إلا الله شيء يريده منا محمد، يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعاً ولسنا مجيبيه إلى ذلك)(٦)، قال أبوالعتاهية:-

حبُّ الرّئاسةِ أطغى من على الأرضِ

حتى بغَى بَعضهُمْ منها على بَعضِ(٧)

وقال الشاعر:-

---

(١) سورة النمل:١٤

(٢) ينظر: أبوحيان، محمد بن يوسف الأندلسي ٧٤٥هـ، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، (٣٠٤/١).

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٧/٢٥).

(٤) المؤمنون: ٢٤.

(٥) ص: ٦.

(٦) الطبري، **تفسير الطبري**، (١٢٦/٢٣).

(٧) أبوالعتاهية، إسماعيل بن القاسم ٢٥١٠هـ، **ديوان أبي العتاهية**، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت: بيروت، ١٤٠٦هـ، (ص٨٧).

حُبُّ الرِّئَاسَةِ دَاءٌ لا دَوَاءَ لهُ

وَقلمَا تجدُ الرَّاضِينَ بالقسْم

فتسْتصْعَبُ عَليْهِ إجَابَة النُفُوس لهُ

طوْعًا إلا بالاسْتِـعْطَافِ(١)

الثالث: التقليد:-

معروف أن تقليد الآباء، ومتابعة العرف هي أشد العقبات التي قامت في وجوه المصلحين، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٢)، أي:"كما اتبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة، اتبع كل من كان قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة، بل بطريق التقليد المذموم"(٣)، هذا هو محض التقليد، بلا تفكر ولا تدبر ولا حجة ولا تدبير، وهي صورة مزرية تشبه صورة القطيع يمضي حيث هو منساق ولا يسأل!(٤)، ولقد ذم الله عقولهم لهذا التقليد، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(٥)، فالقرآن الكريم حطم قداسة الآباء والأجداد، ودعا إلى التفكر والتعقل وذم التقليد، قال ابن عطية:(وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد)(٦).

(١) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص٢٠٣).
(٢) الزخرف: ٢٣.
(٣) ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي ٧٤١هـ، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي: لبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٣هـ، (٢٧/٤).
(٤) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣١٨٢/٥).
(٥) البقرة: ١٧٠.
(٦) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٢٣٨/١).

المطلب الثالث: عدم التأسي بالقيادات السابقة

أمرنا الله -عز وجل- في القرآن الكريم بالتأسي بالقادة من الأنبياء والصالحين، قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(١)، ومعنى الاقتداء في كلام العرب: اتباع أثره والأخذ بهديه(٢)، وقال تعالى﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا ١٢٠﴾(٣)، أي: إمام يقتدى به(٤)، وقال تعالى﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾(٥)، وقال تعالى﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾(٦)، وجاء هذا مؤكداً في قوله تعالى﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ٦﴾(٧) قال السمعاني:(كرر المعنى الأول على طريق التأكيد)(٨)، ولو نظرنا في سير الأنبياء وما حصل بينهم وبين أقوامهم من خلال القرآن الكريم لوجدنا أن مقامهم لا يقتصر على الجوانب التعبدية فقط، بل يعدو إلى الاقتداء بهم في الجوانب السياسية وجميع ما يدخل في شؤون الحياة، فقد صور لنا القرآن الكريم صوراً رائعة من حياة الأنبياء، فقد كان "الرسول في قومه قائدهم وزعيمهم، ورئيسهم وحاكمهم، وقاضيهم، ومدير سياستهم الدينية والدنيوية، ولذلك أمر الله أتباع كل رسول

---

(١) الأنعام: ٩٠.
(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٦٦/٧).
(٣) النحل: ١٢٠.
(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٥٩١/٢).
(٥) النحل: ١٢٠.
(٦) الممتحنة: ٤.
(٧) الممتحنة: ٦.
(٨) السمعاني، أبوالمظفر منصور بن محمد ٤٨٩هـ، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٤١٥/٥).

بطاعة رسولهم"(١)، فالأنبياء صفوة البشر، وحملة الرسالات وسفراء الله منحهم من الصفات ما يؤهلهم لهذه المهمة العلية(٢).

ومعوق عدم التأسي بالقيادات السابقة يُوقع في الظلم والضلال والهزيمة والمخاطرة والفشل، وبيان ذلك أن القرآن الكريم يحث على التأسي بالأنبياء والصالحين الذين أمرنا بالاقتداء بهم حتى تنجو السفينة بحسن صنيع قائدها، من خلال التأسي بمن يحكم بشرع الله وبمن يؤدي الأمانة ويقيم العدل ويقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبمن يستشير من أصحاب العلم والخبرة ويتبع أسباب النصر من خلال الاستفادة في طرق التعامل مع الخصوم ومع الجند والرعية، وكالاستفادة بإعداد القوة وبيان أوقات اللين والحزم مع الخصوم أو الجنود عند وجود ثمة تساهل وتهاون، ووضع أصحاب الكفاءة والأمانة والخبرة في المكان المناسب كما وضع الملك يوسف -عليه السلام- لما علم منه الأمانة والخبرة، والاستفادة بمن يقيم حدود الله كما كان مع داود -عليه السلام-، قال تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ٢٦﴾(٣)، وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾(٤)، وبخلاف ذلك يحدث هذا المعوق والذي يصيب القادة بالضياع؛ نتيجة استبدادهم في الرأي وتكبرهم عن الاستفادة من أصحاب الخبرة وعدم اقتدائهم بالقادة الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، وها هو القرآن الكريم يأمر بالمشاركة في القرار والتعاون من خلال أمره لنبي الله ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، إذ يقول تعالى ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ

(١) حبنكة، عبدالرحمن حسن الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم: دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، (٣١٣).

(٢) ينظر: صوالحة، محمد كاظم رشيد، **القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤٠٨هـ، (ص١٨٠).

(٣) ص: ٢٦.

(٤)النساء: ٥٨.

وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾(١)، وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨﴾(٢).

ولقد كان القادة الصالحون يتبعون الأسباب حازمين آخذين بالرأي مستعينين ومستثمرين، قال تعالى في موضعين عن الرجل الصالح ذي القرنين بأنه متبع للأسباب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾(٣)، وأنه صاحب خبرات ويسعى في تطويرها، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢﴾(٤) وكان حازماً في إدارته واستخدامه مبدأ العقاب ومبدأ الثواب المادي والمعنوي، قال تعالى حكاية عنه ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا۝٨٨﴾(٥)، وليس هذا بمستغرب فقد كان أيضاً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حازماً حتى مع نفسه حيث إنه يقول:((لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))(٦)، وكان يستجيب هذا القائد الصالح للشورى، ويطلب من رعيته المعاونة في تدبير شؤون الدولة، وكان يستثمر طاقات وخبرات رعيته، قال ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ قَالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥

(١) آل عمران: ١٥٩.
(٢) الشورى: ٣٨.
(٣) االكهف: ٨٥.
(٤) الكهف: ٩١-٩٢.
(٥) الكهف: ٨٧-٨٨.
(٦) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٢٨٨، (١٢٨٢/٣)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٦٨٨، (١٣١٥/٣).

ءاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ۝٩٦﴾(١)(٢).

ولا تولى القيادة لمن طلبها ولمن لا يقوى عليها، قال تعالى ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾(٣)، ولقد كان القائد العظيم رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- يحرص على ذلك أشد الحرص، فقد قال:((إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله، ولا أحداً حرص عليه))(٤)، وكان لا يولي الضعيف، كما في قوله لأبي ذر -رضي الله عنه-:((يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم))(٥).

ولابد من التأسي بالقادة المعروفين بالعلم والقوة والقدرة والحرص على الرعية، واجتناب الخيانة والغدر والجبن والضعف، كما حصل في قصة بني إسرائيل عند اعتراضهم على اختيار طالوت؛ لأنه لا مال له ولا جاه يؤهله للقيادة، فبين الله أنه مؤهل بالعلم والقوة التي هي أفضل من ذلك، قال تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٢٤٧﴾(٦)، وكما أن من مؤهلات موسى -عليه السلام- القوة والأمانة، قال تعالى ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ۝٢٦﴾(٧)، وكما

---

(١) الكهف: ٩٤-٩٦.

(٢) ينظر: بواعنه، غازي عبدالله، **صفات قائد الأمة في سياق الكتاب والسنة**، مطبعة الروزنا: الأردن - اربد، ١٤٢١هـ، (ص١٩-٢٠).

(٣) القصص: ٨٣.

(٤)أخرجه مسلم، **المسند الصحيح(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٧٣٣، (١٤٥٦/٣).

(٥) **المصدر السابق**، حديث رقم: ١٨٢٦، (١٤٥٧/٣).

(٦) البقرة: ٢٤٧.

(٧) القصص: ٢٦.

أن صفة الأمانة والعلم توفرت في يوسف -عليه السلام-، قال تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾(١).

وهذا القائد النبي سليمان -عليه السلام-، كان مثالاً يقتدى به في القيادة، ومن ذلك عندما حرص وتفقد رعيته -بنفسه- فلم يجد الهدهد، "وهذا يدل على دقة القائد ويقظته وحسن أدائه وعلى حسن الترتيب والتنظيم في كتائب الجند"(٢)، قال تعالى ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ ما لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾(٣)، قال ابن العربي:(هذا يدل من سليمان على تفقده أحوال الرعية والمحافظة عليهم فانظروا إلى الهدهد وإلى صغره فإنه لم يغب عنه حاله فكيف بعظائم الملك)(٤)، ولقد توعد سليمان -عليه السلام- الهدد حينما غاب دون استئذان، مما يدل على أنه كان حازماً على الخطأ في قيادته حتى لا يتكرر الخطأ ويحصل التقصير وتشيع الفوضى في الجند، قال سيد قطب:(ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون فوضى، فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال لم يعد سراً، وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند)(٥)، فلا تهاون مع من قصر في واجبه، ولابد أن يكون القائد أيضاً مع كونه حازماً في مواضع، فعليه أن يكون هيناً مع رعيته، كما كان سليمان، عندما قبل عذر الهدهد ولم يعاقبه، ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾(٦)، قال القرطبي:(-هذا- دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم؛ لأن سليمان لم يعاقب

---

(١) يوسف: ٥٤-٥٥.
(٢) صوالحة، **القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن الكريم**، (ص١٨٩).
(٣) النمل: ٢٠-٢١.
(٤) ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبدالله ٥٤٣هـ، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر: لبنان، (٤٧٩/٣).
(٥) قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٦٣٨/٥).
(٦) النمل: ٢٧.

الهدهد حين اعتذر إليه وإنما صار صدق الهدهد عذراً)[١]، وكان سليمان -عليه السلام- قوياً شجاعاً مع خصمه، قال ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾[٢]، وللبيئة أثر بالغ في القيادة، فهذا سليمان -عليه السلام- "أهم ما يميز بيئته أنه ابن النبي الكريم داود، وداود هو أحد الأنبياء الكرام الذين جمعوا ما بين الملك والنبوة، بل كان -داود- أول من جمع بينهما... ولقد نجح داود في قيادته؛ لأنها جاءت من الميدان، فقد استحقها ببطولاته وحسن سياسته وقوة حنكته وعلو همته"[٣].

ولابد للقادة من التأسي بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فبهم تصلح أمور العباد، فهذا صالح -عليه السلام-، كان يأمر قومه بالمعروف، قال تعالى﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ٤٥﴾[٤]، وهذا لوط -عليه السلام-، كان ينهى قومه عن المنكر، قال تعالى ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤﴾[٥].

ولابد أن يكون القائد خلوقاً ليناً متواضعاً عَفواً صادقاً صابراً شاكراً، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معروفاً بحسن الخلق الرفيع، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾[٦]، وهذا موسى -عليه السلام- كان ليناً مع خصمه فكيف برعيته!، قال تعالى ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾[٧]، وهذا أيضاً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان متواضعاً مع رعيته عَفواً عنهم كما أمره ربه، قال

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٨٩/١٣).
(٢) النمل: ٣٨.
(٣) ينظر: سلوم، همام حسن يوسف، **سليمان -عليه السلام- في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية- فلسطين، ٢٠٠٦م، (ص٦٢-٦٣)، بتصرف.
(٤) النمل: ٤٥.
(٥) النمل: ٥٤.
(٦) القلم: ٤.
(٧) طه: ٤٣-٤٤.

تعالى ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾(١)، وقال تعالى ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ١٥٩﴾(٢)، وهذا إسماعيل -عليه السلام-، كان معروفاً بالصدق، قال تعالى ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾(٣)، ولقد أخبرنا الله -عز وجل- أن الرسل -قادة الأمم- صابرون، قال تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾(٤)، وهذا إبراهيم -عليه السلام-، كان شاكراً لله، قال تعالى ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾(٥).

وعلى القائد التأسي بما صنعه السابقين في طرق التعامل مع الخائنين، وكيفية تطوير قوة الجيش، قال تعالى ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾(٦)، قال سيد قطب:(الإسلام يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ولابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان)(٧).

---

(١) الحجر: ٨٨.
(٢) آل عمران: ١٥٩.
(٣) مريم: ٥٤.
(٤) الأحقاف: ٣٥.
(٥) النحل: ١٢٠-١٢١.
(٦) الأنفال: ٥٨-٦١.
(٧) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (١٥٤٣/٣)، بتصرف.

فالقائد المؤمن والموجه المسلم والداعية المستنير، يجب أن يدرس أحوال مجتمعه، ويعالج أمراضه، ويستوعب علومه، ويحاول التفوق عليها والتحليق فوقها([١])، وهذا لا يتم إلا من خلال الاعتبار بسنن السابقين، والاقتداء بهم، فبه تجلب المنفعة للعباد والبلاد، وتصلح أحوالهم، فدراسة أحوال السابقين من أفضل الطرق لتعلم القيادة الناجحة.

---

(١) صوالحة، **القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن الكريم**، (ص١٨٢).

المبحث الرابع: وسائل علاج المعوقات السياسية
المطلب الأول: تحكيم شرع الله

إن أهم مجال في الإصلاح السياسي يجب أن يبدأ به هو تحكيم شرع الله -عز وجل- وترك التحاكم إلى القوانين الوضعية، وذلك أن بحكم الله يسود في البلاد الأمن والأمان، ويحل فيه العدل، وينعم العباد بالاستقرار، ويصلح به الراعي والرعية، وهذا كله نتيجة اتباع حكم الله، قال تعالى ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾(١)، والأمم ما أصابها الظلم والبغي، وانتشار الفاحشة والرذيلة والفساد، وأصبح بأسها بينها شديد، إلا جراء ترك التحاكم من شرع الله إلى التحاكم إلى الطاغوت الذي هو حكم الجاهلية، قال تعالى ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾(٢)، الاستفهام في الآية هو للإنكار والتوبيخ، "وإن معنى الجاهلية هي حكم البشر للبشر؛ لأنها هي عبودية البشر للبشر، والجاهلية ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، والناس إما أنهم يحكمون بشريعة الله ويقبلونها ويسلمون بها تسليماً، فهم إذن في دين الله، وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر-في أي صورة من الصور- ويقبلونها فهم إذن في جاهلية وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في دين الله، والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية"(٣).

وإن القرآن الكريم جاء بأمور لم تجيء بها القوانين الوضعية، وجاء بمبادىء وأحكام يحتاجها كل حاكم يرغب في إقامة العدل بين رعيته، ومنها: ما جاء في إقامة العدل بين الناس، قال تعالى ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾(٤)، "وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل، وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت"(٥) ، وإن هذه الشريعة قائمة على المصلحة كما قال تعالى

---

(١) سورة الأعراف:٣

(٢) سورة المائدة:٥٠

(٣) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٩٠٤/٢).

(٤) سورة الحديد:٢٥

(٥) ينظر: ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **الاستقامة**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود: السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (٢٤٨/٢).

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾(١)، "فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل"(٢)، والشريعة الإسلامية قائمة أيضاً على مبدأ المساواة كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾(٣)، إنه مبدأ المساواة بين الشعوب في العرق واللون والجنس، والشريعة الإسلامية قائمة أيضاً على مبدأ الحرية كما قال تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾(٤)، فإن الإسلام جاء لتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، إنها الحرية وفق المنهج الإلهي، "وهذه الحرية بشمولها تتضمن الحرية الشخصية، وحرية الاعتقاد، وحرية التدين، وحرية الرأي، وحرية العمل، وحرية التصرف، وجميع مفردات الحريات السياسية التي تقتضيها حقوق الإنسان، وكل هذه الحريات جاءت بها الشريعة الإسلامية، فلا يسوغ أن تتعدى الأخلاقيات العامة، والحياء العام، وهذا التقييد في الحريات لا يعني انتقاصاً من حقوقهم، إنما هذا التقييد اقتضته الضرورة الشرعية لحمايتهم، ووقاية لهم من سوء المصير"(٥) وهذه لم تأتِ به جميع القوانين الوضعية، فإن هذه القوانين ما بين انفتاح مطلق أو تضييق منفر، والناظر في عهد الجاهلية يجد أن الناس كانوا يعيشون عند الملوك كالعبيد ليس لهم أدنى حرية ولا عدل ولا مساواة، وعندما دخل الإسلام أطلق هذه القيود والحريات، ولكن بحدود حتى لا يتعدى أحد على الآخر، فما أجمل ما تدعو إليه هذه الشريعة.

وإنه مع حداثة القوانين الوضعية إلا أنها تواجه عدم مرونة الأحكام فيها، مما يدعوها إلى حاجة التجدد والتشريع، بينما الشريعة الإسلامية نزلت منذ مئات السنين ومع هذا هي صالحة حتى يومنا هذا، سبحانك ربنا ما أعظمك!، تنعم علينا بما هو خير لنا ونحيد عنه إلى ما فيه شر وضرر لنا!، "وإن من الحقائق المسلمة أن الشريعة الإسلامية قد وسعت العالم

---

(١) سورة الحج:٧٨

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، (٣٨/١).

(٣) سورة النساء:١

(٤) سورة البقرة:٢٥٦

(٥) ينظر: التونجي، عبدالسلام، **الشريعة الإسلامية في القرآن الكريم**، دار الكتب الوطنية: بنغازي-ليبيا، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، (٧٦/١-٧٨).

الإسلامي كله، على تنائي أطرافه، وتعدد أجناسه، وتنوع بيئاته الحضارية، وتجدد مشكلاته الزمنية، وأنها -بمصادرها ونصوصها وقواعدها- لم تقف يوماً من الأيام مكتوفة الأيدي، أو مغلولة الرجلين أمام وقائع الحياة المتغيرة، منذ عهد الصحابة فمن بعدهم"(١).

وجاء القرآن الكريم ليحذر الراعي -الحاكم- من بطانة السوء ووجاهة الناس ومجاملتهم والاستماع لآرائهم الفاسدة بأن يحيد في الحكم عن شريعة الله ولو بجزء منها، فإن كثيراً من الناس متلبسون بالمعاصي التي تجعلهم يعيشون في غفلة، قال تعالى ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾(٢)، أي: "أن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم بالاستماع لهم وقبول كلامهم ولو لمصلحة في ذلك، كتأليف قلوبهم وجذبهم إلى الإسلام، فالحق لا يوصل إليه بطريق الباطل، واحذرهم أن يفتنوك وينزلوك عن بعض ما أنزل الله إليك لتحكم بغيره"(٣)، "والفتنة: وقوع البلاء والشدة نتيجة الإعراض عن الحكم بما أنزل الله"(٤).

فحكم الله هو أفضل علاج لما تعانيه الأمم اليوم من مشاكل وأمراض، وأن لهذا الحكم دواعي توجب الأخذ به والتحاكم إليه، وذلك أن "للتشريع الإسلامي خصائص ليست موجودة في جميع القوانين الوضعية، منها:-

١-كمال التشريع الإسلامي في نشأته، حيث إنه نشأ مكتملاً في زمن قليل.

٢-الجزاء على المخالفة في التشريع الإسلامي دنيوي وآخروي.

٣-غاية التشريع الإسلامي صلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

---

(١) القرضاوي، د. يوسف، **عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية**، دار الصحوة: القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، (ص٩).
(٢) سورة المائدة:٤٩
(٣) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (١٣٢/٦).
(٤) ينظر: الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٤٧٢).

٤-التشريع الإسلامي يلزم الناس بأخذ بعض الأحكام، بينما هناك أحكام لا يلزمهم بالأخذ بها، ولكنه يوجههم ويرشدهم إليها.

٥-النزعة في التشريع الإسلامي جماعية، وذلك أن مصلحة الفرد إذا قابلت مصلحة جماعية فإن المصلحة الجماعية تقدم"(١).

٦-أن للتشريع الإسلامي مرونة في الأحكام، حيث إنه لا يتغير بتغير الأزمان، بل هو متوافق مع كل زمن؛ وذلك أن الخالق هو الله، وكل خالق أعلم بحال خلقه وما يصلح لهم، وكما يقال: "إن كل صانع أعلم بصنعته"(٢).

وعلى هذا فالباحث يقترح عدة اقتراحات تساهم بتفعيل هذا التحكيم، وبطريقة آمنة ومنظمة، وهي كالتالي:-

١-ترشيح عدد من العلماء -المعروفين بالفصاحة وقوة الأسلوب والتأثير- بالدخول على السلطان ومناصحته بالسر واللطف وبيان مخاطر ترك الشريعة الإسلامية وما يترتب عليه.

٢-إنشاء لجان لاستكمال الشريعة الإسلامية لا تتبع إلا السلطان؛ حتى لا يكون لأحد تأثير عليها، وبشرط أن تكون لجان مفعلة وليست شكلية، ومن ثم تقوم بعرض ما تتوصل إليه من نتائج واستكمالات إلى السلطان.

٣-أن تكون في كل مؤسسة في الدولة لجان شرعية تراقب كل ما يعرض ويستحدث عليها على الشريعة الإسلامية، من خلال معرفة مدى موافقتها للشريعة.

٤-الاستفادة من الأبحاث والرسائل العلمية التي بينت ما ينجم عن القوانين الوضعية من مهالك على الأمة كافة، والتي بينت طرق التخلص من هذه القوانين، والتي دلت على طرق استبدالها بالشريعة الإسلامية.

---

(١) ينظر: الصالح، **المصادر الأصلية والتبعية في التشريع الإسلامي**، (١/٧٠-٧٤).

(٢) قول لعمر -رضي الله عنه-، ينظر: ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد الكوفي ٢٣٥هـ، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار(مصنف ابن أبي شيبة)**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، حديث رقم: ٣٣٨٠١، (٦/٥٦١).

المطلب الثاني: الشورى والمساواة بين الناس

تعد الشورى قاعدة من قواعد القيادة، وحرص عليها الإسلام أشد الحرص، وذلك أن الشورة تهدي الحاكم إلى الصواب، فلابد أن هناك أموراً قد تخفى عن الحاكم، فإن لم يكن هناك أحد يستشيره ويصوبه ويدله فسيهلك، والمشاورة بين الراعي والرعية تعكس روح التعاون بينهما، وتجعلهم كالجسد الواحد الذي لا ينفك، قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾(١)، قال القرطبي:(أمر الله تعالى نبيه -عليه السلام- أن يشاورهم في الأمر: فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم وأطيب لنفوسهم، فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم)(٢)، "فمبدأ الشورى الذي جاء به القرآن الكريم هو أسمى وأعدل وأحكم قواعد الحكم الصالح بين البشر، ولا يمكن الاستعاضة عنه بغيره، وقد جاء بدرجة كافية من العموم والمرونة، بحيث يتسع لكل تنظيم صحيح يوضع لتطبيق هذا المبدأ"(٣)، "والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه"(٤)(٥).

وقد بين القرآن الكريم مدى حرص ملكة سبأ على الشورى، حيث يقول تعالى ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾(٦)، "وفي هذه الآية دليل على صحة المشاورة"(٧)، وقد يظهر في الآية أن "الذي ساهم في زيادة قوة ملكة سبأ هو ما كانت

---

(١) سورة آل عمران:١٥٩

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٥٠/٤).

(٣) ينظر: زيدان، د. عبدالكريم، **أصول الدعوة**، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ، (ص٥٩).

(٤) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٥٣٤/١).

(٥) اختلف أهل العلم في حكم الشورى، فقال بعضهم بالوجوب وهو رأي النووي وابن عطية وابن خويز منداد، والرازي، وذهب بعضهم إلى الندب، وهو رأي قتادة وابن إسحاق والشافعي والربيع، ينظر: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (٢٧٩/٢٦-٢٨٠).

(٦) سورة النمل:٣٢-٣٣

(٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٤٩/١٣).

تعتمده في سياستها من تدبير الأمور من خلال الشورى، فانعكس ذلك بالأثر الإيجابي، وهذا علاوة عما تحدثه الشورى من تماسك الطبقة الحاكمة، وبالتالي القوة المعنوية والعسكرية"(١).

وقد أخبر تعالى عن حال النبي -صلى الله عليه وسلم- مع صحبه الكرام بأنهم كانوا يتشاورون فيما بينهم ولا يستعجلون، قال تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٨﴾(٢)، "وإن الله جبل الإنسان على الشورى ومحبة الصلاح وتطلب النجاح في المساعي"(٣)، وما خاب من استشار، "فتقرير مبدأ الشورى يؤدي بذاته إلى رفع مستوى الجماعة، وحملهم على التفكير في المسائل العامة والاهتمام بها، والنظر إلى مستقبل الأمة نظرة جدية، والاشتراك في الحكم بطريق غير مباشر، والسيطرة على الحكام، ومراقبتهم دون استبداد في القرار"(٤).

وإن الوالي الحريص على الصواب لا يتعدى المشورة، فهو يحاول أن يتخذ القرار الأحسن، الذي لا يجعله يندم عليه، إذا أخذه من العلماء والمتخصصين وأهل الرأي المعروفين بالحكمة، "وقد بشر القرآن الكريم الذين يفهمون القول الحسن فيتبعونه ويعملون به بالبشرى الطيبة، ووصفهم في زمرة المهديين، ووصفهم بذوي العقول السليمة والفطرة السليمة"(٥)، قال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾(٦)، "وإن في استشارة الحاكم ومن كان في موقع المسؤولية لذوي الرأي والأمانة فوائد تعود على الأمة بأكملها، وإن في تركها مفاسد لا تحصى، ومن أظهر الأدلة على ذلك: ما تعيشه أمتنا في واقعها المعاصر، من الاستبداد

(١) ينظر: ياسين، **الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، (ص١٢٧).
(٢) سورة الشورى:٣٨
(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٥٠/٤).
(٤) ينظر: عودة، **التشريع الجنائي في الإسلام**، (ص٣٧).
(٥) بواعنة، غازي عبدالله عطية، **صفات القائد في الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ذو القعدة ١٤١٥هـ، (ص٥٥).
(٦) سورة الزمر:١٧-١٨

والديكتاتورية من قبل أصحاب القرار"(١)، "وهي مبنية على نبذ الفردية والاستبداد في الرأي والإعجاب به، واستجماع الآراء، واستطلاع الأقوال الأخرى في المسألة؛ لأنها أدعى إلى إصابة الحق من جهة، وأقرب إلى تحقيق الطمأنينة في القلوب"(٢).

والشورى تزيل ما في النفوس من بغض وحسد وتفريق؛ نتيجة الاستبداد في الرأي أو جعله مقصوراً على الملأ فقط الذين يضلون البلاد بسبب استبدادهم، وهم من رسخ مبدأ الطبقية بين الناس، حيث إن الإسلام عندما جاء دعا إلى المساواة بين الناس مما جعل هؤلاء الملأ يستكبرون، ويرفضون الدخول في الإسلام، قال تعالى -مخبراً عنهم- ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾(٣)، فالمساواة بين الناس تنطلق من مبدأ تساويهم أمام الخالق، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾(٤)، فلا تميز ولا عنصرية بينهم في اللون أو العرق أو الجنس، إلا في أمر واحد فقط، وهو التقوى كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾(٥)، "فالمسلمون في حكم الإسلام في قمة الرشد السياسي، حرية فكر، ومساواة، وشورى، وسلماً اجتماعياً، والقرآن الكريم جعل أمرهم شورى بينهم، لا فرق بين عربي وأعجمي، أو أبيض وأسود، إلا بالتقوى"(٦)، "ومن باب أوْلى أن تكون المساواة وتكافؤ الفرص بين الناس أمام التشريعات واللوائح والسلطات في الحقوق والواجبات كافة، من المبادئ التي تسود المجتمعات، فتضمن ألا يأكل فرد حق فرد ولا يقتنص أحد فرصة كان غيره أولى بها، فيصاب المضرور بالإحباط، ويشجع الانتهازي على مزيد من التسلق، وينهار إحساس البعض بالانتماء، وتشيع الفوضى الضارة بجهود التنمية والتنافس البناء

(١) ينظر: ياسين، **الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، (ص١٢٩).
(٢) البيانوني، د. محمد أبوالفتح، **الأصالة والمعاصرة: خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، رجب ١٤٠٩هـ، العدد الأول، (١٣١/١).
(٣) سورة الشعراء:١١١
(٤) سورة النساء:١
(٥) سورة الحجرات:١٣
(٦) ينظر: الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي ٧٥٨هـ، **مقدمة المحقق في كتاب: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك**، تحقيق: عبدالكريم محمد مطيع الحميداوي، دار الطليعة: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (ص٣).

على تحقيقها، ويعم الظلم والمحاباة لأفراد أو فئات على أخرى؛ بسبب القرابة أو المصلحة أو الطبقية أو غير ذلك"(١)، فلابد من الدولة أن تحسن الاختيار في أخذ الرأي، ولا تجعل الرأي مقصوراً على أناس معينين ومقربين (الملأ) لا يخافون في الله لومة لائم، يسعون إلى مصالحهم دون نظر إلى ما يصيب الشعوب من فقر وقحط، فالإسلام جاء ليزيل هذه الطبقية المقيتة التي وضعها الملأ، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كتب وصية للخليفة من بعده يقول فيها:(اجعل الناس عندك سواء، لا تبالي على من وجب الحق، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم، واياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله)(٢).

ويقترح الباحث في هذا العلاج عدة أمور، منها:-

١-إقامة مجالس للشورى يكون فيها أناس من أهل الدين والعلم والتقوى والأمانة -المشهود لهم، والمعروفين بالعلم والحرص والذكاء وحسن التدبير-، وأن يكونوا مقربين للحاكم؛ ليظهروا له الحق، وليتقبل منهم ذلك.

٢-أن لا تجعل مجالس الشورى على شكل صوري، بل لابد أن تكون مفعلة في الدولة، وتراقب كل ما يحصل، مع إعطائها كافة الصلاحيات، ومشاركتها في وضع القرارات.

٣-أن يناصح أعضاء مجلس الشورى الحاكم باستمرار، ويعظوه ويذكروه بالله، ويرشدوه إلى طريق النجاة والسلامة.

٤-أن يختار مجلس الشورى البطانة الصالحة للحاكم؛ حتى يصل للحاكم كل شيء بصورة صحيحة دون مبالغة وتزيين وافتراء.

٥-أن يشتمل مجلس الشورى على متخصصيين من مختلف العلوم؛ ليكون اتخاذ القرار مناسب وسليم؛ وآمن من الوقوع في الخطأ.

٦-إتاحة حرية التفكير بين سائر أطياف المجتمع وضمانها، حتى تقام المساواة بين الناس.

---

(١) ينظر: حسين، د. وجدي محمود، **أثر العوامل الاجتماعية**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، رمضان ١٤١٨هـ، العدد العشرون، (٤٩١/١).

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ٢٥٥هـ، **البيان والتبيين**، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب: بيروت، (ص٢٣٦).

المطلب الثالث: التأسي بالقيادات السابقة

إن الله -جل وعلا- أمر الرعاة بالتأسي بمن قبلهم من الأنبياء والولاة في عدة مواضع من القرآن الكريم؛ لأن التأسي بهم نجاة من الظلم والمخاطر، قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾(١)، والقادة المصلحون الذي ذكرهم الله تعالى في كتابه كانوا على هدى واستقامة، ويخافون الله، وذلك أن الخوف من الله أدعى للحكم بالعدل، قال تعالى ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾(٢)، وقال تعالى مبيناً أن الحكام الشرعيين -الذين ولاهم الله وأنعم عليهم بالحكم- هم من كانوا على الإسلام والمنهج السليم، قال تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣)، ولابد أن يكونوا مؤدين ومتبعين لأحكام الله في أنفسهم، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(٤)، فاستقامة القادة فيه صلاح للحكم والمحكومين، وكما قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- للأحمسية لما سألته: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح، قال:(ما استقامت لكم ائمتكم)(٥)، أي: "دين الإسلام، وما اشتمل عليه من العدل واجتماع الكلمة ونصر المظلوم، ووضع كل شيء في محله"(٦)، وقال ابن تيمية:(أولو الأمر صنفان: العلماء والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس)(٧)، فلابد على القائد أن يصلح نفسه لتصلح رعيته، وعلى المسلمين أن يختاروا من هو أصلح لدينهم وأحوالهم؛ حتى ينعموا بالأمن والسعادة، ويكثر الخير، ويسود عليهم العدل، وأما إذا كانت القيادة "منحرفة عن دين الله، منغمسة في الشهوات والفجور والطغيان، فسيصبح نظام الحياة كله شراً وبغياً وعدواناً، وينتشر الفساد والفوضى في

(١) سورة الأنعام:٩٠
(٢) سورة النساء:١٤١
(٣) سورة آل عمران:٧٩
(٤) سورة الحج:٤١
(٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٦٢٢، (١٣٩٣/٣).
(٦) ابن حجر، **فتح الباري**، (١٥١/٧).
(٧) ابن تيمية، **الاستقامة**، (٢٩٥/٢).

الأفكار والنظريات والعلوم والآداب والسياسة، وتنمو السيئات، وتمسك السماء عن المطر، وتمتلئ الأرض ظلماً وجوراً"(١).

وإن أول ما ينبغي على القادة الاقتداء به في سياستهم هو الحكم بما أنزل الله، وهذا ما سار عليه القادة من قبل، فهذا محمد -صلى الله عليه وسلم- القائد الرسول يحكم بشرع الله اقتداءً بقوله تعالى ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٢)، ونبي الله داود -عليه السلام- خليفة الله في الأرض، يأمره ربه بأن يحكم بين الناس بحكم الله الذي هو رأس العدل، قال تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾(٣).

ولابد أن يكون القائد عادلاً بين الناس، لا يظلم صغيراً ولا كبيراً، مهما اختلف اللون أو الجنس أو العرق، فهذا القرآن الكريم يقرر ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾(٤)، ومعلوم أن الذي يحكم بين الناس هم القادة في الأصل، فإذا هم حكموا بالعدل ساد العدل بين الناس، فهؤلاء قادة الخلق -الأنبياء- كانوا يَسْعَوْنَ لنشر العدل بين الناس، قال تعالى ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾(٥).

ولابد أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، قال تعالى واصفاً حال الحكام المتبعين لشريعته، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ

---

(١) ينظر: المودودي، أبوالأعلى ١٩٧٩م، **الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية**، (ص٩).
(٢) سورة المائدة:٤٩
(٣) سورة ص:٢٦
(٤) سورة النساء:٥٨
(٥) سورة الحديد:٢٥

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾(١)، وقد بين القرآن الكريم أن قائد الخلق محمداً -صلى الله عليه وسلم- يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾(٢)، " هكذا كانت حاله -عليه الصلاة والسلام-، لا يأمر إلا بخير، ولاينهى إلا عن شر"(٣)، "وأجمع أهل العلم على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يجب على الأمراء"(٤)، "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وانتشر الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد"(٥).

ولابد أن يكون القائد متصفاً بالأمانة والقوة والعلم والحزم، فإن هذه الصفات قائمة على بقاء الملك وصلاحه، بدليل أن القرآن حرص على ذكرها، وبين أنها صفة من صفات قادة الأمم، كما كان موسى -عليه السلام- قوياً أميناً، قال تعالى ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾(٦)، وهذا نبي الله يوسف يسأل عزيز مصر الولاية؛ لما يعرفه من نفسه من الأمانة والعلم التي تؤهله للولاية، قال تعالى ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾(٧)، "ويستفاد من الآية جواز تأمير الإمام وتوليته لمن سأله ذلك، إذا رآه كفؤاً وأميناً، ولا يكون سؤاله مانعاً من توليته"(٨)، وهذا طالوت كان متصفاً بالعلم والقوة، قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ

---

(١) سورة الحج:٤١
(٢) سورة الأعراف:١٥٧
(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢٥٥/٢).
(٤) ابن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، (١٩٠٥/٣).
(٥) ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٣٠٦/٢).
(٦) سورة القصص:٢٦
(٧) سورة يوسف:٥٥
(٨) ينظر: ابن القيم، **زاد المعاد**، (٦٦٨/٣).

فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾(١)، "علل الاصطفاء في الآية ببسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء، فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة، وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوة"(٢)، " والقوة في كل ولاية بحسبها فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال من رمي وطعن وضرب وركوب وكر وفر ونحو ذلك، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام، والأمانة ترجع إلى خشية الله وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا وترك خشية الناس"(٣)، وقد بين الماوردي نوع هذه القوة والأمانة المطلوبة في القائد:-

"١-تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة؛ حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها الشرع نصاً واجتهاداً من غير خوف ولا عسف.

٢- استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة"(٤).

وهذا سليمان -عليه السلام- كان حاكماً عادلاً حازماً، فقد ذكر الله تعالى حزمه عندما توعد الطير، حيث قال تعالى ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١﴾(٥)، وهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من حزمه يقول:((وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))(٦).

---

(١) سورة البقرة:٢٤٧

(٢) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٤٦/٣).

(٣) ينظر: ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، دار المعرفة، الطبعة الأولى، (ص١٥-١٦).

(٤) ينظر: الماوردي، **الأحكام السلطانية**، (ص١٦).

(٥) سورة النمل:٢٠-٢١

(٦) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٢٨٨، (١٢٨٢/٣)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٦٨٨، (١٣١٥/٣).

وعلى القائد أن يتفقد رعيته، وأن يعرف مصالحهم، وأن يرعى شؤونهم، وأن يجعل كلاً - من المسؤولين والمتخصصين- في مكانه المناسب، وأن ينتبه لما يحصل في بلده، فقد قال تعالى -واصفاً مدى حرص سليمان -عليه السلام- على رعيته وتفقده لهم- ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾(١)، قال الشاطبي:(يجب على الوالي القيام بمصالح العامة)(٢)، "فينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة"(٣)، وهذا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول:(يجب على الوالي أن يتعهد أموره، ويتفقد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن وتجرأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل)(٤)، "وعليه أن يتخير الرجال لصنيعته؛ لأن صنيعة الوالي جنته في حربة ووجهه في سلمه، وقد تعرف الرعية الوالي وقلته من صنيعته"(٥).

وعليه أن يحلم على الرعية ويرفق بهم، ويضع يده بيدهم ويشاورهم في أمور الحكم والمحكوم، كما كان يفعل قائد الأمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾(٦)، "فيجب على الوالي تيسير الأمور على رعيته، والرفق بهم، ومعاملتهم بالحلم والحسنى وبالعفو والصفح، وإيثار الرخصة على العزيمة في حقهم، لئلا يُدخل عليهم المشقة"(٧).

---

(١) سورة النمل:٢٠

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، (٣٠٩/٢).

(٣) ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، (١٥/١).

(٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ٧٣٣هـ، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (٢٠/٦).

(٥) ينظر: ابن النجار، محب الدين أبوعبدالله محمد بن محمود ٦٤٣هـ، **ذيل تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية: بيروت، (٥١/١٦).

(٦) سورة آل عمران:١٥٩

(٧) ينظر: الصنعاني، محمد بن إسماعيل ١١٨٢هـ، **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ، (١٩١/٤).

وعلى القائد أن يجتهد في الاقتداء بمن سلف، "وأن يحسن أداء ما كلف به من عمل بقوة وأمانة وإتقان، غير مفرط فيه، أو مستغل له لجلب مصلحة خاصة به، بل آخذا بكل ما يعينه على إقامته على أكمل وجه في نفسه وفيما تحت يده، من الإخلاص لله تعالى، والاستعانة به، والتوكل عليه، ومن حسن توظيف طاقات من تحت يده، وإسناد الأمور إلى خير من يقوم بها منهم، وتكميل ما لديهم من نقص في مختلف المجالات مما يسهم في حسن أدائه لعمله، وسرعة إنجازه له"(١)، وبهذا يصلح حال الراعي والرعية، ويعيشون في سكينة واستقرار، ولو أنهم ساروا على ذلك والتزموا به لحكموا وسادوا العالم بأكمله.

ومما سبق يتضح لنا أهمية صلاح القادة في القرآن الكريم، وأنهم نعم القدوة الحسنة، وقد أخبر بذلك -جل وعلا- إذ يقول ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾(٢).

ويقترح الباحث في هذا العلاج الآتي:-

١-بيان السياسة الشرعية التي كان يسير عليها الأنبياء والصالحين للحاكم، وعرضها عليه بصورة محببة ومشوقة.

٢-كتابة أبحاث ورسائل علمية في القدوات الصالحة والناجحة في السياسة الشرعية؛ حتى يستفاد منها.

---

(١) ينظر: العمرو، د.عبدالله بن محمد، **المنهج في رعاية القادة في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، شوال ١٤٢٦هـ، العدد الثاني والخمسون، (٢٥٧/١).

(٢) سورة الممتحنة:٦

المبحث الخامس: المعوقات الاقتصادية

المطلب الأول: الربا

الربا لغة: ربَا الشيءُ يَرْبو، أي: زادَ ونمَا وعلا(١).

والربا شرعاً: الزيادة على رأس المال في وجه دون وجه(٢).

بين لنا القرآن الكريم حقيقة مهمة لابد للإنسان أن يجعلها نصب عينيه، وهي أن الإنسان في هذه الدنيا في موضع ابتلاء واختبار، وأن المال الذي بين يديه إنما هو مال الله ابتلاه به، لينظر إليه كيف ينفق؟، وكيف يتصرف به؟، وبين أن الإنسان هو مستخلف على هذا المال، فمن عرف كيف ينفق، وأحسن التصرف، رتب الله له حسن الجزاء، فالجزاء من جنس العمل(٣)، قال تعالى ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾﴾(٤)، قال الزمخشري:(الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه)(٥)، وقد بين الله تعالى أيضاً أن المال ملك له في قوله ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾(٦)، "وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيتائه تعالى إياهم؛ للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به، فإن ملاحظة وصول المال إليهم من جهته سبحانه مع كونه -عز وجل- هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى

---

(١) ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، (١١٧/٣٨).

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٢٤٩).

(٣) سبق تخريج هذه القاعدة في المطلب الثالث من الفصل التمهيدي.

(٤) الحديد: ٧.

(٥) الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي ٥٣٨هـ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (٤٧١/٤).

(٦) النور: ٣٣.

صرفه إلى الجهة المأمور بها"(١)، فإيتاء الله المال للإنسان هو توكيل منه له، فالإنسان مؤتمن على هذا المال، فالواجب عليه أن يحسن التصرف فيه، من خلال صرفه على وجوه الخير، وعلى ذي الحقوق من الفقراء والمساكين ومن يعولهم، وليحذر كل الحذر من صرفه على الوجوه التي حرمها الله -عز وجل-، والتي منها: الربا، فإنه كان محرماً عند جميع الشرائع، فهؤلاء اليهود قال الله تعالى عنهم ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٦١﴾(٢)، وهؤلاء قوم شعيب حكى الله عنهم ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾(٣)، وفي القرآن الكريم ذكرها الله في ثمانية مواضع(٤)، وبما أن الربا له عدة أقسام، "فإن القرآن الكريم دل على تحريم الزيادة من غير تعيين"(٥)- مجملاً -، وقد وصف الله تعالى حال المرابين بأشنع الأوصاف إذ يقول تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ٢٧٥﴾(٦)، فشبه الله آخذ الربا بالذي يأكله، وإنما جاء ذكر الأكل في الآية؛ لأن "الأكل أعظم مقصود في المال"(٧)، وقد يصرف في الملبس والمسكن، قال الشوكاني:(خص الآكل لزيادة التشنيع على فاعله، ولكونه هو الغرض الأهم، فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل)(٨)، ومن الشناعة أيضاً أن الله جعل آكل الربا كالرجل المصروع، فيبعث هذا المرابي يوم القيامة كحال المجنون عقوبة

---

(١) الآلوسي، **روح المعاني**، (١٥٦/١٨).
(٢) النساء: ١٦١.
(٣) هود: ٨٧.
(٤) ينظر: اللحام، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (ص٥٢٨-٥٢٩).
(٥) ينظر: إلكيا الهراسي، أبوالحسن علي بن محمد ٥٠٤هـ، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى علي وعزة عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، (٢٣٣/١).
(٦) البقرة: ٢٧٥.
(٧) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (٢٦١/١).
(٨) الشوكاني، **فتح القدير**، (٢٩٥/١).

له، وبمشهد من الناس كلهم، قال ابن عباس:(ذلك حين يبعث من قبره)(١)، وعُلل هذا الصرع والثقل والتخبط "لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين، ينهضون ويسقطون، تلك سيماهم يُعرفون بها عند أهل الموقف"(٢)، وهذا التشبيه لم يجد له الباحث دليلاً، ويكفي وعيداً ما ذكره الله في الآية السابقة، وقيل في هذه الآية قول آخر وهو أنها "تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون؛ لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، وهذا كما تقول لمسرع في مشيه مخلط في هيئة حركاته إما من فزع أو غيره قد جن هذا"(٣)، ثم ذكر الله في الآية أنهم لم يفرقوا بين البيع والربا، فجعلوهما شيئاً واحداً، وجعلوا الربا أصلاً للبيع من خلال تشبيههم البيع بالربا، "ولو كان هذا منهم قياساً لقالوا: إنما الربا مثل البيع"(٤)، وعلى تقدير المعنى في قولهم "أي: إنما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله فإن العرب كانت لا تعرف ربا إلا ذلك"(٥)، ثم قال الله -جل وعلا- في الآية التي بعدها ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾(٦)، والمحق: هو النقصان وذهاب البركة(٧)، قال ابن عباس:(يعني: لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجّاً ولا صلة)(٨)، فصاحب الربا ماله وإن زاد فنهايته القلة، والمنفق المتصدق فإن ماله وإن قل فنهايته الزيادة، قال رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، (١٠٢/٣).
(٢) أبوالسعود، محمد بن محمد العمادي٩٥١هـ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث: بيروت، (٢٦٦/١).
(٣) ابن عطية، ، **المحرر الوجيز**، (٣٧٢/١).
(٤) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٢٨/١).
(٥) الشوكاني، **فتح القدير**، (٢٩٥/١).
(٦) البقرة: ٢٧٦.
(٧) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٣٣٨/١٠).
(٨) الثعلبي، أبوإسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ٤٢٧هـ، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٢٨٣/٢).

وسلم-:((الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل))(١)، وكل هذا المحق والذل والدمار يحصل "بما يفتح على المرابي من المغارم والمهالك، فهو مما يكون هباء منثورا"(٢).

ولقد شدد الله في التحذير من الربا أشد التحذير، ورتب على المرتكبين له المصرين عليه من العذاب ما الله به عليم، فجزاء المعاند في حال كونه مستحلاً له(٣) في الموضع الأول، هو قوله تعالى﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(٤)، فمن أحل ما حرم الله فهو كافر، فهم قد قالوا ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾(٥) "فمن اعتقد هذا القول فهو كافر"(٦)، ثم إن الله أكد عليهم تحريم هذا الأمر وإتيانه بأغلظ وأشد عقوبة، وذلك أنه من يلزم النهي فقد جعل الله بينه وبين المرابي حرباً، فمن كان الله ورسوله خصمه فلا فلاح له ولا نجاة، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾(٧)، قال ابن القيم:(إن المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه، ولم يجيء هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا، وقطع الطريق، والسعي في الأرض بالفساد؛ لأن كل واحد منهما مفسد في الأرض قاطع الطريق على الناس: هذا بقهره لهم وتسلطه عليهم، وهذا بامتناعه من تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب

---

(١) أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد**، حديث رقم: ٣٧٥٤، (٣٩٥/١)، وصححه الحاكم (٤٣/٢)، وحسنه ابن حجر (٣١٥/٤).

(٢) المناوي، عبدالرؤوف ١٠٣١هـ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، (٥٠/٤).

(٣) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، و أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، والواحدي، أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري ٤٦٨هـ، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (١٩٢/١).

(٤) البقرة: ٢٧٥.

(٥) البقرة: ٢٧٥.

(٦) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، (٣٥٨/١).

(٧) البقرة: ٢٧٨-٢٧٩.

رسوله)(١)، ففي الآية السابقة نهى الله، ثم شدد لمن لم يلزم النهي بالحرب، "وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار"(٢)، فحرب الله هي نار جهنم، وأما حرب رسوله فهي السيف والقتال(٣)، وأيضاً حرب الله للمرابي قد تكون بأنواع الابتلاءات، كنزع البركة، وعدم استجابة الدعاء وغيرها، فالحذر من محاربة الله ورسوله قال تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ۚ ﴾(٤)، وفي آية المحاربة بين الله أن الربا والإيمان لا يجتمعان، ومن شناعة الربا أنه ليس له ثمة حد أو كفارة، وذلك أن "ذنب الربا أكبر من أن يطهره الحد، فإن المرابي محارب لله ورسوله آكل للجمر، والحد إنما شرع طهرة وكفارة، والمرابي لا يزول عنه أثم الربا بالحد لأن حرمته أعظم من ذلك"(٥).

فالربا ممحوق، ويشكل معوقاً عظيماً على الأمة بشكل عام، وعلى الأفراد بشكل خاص، وأنه منزوع البركة، فلا ينجم منه إلا الخسارة والهلاك، وذلك أن هذا المعوق لا يخلف على الأمة إلا الغرق في الديون والشهوات حتى يكون المآل هو السجن، فالشريعة ما جاءت لتحريم الربا إلا من أجل الحفاظ على الأمة، ولأجل سد مداخل الظلم التي تنجم من هذا الربا، وذلك أن التاجر يأخذ من المستقرض أضعاف ما يعطيه وهذا ظلم عظيم، إذ أنها فائدة أخذت من غير وجه حق، وذلك أن المشاهد لحال الأمم اليوم يجد أن ما أصابها من البلايا والمهالك والإغراق في الديون خير دليل على ذلك، فإن اليونان كادت أن تعلن إفلاسها مراراً وتكراراً كما هو مشاهد ومعروف، وما هذا إلا بسبب غرقها في الديون الناتجة عن الربا(٦)، وقد أخبر تعالى أن هذا المعوق ممحوق قوله تعالى ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾(٧) ، والمتدبر لهذه الآية يجد أن لهذا المعوق آثاراً سلبية كثيرة ومتعددة الجوانب، اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً، وهذا خبر من الله وتحذير منه، فللربا أضرار كثيرة وفادحة،

---

(١) ابن القيم، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الجوزية ٧٥١هـ، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم: الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، (٥٥٨/١).

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٣١/١).

(٣) ينظر: الثعلبي، **الكشف والبيان**، (٢٨٥/٢).

(٤) المدثر: ٣١.

(٥) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، (٦٦٣/٣).

(٦) هناك مقالة توضح أن سبب خسارة اليونان هو تعاملها الربوي، للكاتب: عبدالرحمن فرج، في موقع رابطة النهضة والإصلاح، كتبت يوم الخميس ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، بعنوان: **اليونان، الربا الذي قصم ظهر البعير!**، http://www.nahdaislah.com.

(٧) البقرة: ٢٧٦.

وذلك لكونها معصية وكبيرة من الكبائر، وأضرارها تصل إلى دمار الفرد والمجتمع وهلاكه، ونظراً لكون هذا المطلب يتناول الجانب الإقتصادي، فيلتزم الباحث بهذا الجانب، فمن هذه الآثار الاقتصادية:-

١- أن الربا لا يعالج الدين، بل يزيد الدين ديناً، من أجل سداد الدين الأول، وقد يبيع بيته الذي يؤويه مع عياله، وقد ينتقل الدين إلى ورثته، وصدق الشاعر العربي:

إذا ما قضيتَ الدَّين بالدَّين لم يكنْ   قضاءً ولكن كانَ غرْماً على غرم(١)

٢-أنه يقسم الناس إلى طبقتين، طبقة مترفة: تعيش على النعيم والرفاهية، والتمتع بمال الآخرين، وطبقة معدمة: تعيش على الفاقة والحاجة، والبؤس والحرمان(٢)، فيجعل المال محصوراً عند فئة دون الأخرى، فليس ثمة توازن بين المجتمع الواحد، والله قد منع هذه الطبقية في قوله تعالى في آية الفيء ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾(٣).

٣-أنه سبب رئيسي في ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة، وذلك "أن الأغنياء يلجأون إلى الربا؛ لأنه لا جهد فيه ولا تعب، والمقترض لهذا المال سيقوم برفع أسعار السلع والمنتجات، حتى يصل للربح المناسب؛ لأن جزءاً من هذا الربح سيذهب لتسديد الربا"(٤)، وزيادة على ذلك فالحكومات لها دور في ذلك، فعند اقتراض الدول بعضها من بعض، ولم تستطع السداد، فإن الدولة ستلجأ إلى رفع الأسعار من أجل تسديد القروض الربوية، فالدولة " كثيراً ما تلتجىء لتصفية أقساط قروضها ورباها إلى فرض الضرائب الفادحة على رؤوس سكان بلادها والإقلال من نفقاتها، مما يزيد من قلق الأهالي ويسعر نار اضطرابهم في جانب؛ لأنهم لا يستعيضون عما ينفقون من المال مالاً يعادله"(٥).

---

(١) الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبدربه ٣٢٨هـ، **العقد الفريد**، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، (١٩٦/٢).

(٢) الصابوني، محمد علي، **جريمة الربا**، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (ص٢٧).

(٣) الحشر: ٧.

(٤) ينظر: الحصين، سليمان بن إبراهيم بن محمد، **المال في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير منشورة، دار المعراج الدولية: الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (ص١٨٨).

(٥) المودودي، أبوالأعلى -أمير الجماعة الإسلامية بباكستان-، **الربا**، دار الفكر الإسلامي: دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ، (ص٨١).

٤-أنه يشجع على الإسراف والتبذير؛ "لأن المسرف إذا وجد من يقرضه بفائدة في أي وقت، فإنه سِ يُقبِل عليه، من أجل الإنفاق على شهواته ورفاهيته، كما هو حال كثير من الموظفين المقترضين"(١).

٥- الربا يضعف مستوى الإنتاج العام، ويجلب الكسل للفرد والمجتمع، فهو "يمنع الإنسان من الاشتغال بالمكاسب"(٢) كالحرف ونحوها، وذلك أن صاحب المال إذا تمكن من استغلال ماله في الربا من أجل الحصول على الفائدة الربوية، دون جهد ولا تجارة، فإن هذا سيجعله كسولاً، لا ينفع مجتمعه، ولا يزيد من انتاجه.

٦-الربا يفرض مكسباً لرأس المال عند المقرض دون تعرض للخسارة، فالربح مضمون، وذلك أنه يأخذ كل الضمانات التي تكفل له الربح(٣)، بخلاف المستقرض المحتاج الذي أخذ الربا من التاجر، فإنه يتعرض للمخاطرة، فلا يوجد توازن بين العمل ورأس المال.

٧-النظام الربوي يؤدي إلى الإفلاس، وذلك أن "فتح باب الاقتراض بفائدة يؤدي إلى إرباك المقترضين وإيقاعهم في ضوائق مالية لا تنفك، وتتزايد، وتضيق عليهم الخناق حتى توقعهم في الإفلاس"(٤)، وهذا الأمر متحقق أيضاً في الدول.

٨- الربا موقع في الظلم الذي يُهلك المجتمع، وذلك أن أحد الطرفين أخذ مالاً بغير عوض، قال ابن تيمية:(الربا فيه ظلم محقق لمحتاج)(٥)، فإذا كانت هناك "مصلحة فهي مصلحة المقرض على كل حال"(٦)، فالمستقرض يقترض من أجل سد حاجته، فيزيد عليه العبء بسبب هذا الربا مع كونه محتاجاً، قال محمد دراز:(رذيلة الربا أحط أنواع المعاملات

---

(١) ينظر، العزيزي، محمد رامز عبدالفتاح، **تحريم الربا في الإسلام والديانتين اليهودية والمسيحية**، دار الفرقان: عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (ص٢٩٢).

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي ٦٠٦هـ، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١، (٧٧/٧).

(٣) ينظر: سالم، محمد عدنان ، **الربا**، بحث منشور في الجامعة السورية، ٢٠٠٩م، بإشراف د. أحمد السمان، (ص٩).

(٤) ينظر: سالم، **الربا**، (ص١٠).

(٥) ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **القواعد النورانية الفقهية**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة: بيروت، ١٣٩٩هـ، (ص١١٧).

(٦) أبوزهرة، محمد، **بحوث في الربا**، دار البحوث العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، (ص٧٤).

البشرية، التي تستغل فيها حاجة الضعيف، ويتقاضى فيها المحسن ثمن المعروف الذي يبذله)[١].

وما هذا المحق والجزاء إلا نكالاً وعقوبة ومقتاً من الله، بسبب مخالفة أمره في الوقوع في الربا، فإن "أكثر بلايا هذه الأمة حتى أصابها ما أصاب بني إسرائيل من البأس الشنيع والانتقام بالسنين إنما هو من عمل الربا"[٢]، ولقد أثبت الربا فشله في جميع الجوانب وعلى مستوى جميع المجتمعات، قال سيد قطب:(إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة، وقد بلغ من سوئه أن تنبه لعيوبه بعض أساتذة الاقتصاد الغربيين د. شاخت -مدير بنك الرايخ الألماني- بقوله: يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرابين، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة)[٣].

(١) ينظر: دراز، محمد بن عبدالله ١٣٧٧هـ، **النبأ العظيم**، تحقيق: أحمد فضيلة، دار القلم، ١٤٢٦هـ، (ص٢٨١).
(٢) ينظر: البقاعي، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر ٨٥٥هـ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ، (٥٤١/١).
(٣) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٢١/١)، بتصرف.

المطلب الثاني: حبس الزكاة والصدقات

اهتم القرآن الكريم بأمر الزكاة اهتماماً بالغاً، فقد أوجب الله -جل وعلا- على عباده الزكاة، وحثهم على الصدقات، وجعلها قرينة الصلاة في كتابة الكريم، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾(١)، وثالث ركن من أركان الإسلام العظيمة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-((بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان))(٢)، ففعل الزكاة والصدقات فيه طاعة لله ورسوله، ورتب الله على من أداها حسن الجزاء، حيث قال المولى ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٨﴾(٣)، "وكان يقال إن الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك"(٤)، وجعل الله للزكاة حكم عظيمة، منها أنها طهرة لصاحبها من الآثام ورذائل الأخلاق كالشح والبخل، وفيها نماء وتحلية بمكارم الأخلاق من كرم وجود، قال تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣﴾(٥)، قال ابن كثير:(يقول تعالى: يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة، تطهرهم من دنس ذنوبهم، وتنميهم، وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها إلى منازل أهل الإخلاص)(٦)، فجعل الله سبحانه وتعالى الزكاة "طهرة للمال لصاحبه، وقيد النعمة بها على الأغنياء، فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته،

(١) البقرة: ٤٣.
(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم (٨)، (١٢/١).
(٣) النور: ٣٧-٣٨.
(٤) الطبري، **جامع البيان**، (٩٣/٢٤).
(٥) التوبة: ١٠٣.
(٦) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٦/١١).

بل يحفظه عليه وينميه له ويدفع عنه بها الآفات ويجعلها سوراً عليه وحصناً له وحارساً"(١)، وفي الزكاة والصدقة أيضاً منافع عظيمة ومتعددة، فبها يتحقق التكافل الإجتماعي، فقد جعلها الله حقاً للفقراء والمساكين، وهي دَيْنٌ في أعناق الأغنياء للفئات الضعيفة والمستحقة، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾(٢)، "والزكاة هي أول الموارد التي يعتمد عليها التكافل الاقتصادي في الإسلام، وهي بمثابة العمود الفقري للاقتصاد الإسلامي، وهي من أهم عوامل الرواج الاقتصادي، وتنشيط الحركة المالية للمجتمع، مما يعود بالنفع على جميع أفراده، كما أنها من أهم عوامل توزيع الثروات وتفتيها، ومن أقوى عوامل انتشار الألفة والمودة والتراحم بين الناس، والقضاء على أسباب البغضاء والحسد والأنانية بين أفراد المجتمع المسلم"(٣).

وللزكاة أدلة عقلية وحكم أخرى، فقد ذكر الكاساني عدة أوجه:-

الأول: أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف، وإغاثة اللهيف، وإقدار العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله -عز وجل- عليه من التوحيد والعبادات، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض.

والثاني: أن الزكاة تطهر نفس المؤدي عن أنجاس الذنوب، وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم وترك الشح والضن، إذ الأنفس مجبولة على الضن بالمال فتتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات وإيصال الحقوق إلى مستحقيها وقد تضَمَّنَ ذلك كله قوله تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٤).

---

(١) ابن القيم، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ٧٥١هـ، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، الرسالة: بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ، (٥/٢).

(٢) المعارج: ٢٤-٢٥.

(٣) ينظر: يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٢٥٨-٢٥٩).

(٤) التوبة: ١٠٣.

والثالث: أن الله تعالى قد أنعم على الأغنياء، وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية، وخصهم بها، ليتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش، فلابد من شكر هذه النعمة من خلال أداء الزكاة إلى الفقير"(١).

وبحبس الزكاة والامتناع عن آدائها مفاسد عظيمة، فقد رتب الله لمن امتنع عنها أشد الوعيد، قال تعالى ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝﴾(٢)، وجاء الوعيد في الآية "لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جُعل من أوصاف المشركين، وقرن بالكفر بالآخرة"(٣)، "وقد توعدهم بالويل على شركهم وكفرهم بالآخرة، وعدم إيتائهم الزكاة"(٤)، والويل هو الخزي والعذاب، وقيل: واد في جهنم(٥)، وقال ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾(٦)، وهذا الوعيد العظيم جاء في مانعي الزكاة، فالمراد في الآية أنه يجعل لمن منع الزكاة "حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه إلى قدمه"(٧)، وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾(٨)، والبخاري بوب هذه الآية بقوله: باب إثم مانع الزكاة(٩)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مَثَلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه -يعني شدقيه-، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ

---

(١) ينظر: الكاساني، علاء الدين أبوبكر بن مسعود بن أحمد الحنفي ٨٥٧هـ، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، دار الكتاب العربي: بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، (٣/٢).
(٢) فصلت: ٦-٧.
(٣) أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٣/٨).
(٤) الشنقيطي، **أضواء البيان**، (١٠/٧).
(٥) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٨١/٢٠).
(٦) آل عمران: ١٨٠.
(٧) البغوي، **معالم التنزيل**، (٣٧٨/١).
(٨) التوبة: ٣٤.
(٩) البخاري، **الجامع الصحيح**، (٥٠٧/٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾(١)(٢)، قال ابن حجر:(وفائدة هذا القول الحسرة والزيادة في التعذيب، حيث لا ينفعه الندم، وفيه نوع من التهكم)(٣)، ونظراً لأهمية الزكاة وعظم قدرها، فقد قاتل أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- مانعي الزكاة، وقال:(والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها)(٤)، وفي قوله (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة)؛ لأنها قرينتها في كتاب الله، فالإسلام شرع القتال لمن امتنع عن أدائها.

فحبس الزكاة والصدقات يشكل معوقاً اقتصادياً ينجم على الأمة مفاسد عظيمة، وذلك أن الفقراء والمحتاجين لا يجدون من يعولهم، وليس لهم ثمة مورد اقتصادي يحفظ أنفسهم وأعراضهم عن ارتكاب المعاصي والمحرمات مما يكون له الأثر الكبير في انتشار الفاحشة والرذيلة، وهذا المعوق أيضاً يشجع على اللجوء إلى القروض الربوية الممحوقة، وليس هذا فحسب، بل إن هذا المعوق يصيب الدولة بضعف الخدمات العامة، وضعف موارد التنمية والدخل والاستثمار، ومما يكون له الأثر الكبير في انتشار البطالة في الدولة، قال د. يوسف القرضاوي:(الإسلام دين ودولة، وقرآن وسلطان، ولابد لهذا السلطان وتلك الدولة من مال تقيم به نظامها، وتنفذ مشروعاتها، ولابد لهذا المال من موارد، والزكاة مورد هام دائم لخزانة الدولة أو لبيت المال في الإسلام)(٥)، فللزكاة مصالح عامة للمسلمين، "فمن الجهات التي تصرف فيها الزكاة مصالح عامة المسلمين"(٦)، وكانوا قديماً يضعون لأموال الزكاة والصدقات وزارة، أو إدارة، تسمى بيت مال المسلمين، فهذا أبرز لها دوراً اقتصادياً هاماً في الدولة الإسلامية، وسيتناول الباحث أهم الآثار الاقتصادية السابقة المترتبة على حبس الزكاة والصدقات بشكل مفصل، وليعلم المسلم أن هذا المعوق ما أخلف هذه الآثار إلا نتيجة لسخط الله، ونزع البركة منها، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ما منع قوم

---

(١) آل عمران: ١٨٠.
(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم (١٣٣٨)، (٥٠٨/٢).
(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، (٢٧٠/٣).
(٤) أخرجه **الجامع الصحيح**، حديث رقم (١٣٣٥)، (٥٠٧/٢).
(٥) القرضاوي، د. يوسف، **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٢٤هـ، (ص٨٤).
(٦) المصدر السابق، (ص٨٤).

الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين))[١]، قال الفراء:(أخذهم بالسنين: القحط والجدوبة عامًا بعد عام)[٢]، والآثار هي:-

١-انخفاض مستوى الخدمات العامة، وبناء عليه ترتفع تكاليف الكثير من النشاطات الاقتصادية[٣].

٢-للزكاة والصدقات دور حيوي بالغ الأهمية في تمويل مشاريع التنمية، وزيادة حجم رأس المال في المجتمع[٤]، وحبسها يضعف من هذا الدور الحيوي، مما يكون له الأثر الكبير في نقص مشاريع التنمية، وعدم كفاءتها.

٣-للزكاة والصدقات دور إيجابي على مستوى الادخار الخاص، وذلك أن الزكاة تزيد من حجم العمل، وتشجع عليه، مما يرفع من مستوى دخول الأفراد، وبالتالي يرتفع مستوى الادخار لديهم[٥]، وفي حبسها ينعدم هذا الأمر، مما يجعل المجتمعات تلجأ إلى الاقتراض؛ لعدم وجود ادخار لديهم.

٤-للزكاة والصدقات دور أساسي في تحقيق العدالة في التنمية، لأن طبيعة الزكاة ما هي إلا اقتطاع من دخول الأغنياء وثرواتهم، وإعطاؤها إلى الفئات الفقيرة في المجتمع، فهي أداة مباشرة ودائمة في عملية إعادة الدخل والثروة[٦]، وبالامتناع عن أدائها تعيش المجتمعات

---

(١) أخرجه الطبراني، أبوالقاسم سليمان بن أحمد ٣٦٠هـ، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق عوض الله وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين: القاهرة، ١٤١٥هـ، حديث رقم (٦٧٨٨)، (٤٠/٧)، قال الحاكم في المستدرك:(حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، (١٣٦/٢)، وقال المنذري وابن الهيثمي: رجاله ثقات، الترغيب والترهيب (٣٠٩/١)، ومجمع الزوائد (٦٦/٣)، وقال أيضا ابن حجر الهيثمي في الزواجر: حديث صحيح، (٣٢٨/١)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة:(الحديث بطرقه وشواهده صحيح بلا ريب)، (٢٢٠/١).

(٢) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ٢٠٧هـ، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، دار المصرية: مصر، الطبعة الأولى، (٣٩٢/١).

(٣) ينظر: الزرقا، محمد أنس، **دور الزكاة في الاقتصاد الإسلامي والسياسة المالية**، بحث منشور في المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية: جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (ص٤٥٧).

(٤) ينظر: الطاهر، عبدالله، **حصيلة الزكاة وتنمية المجتمع**، بحث منشور في المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (ص٥٣٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق، (ص٥٣٤).

(٦) ينظر: المصدر السابق، (ص٥٢٨).

في ظلم؛ نتيجة هذا الاكتناز، وتضعف التنمية؛ لانعدام وجود المال عند من يرغب بالمساهمة في تعزيز التنمية من خلال التجارة والاستثمار.

٥-الزكاة والصدقات ترفع الكفاءة الإدارية في الجهاز الحكومي، وخاصة إدارة تنظيم الزكاة، لأن من الشروط الهامة في العاملين أن يكونوا أكفاء أتقياء، وذلك يساعد كثيراً في تحسين مستوى الخدمات العامة المدنية المقدمة للمجتمع بأقل تكلفة ممكنة، وتزيد من درجة الثقة في الحكومات(١)، وبالامتناع عنها تذهب هذه الكفاءة.

٦-انتشار البطالة، وذلك أن حبس الزكاة سيغلق فرص عمل أمام الفقراء والمحتاجين القادرين على العمل، وذلك بسبب فقدان المشاريع الخيرية والجماعية من مصانع ومتاجر ومزارع ونحوها من المؤسسات التي تقوم بتهيئة العمل للعاطل، فللزكاة "دور في التقليل من البطالة، وتمارس الزكاة ذلك من خلال آثارها على التشغيل والأسعار"(٢).

٧-انتشار الفقر، ونعني بالفقر "هو عجز الموارد المالية للفرد أو للمجتمع عن الوفاء بحاجاته الاقتصادية"(٣).

٨-انتشار الديون، وذلك أن الغارم وهو الذي ركبه الدين ولا يقدر على الوفاء به له سهم من أسهم الزكاة لمساعدته في سد دينه، فإذا فقد هذه المساعدة، فهذا سيجعله يسأل الناس، وقد يسقط سجيناً، ويضيع بيته وعياله، "سهم الغارمين يكون حافزاً لتقديم القرض الحسن إلى المحتاجين من القائمين على الاستثمار، إذا ما تعثر عليهم تدبير المال اللازم من المصادر البديلة"(٤).

٩-تشجع على اكتناز الأموال، وتجميدها وتعطيلها عن أداء رسالتها الاقتصادية، وعدم استثمارها بما يفيد الفرد والمجتمع والدولة، "ويعتبر الاكتتناز من أهم العقبات في سبيل

---

(١) ينظر: المصدر السابق، (ص٥٢٢).

(٢) بشتاوي، آمنه أحمد محمد، **أثر الزكاة في السياسة المالية في الفكر الإسلامي**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦م، (ص١٠٦).

(٣) القرضاوي، د. يوسف، **دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية**، بحث منشور في المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية: جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (ص٦٠٩).

(٤) مشهور، د. نعمت عبداللطيف، **الزكاة - الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي**، رسالة دكتوراة منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (ص٢٨٣).

التنمية الشاملة المستمرة، وذلك لما يؤدي إليه من تقييد لمستوى النشاط الاقتصادي وتعطيل للموار الإنتاجية"(١).

١٠- لجوء أفراد المجتمع المسلم إلى القروض الربوية التي تزيد من مشاكلهم المالية، بدلاً من إعطائهم من القروض الحسنة.

١١-تؤدي إلى ضعف الإزدهار الاقتصادي، بسبب قلة "تشغيل الأموال والإنتاج والأرباح، والذي يسهم إيجاباً في إرتفاع نصاب زكاة النقد والتجارة الناتج عن زيادة أسعار الذهب مما يزيد من إيرادات الزكاة نفسها"(٢).

١٢-ضعف ضعف المورد الاقتصادي لدى الدولة، وذلك أن الزكاة والصدقات تنمو حتى تصبح فائضاً اقتصادياً، "والفائض الاقتصادي يمثل مورداً محلياً صالحاً للتوظيف في الأهداف التنموية"(٣).

١٣-حبس الزكاة والصدقات يضعف الاستثمار في الأموال لدى المدخرين، وذلك أن إيجاب الزكاة يجعل صاحب المال يستثمر ماله؛ لأن توالي إخراج الزكاة عن المال المستحقة فيه - عاماً بعد آخر- يهدد بفنائه"(٤).

١٤-ضعف الاستهلاك الناتج عد عدم وجود الزكاة والصدقات، يؤثر على مجالات أخرى ومن ذلك ضعف الاستثمار، ومن ثم ضعف الاقتصاد بشكل عام(٥).

---

(١) المصدر السابق، (ص٢٤١).

(٢) هود، د. محمد صالح، **النظام العالمي للزكاة**، دار كنوز إشبيليا: الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ، (ص١٧٣).

(٣) مشهور، **الزكاة - الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي**، (ص٢٤١).

(٤) المصدر السابق، (ص٢٧٥).

(٥) ينظر: الطيب، محمود إبراهيم، **أثر الزكاة في إعادة توزيع الدخل والثروة**، رسالة دكتوراة، الجامعة الإسلامية، باكستان، ١٤١٣هـ، (ص٣٦٧).

المطلب الثالث: الإسراف والتبذير

لقد أنعم الله علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾(١)، وقال ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾(٢)، وفرض علينا أن نشكره على هذه النعم العظيمة، قال تعالى ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤﴾(٣)، ومن شكر الله على النعم، أن نحافظ عليها ونحسن التصرف فيها، فلا نسرف فيها ولا نبذر، قال تعالى ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾(٤)، قال ابن القيم:(فسمى الأعمال شكرا، وأخبر أن شكره قيامه بها ومحافظته عليها)(٥)، فالواجب على العباد أن يشكروا الله تعالى ويحسنوا استخدام هذه النعم بدلاً من تضييعها في الإسراف والتبذير، قال تعالى ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾(٦)، ذلك أن "أداء شكر نعم الله لابد أن يكون بحسن استعمالها وصرفها في مرضاة الله، دون اعتداء"(٧)، فالشكر هو "اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرفها في مرضاة الله تعالى"(٨)، قال الشاعر:

علامة شكر المرء إعلان شكره　　　ومن شكر المعروف منه فما كفر(٩)

---

(١) النحل: ١٨.
(٢) النحل: ٥٣.
(٣) النحل: ١١٤.
(٤) سبأ: ١٣.
(٥) ابن القيم، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، (٥٠٨/١).
(٦) الرحمن: ٦٠.
(٧) ينظر: المرادي، أبومحمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المصري المالكي ٧٤٩هـ، **روح البيان**، تحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، (٤٨/٥).
(٨) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٤٢٢).
(٩) هذا البيت لمحرز بن الفضل، ينظر: السامري، أبوبكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل ٣٢٧هـ، **فضيلة الشكر لله على نعمته**، تحقيق: محمد الحافظ ود. عبدالكريم اليافي، دار الفكر: دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، (ص٦٣).

والفرق بين الإسراف والتبذير أن الإسراف صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي، والتبذير صرف الشيء فيما لا ينبغي، وقيل: الإسراف والتبذير يستعملان في المشهور بمعنى واحد(١)، وروي عن ابن مسعود أن التبذير هو الإسراف(٢).

فالمسلم مأمور بالاقتصاد في المأكل والمشرب والملبس والإنفاق، وذلك أن "البخل مذموم، والتبذير أو الإسراف مذموم، والسخاء -الذي هو وسط بينهما- هو المحمود والممدوح شرعًا وعقلا"(٣)، وكما قال الشاعر:

بين تبذير وبخل رتبة   وكلا هذين إن زاد قتل(٤)

ونهانا القرآن الكريم عن الإسراف والتبذير في شتى الأمور، ففي الإنفاق قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾(٥)، بل حتى في التصدق قال تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦﴾(٦)، وفي المأكل والمشرب والملبس والتزين قال تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾(٧)، وفي الذنوب والآثام قال تعالى ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) ينظر: البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس ١٠٥١هـ، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، تحقيق: هلال مصيلحي هلال، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٢هـ، (٤٤٥/٣)، وينظر: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي ١٢٥٢هـ، **حاشية رد المحتار على الدر المختار**، دار الفكر: بيروت، ١٤٢١هـ، (٧٥٩/٦-٧٦٠)، وينظر: مجموعة من الباحثين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، دار السلاسل: الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ، (١٧٧/٤).

(٢) ابن العربي، **أحكام القرآن**، (١٩٠/٣).

(٣) رضا، محمد رشيد، **الإيثار**، مقال في مجلة المنار، مجلد ٢ جزء ٢ صفحة ١٧، ١٨ ذو القعدة ١٣١٦هـ.

(٤) هذا البيت لابن الوردي، ينظر: العاملي، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين ١٠٣١هـ، **الكشكول**، تحقيق: محمد النمري، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٢٣٦/١).

(٥) الفرقان: ٦٧.

(٦) الإسراء: ٢٦.

(٧) الأعراف: ٣١.

ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾(١)، وفي الاعتداء على الآخرين ومجاوزة الحد قال تعالى ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ۝٣٣﴾(٢)، فالحفاظ على المال من مقاصد الشريعة، فصرفه فيما ليس فيه نفع، أو صرفه فيما فيه ضرر ومعصية، إسراف وتبذير، ومن يفعل ذلك استحق أن "يُحجر عليه، كما يحجر على الصبي، والعلة من تحجير الصبي هو أنه لا يحسن التصرف"(٣)، فالعلة بين المسرف والصبي مشتركة، والشافعي يرى أن "البالغ إذا كان مبذراً للمال مفسداً له يحجر عليه، وحجته أنه سفيه"(٤)، فالشريعة جعلت لها سلطاناً على من لا يحسن التصرف في ماله، "ومن كان مبذرًا لماله فهو غير رشيد"(٥).

ومن الإسراف أيضاً صرف المال لغير مستحقيه، كإيتائه للسفهاء، "ونهى الله عن إيتاء المسرفين أموالهم، فعبر عنهم باسم من أقبح الأسماء"(٦)، قال تعالى ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾(٧)، قال صاحب المنار في تفسير الآية:(إن منافعكم ومرافقكم الخاصة ومصالحكم العامة لا تزال قائمة ثابتة ما دامت أموالكم في أيدي الراشدين المقتصدين منكم، الذين يحسنون تثميرها وتوفيرها، ولا يتجاوزون حدود المصلحة في إنفاق ما ينفقونه منها، فإذا وقعت في أيدي السفهاء المسرفين الذين يتجاوزون الحدود المشروعة والمعقولة، يتداعى ما كان من تلك المنافع سالماً، ويسقط ما كان من تلك المصالح قائماً، فهذا الدين هو دين الاقتصاد والاعتدال في الأموال، والأمور كلها)(٨)، فالآية دليل على حرمة الإسراف والتبذير، وتضييع الأموال دون فائدة، فمن صرفها على

---

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) الإسراء: ٣٣.
(٣) ينظر: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (٢٨٦/٣١).
(٤) ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (١٥١/٩).
(٥) ابن بطال، أبوالحسن علي بن خلف بن عبدالملك البكري القرطبي ٤٤٩هـ، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد: الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، (٥٢٩/٦).
(٦) عبدالحي الكتاني، محمد عبدالحي بن عبدالكبير الحسني الإدريسي ١٣٨٢هـ، **تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة**، مطبعة فاس: المغرب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ، (ص٢١).
(٧) النساء: ٥.
(٨) رضا، **تفسير المنار**، (٣١٢/٤).

غير الأوجه المشروعة فقد خان الأمانة التي على عاتقه وهي قيامه عليها، وقال تعالى ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾(١)، والنهي في الآية واضح أنه حتى في الأكل والتصدق لا ينبغي الإسراف، بل إن الله رتب على ذلك عدم محبته لهم، فإذا كان لا يحب المسرفين، فيفهم منها أنه يبغض ويمقت المسرفين، وما أكثر ما يحصل اليوم من إسراف وتبذير لا يشك فيه أدنى من لديه بصيرة، في النفقات والحفلات والولائم والمناسبات، بل حتى في شهر رمضان، فإن بعض الناس لا يزيد إسرافهم إلا في رمضان، والله المستعان، فهذا كله مخالف للشرع، وضرره عظيم على الغني والفقير، "فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد، ويضر بالمعيشة، فيؤدي إلى الاتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال"(٢).

والمسلم في إسرافه وتبذيره، قد رتب الله له عقوبتين، وما ذلك إلا بسبب استهتاره، وسوء تدبيره:-

فالعقوبة الأولى: أن الله لا يحبه -كما سبق-، لكونه مسرفاً، قال تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾(٣)، "فأي داء أشد وأعظم من شيء يحول بينك وبين محبة ربك فيك أيها العبد"(٤).

والعقوبة الثانية: أن الله ابتلاه بسبب إسرافه وتبذيره، بأن جعله أخاً للشيطان، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾(٥)، فالمبذر أخ للشيطان الذي كفر بربه وعصاه، ومن كان الشيطان أخاه فقد ضاع وخسر، فقد "تشابهت قلوبهم في المواجيد والأخلاق والأفعال ، فآخى بينهم للتشابه"(٦)، والمبذر تشابه مع الشيطان أيضاً من جهة أنهما لم يشكرا الله على نعمه، فالمسرف والمبذر كان بفعله غير

---

(١) الأنعام: ١٤١.
(٢) ابن حجر، ، **فتح الباري**، (٥٣/١٠).
(٣) الأعراف: ٣١.
(٤) عبدالحي الكتاني، **تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة**، (ص١٩).
(٥) الإسراء: ٢٧.
(٦) أبوطالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي ٣٨٦هـ، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، تحقيق: د. عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، (٢٤٨/١).

شاكر لله، فالشيطان جاحد لنعم الله، "وهذا يتضمن أن المنفق في السرف كفور"(١)، ولا شيء أقبح وأخبث من الشيطان، وهذا دليل على ذم هذه الصفة.

والإسراف منهي عنه أيضاً في السنة، فقد نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الإسراف والتبذير في قوله:(إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)(٢)، وإضاعة المال تكون نفقته في ثلاثة، "أحدها: نفقته في السرف، والثاني: نفقته في السفه، والثالث: نفقته في الحرام"(٣).

وقال تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾(٤)، أمر الله تعالى في هذه الآية في التوسط في الإنفاق الذي هو خير الأمور، وحذر من آثار الإسراف والتبذير وهو اللوم والحسرة، "وفي ذلك ترغيب من الله تعالى لعباده في إصلاح المعاش وحسن التدبير"(٥)، قال ابن القيم:(وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً)(٦).

وقد بينت الآيات أن الإسراف والتبذير معوق اقتصادي عظيم يضر بالأفراد والأمة، وأن له آثار سلبية خطيرة، مختلفة ومتعددة الجوانب، وكيف لا يكون معوقاً وهو يضيع أموال الناس فيما لا فائدة منه، ويجعل مآلهم الوقوع في الفقر والندم والحسرة حتى يصبحوا عالة على غيرهم، بل يتعدى على ذلك ويصيب الدولة في ضعف الاقتصاد والتنمية!!، وليت

---

(١) الواحدي، ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (٦٣٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ١٤٠٧، (٥٣٧/٢).

(٣) ينظر: ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي ٥٩٥هـ، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، (٣٠٨/١٨).

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي ٣٧٠هـ، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ،(٣٥٤/٢).

(٦) ابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الجوزية ٧٥١هـ، **الفوائد**، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، (ص١٤١).

شعري كم من أناس في شتان أنحاء العالم المسلم بحاجة ماسة إلى هذه الأموال المهدورة حتى يستعينون بها على عبادة الله، ومحاربة الشرك وأهله، فأعداء الدين للأسف استغلوا فرصة وجود الفقراء في دعوتهم إلى الشرك وعرض الأموال الباهضة عليهم مقابل ذلك الدخول، فما أعظم وأخطر هذا المعوق الذي يخلف على الأمة الفساد في دينها ودنياها، وسيذكر الباحث الآثار الاقتصادية لمترتبة عليه بشكل موسع، والتي جعلته معوقاً اقتصادياً خطيراً، فمن آثار ومضار الإسراف والتبذير السلبية على الجانب الاقتصادي:-

١-أن الإسراف والتبذير موقع في الفقر، والعجز عن دفع ما يجب عليه، "إن أسرفت في الإنفاق فوق طاقتك، نفد ما عندك، فأصبحت حاسر اليد فارغها، فالاقتصاد من أسباب بقاء المعيشة ودوامها فإنه "ما عالَ من اقتصد"(١)، وصدق القائل: "إنك إن أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطي منه"(٢).

٢-الإسراف والتبذير فيه اهدار وضياع لأموال الأفراد والمجتمعات فيما لا فائدة منه ولا مصلحة، فهو إهدار لنعم الله على عباده، وهذا مشاهد لدى كثير من المجتمعات كما يحصل في الولائم والحفلات والمناسبات، "فمن المشكلات التي يعاني منها المجتمع الإسلامي: السرف الزائد في مثل هذه الولائم وتكثير الطعام دون حاجة بما يزيد عن حاجة المدعوين، ويكون نتيجة الإسراف إلقاء الزائد منها في النفايات، مع أن هناك من الناس في العالم الإسلامي من لا يجد من يسد جوعته"(٣).

٣-أنه مؤثر على الفقراء والمحتاجين؛ لأن الشريعة أوجبت عليه أن ينفق على ذي الحاجة، فالإسراف والتبذير ضيع ما لهؤلاء من حقوق، فإن "ذلك الوفر ءات من أبواب اتسعت لأحد فضاقت على آخر لا محالة؛ لأن الأموال محدودة، فذلك الوفر يجب أن يكون محفوظاً لإقامة أود المعوزين وأهل الحاجة الذين يزداد عددهم بمقدار وفرة الأموال التي بأيدي أهل الوفر والجدة، فهو مرصود لإقامة مصالح العائلة والقبيلة، وبالتالي مصالح الأمة"(٤)،

---

(١) ينظر: آل جار الله، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم، **من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المداينة**، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، (ص٩).

(٢) مقولة ذكرها الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ٥٠٢هـ، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم: بيروت، ١٤٢٠هـ، (٥٧٩/١).

(٣) عياصرة، بسام محمد قاسم عمر، **أحكام الإسراف في الفقه الإسلامي**، رسالة دكتوراة، ٢٠١٠م، جامعة العلوم الإسلامية العالمية: عمّان، (ص١١١).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٧٩/١٥).

"والمسرفون ومعهم المترفون يكون سرفهم وترفهم كأنه سرقة حق لفقير ومحتاج على نحو ما روي عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: "ما أتخم غني إلا بعدوان على حق فقير"(١).

٤-أن الاقتصاد في الأموال وغيره، يساعد ويشجع على النمو والانتاج، ويأخذ بالمجتمع والبلاد للنهوض، وفي الإسراف والتبذير ضياع هذه الغاية، " والمقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عدة لها وقوة؛ لابتناء أساس مجدها والحفاظ على مكانتها حتى تكون مرهوبة الجانب مرموقة بعين الاعتبار، غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها فيبتز منافعها ويدخلها تحت نِير سلطانه"(٢).

٥-أن الإسراف والتبذير يؤدي إلى رفع الأسعار، ونشر الغلاء، وما هذا إلا "نتيجة ضعف في اقتصاد الدولة الإسلامية وتدني في المستوى، وقد تصل ميزانيتها إلى العجز الكبير، واهباط للعملة إلى مستوى الحضيض، وتنزح رؤوس الأموال خارج البلاد"(٣)، "الإسراف يؤدي إلى الفقر والإفلاس، ويضر الجسم والنفس، ويفسد النظام المعيشي، ويخرب البيوت"(٤).

٦-أن الإسراف والتبذير ينزع البركة عن المال، فيذهب ماله من حيث لا يشعر.

٧-أن الإسراف والتبذير قد يوقع في المال الحرام، فالمسرف إذا ضيع ماله، فقد يؤدي به هذا الضياع إلى الوقوع في الحرام من أجل الحصول على ما يسد حوائجه، أو أنه قد يكون معتا دا على صرف معين، ففقدانه هذا يؤدي به إلى الوقوع أيضا في المال المحرم، كالسرقة ونحوها؛ "لأن المسرف ربما ضاقت به المعيشة، ويريد أن يعمل مثلما ألفه، فيضطر إلى الكسب الحرام؛ لإشباع هذه الغريزة"(٥)، قال ابن عاشور:(والإسراف إذا اعتاده المرء

---

(١) الفنجري، محمد شوقي ١٤٣١هـ، **الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول**، وزارة الأوقاف المصرية، (ص٦).
(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٥/٧٩).
(٣) ينظر: علي، مقداد يالجن محمد علي التركي، **علم الأخلاق الإسلامية**، دار عالم الكتب: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (ص٣٥٣)، بتصرف.
(٤) يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٢٥٠).
(٥) مجموعة من الباحثين، بإشراف: علوي السقاف، **موسوعة الاخلاق الاسلامية**، من المكتبة الشاملة، (٢/١٠٩).

حمله على التّوسّع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مَذمَّات كثيرة، وينتقل من ملذة إلى ملذة فلا يقف عند حدّ)(١).

فكل هذه الآثار والتوجيهات والتحذيرات، أهم ما يستفاد منها أن القرآن ما ترك شيئاً إلا وذكره، داءً أو دواءً، وعلى الأفراد والمجتمعات أن تعرف هذه الآثار؛ لتحذر منها ولتعالجها، فإن معرفة الداء أو المشكلة نصف العلاج، وهذا صاحب المنار يذكر واقع الأمة الإسلامية، ويضع يده على الجرح حيث يقول:(فإذا جرى لنا نحن المسلمين بعد هذه الوصايا والحكم، حتى صرنا أشد الأمم إسرافاً، وتبذيراً، وإضاعة للأموال، وجهلاً بطرق الاقتصاد فيها، وتثميرها، وإقامة مصالح الأمة بها في هذا الزمن،الذي لم يسبق له نظير في أزمنة التاريخ، من حيث توقف قيام مصالح الأمم، ومرافقها، وعظمة شأنها على المال، حتى إن الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد، التي ليس في أيديها مال كثير قد صارت مستذلة، ومستعبدة للأمم الغنية بالبراعة في الكسب، والإحسان في الاقتصاد؟)(٢)، فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين!.

---

(١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٢٣/٨).
(٢) رضا، **تفسير المنار**، (٣١٣/٤).

المطلب الرابع: الاحتكار

الاحتكار لغة: أصل الحُكَرَةِ: هي الجمع والامساك، والحَكَرُ: إدخار الطعام للتربص(١)، وهي الظلم في التنقص وسوء المعاشرة(٢)، وهو المحتجن للشيء المستبد به(٣)، فهو احتباس الشيء مع إرادة الغلاء.

والاحتكار شرعاً: قال الحنفية:(اشتراء طعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء)(٤)، وعرفه المالكية بأنه "الحكرة في كل شيء في السوق من الطعام والزيت والكتان وجميع الأشياء والصوف وكل ما أضر بالسوق"(٥)، وعرفه الشافعية بأنه "اشتراء القوت وقت الغلاء، وامساكه وبيعه بأكثر من ثمنه للتضييق"(٦)، وعرفه الحنابلة: "اشتراء قوت، يضيق بشرائه على الناس، في بلد ضيق"(٧)، وعرفه الظاهرية بأنه "المضرة بالناس في الابتياع أو في امساك"(٨)، قال ابن تيمية:(المحتكر هو الذي يعمد إلى شراء ما يحتاج إليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد إغلاءه عليهم)(٩)، وقال الشوكاني:(حبس السلع عن البيع)(١٠).

---

(١) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٢٠٨/٤).
(٢) الفراهيدي، **كتاب العين**، (٦١/٣).
(٣) الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي ٥٣٨هـ، **أساس البلاغة**، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (ص١٣٦).
(٤) ابن عابدين، **حاشية رد المحتار على الدر المختار**، (٣٩٨/٦).
(٥) الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي المدني ١٧٩هـ، **المدونة الكبرى**، دار صادر: بيروت، (٢٩١/١٠).
(٦) ينظر: الشافعي الصغير، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد الرملي ١٠٠٤هـ، **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٤هـ، (٤٧٢/٣).
(٧) ينظر: ابن قدامة، أبومحمد عبدالله بن أحمد المقدسي ٦٢٠هـ، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، دار الفكر: بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، (١٥٤/٤).
(٨) ابن حزم، ، **المحلى**، (٦٤/٩).
(٩) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (٧٥/٢٨).
(١٠) الشوكاني، محمد بن علي ١٢٥٠هـ، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، دار الجيل: بيروت، ١٩٧٣م، (٣٣٧/٥).

والتعريف المختار هو: حبس ما يتضرر الناس بحبسه تربصاً للغلاء(١).

حرص دين الإسلام القويم على العباد، وأرشدهم إلى ما يصلح به دنياهم وآخرتهم، فقد اعتنى بشؤون حياتهم، ورسم لهم المنهج الذي يستقيمون به وينجون، ونظم لهم معاملاتهم الاقتصادية أحسن تنظيم، وكيفية تعاملهم عند شرائهم وبيعهم، ودلهم على ما يصلح به أرزاقهم، وحذرهم من أسباب خسرانهم أشد تحذير، ومن ذلك منعه الاحتكار الذي أضر بالعباد والبلاد، القائم على المصلحة الخاصة، ولم ينظر إلى المصالح العامة للعباد، مخالفين بهذا قاعدة من قواعد الحياة الناجحة، وهي أن "المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة"(٢)، فإن في ذلك ظلماً عظيماً، راعى فيه جانباً فردياً وهم التجار، ضارباً باقي الشعوب بعرض الحائط، ولذلك فإن "الأمة اتفقت أن الحكرة المضرة بالناس غير جائزة"(٣)، ولقد حذر الله تعالى في محكم كتابه من عاقبة الظلم، حيث قال ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧﴾(٤)، فالذي يترتب على هذا الاحتكار الذي يصاحبه إضرار بالناس، أنه من أكل أموالهم بالباطل، وقد يكون فيه استغلال لبعض عمال الولاة، من خلال دفع الرشاوي، وتقديم المصالح من أجل التسهيلات، فالشارع حرص على حفظ الأموال؛ لأن الأموال تقوم بها أمور الدين، وأمور الدنيا، وفي هذا يقول المولى -جل وعلا- ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقًا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾(٥)، "هذه الآية من قواعد المعاملات وأساس المعاوضات ينبني عليها"(٦)، والحياة ليست ملكاً لفئة دون أخرى يتصرفون بها كيف شاؤوا، ومتى شاؤوا، الكل له نصيب من الدنيا، يكد ويسعى فيها، والاحتكار تعد على حقوق الغير، فلا يحق للحاكم ولا غيره تسويق هذا الظلم، فقد "أخبر تعالى أن الحاكم وغيره

---

(١) الدوري، قحطان عبدالرحمن، **الاحتكار وآثاره في الفقه الإسلامي**، مطبعة الأمة: بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ، (ص٢٢).

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي٧٩٠هـ، **الموافقات**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان: السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (٣٥٠/٢).

(٣) ينظر: ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ٤٥٦هـ، **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، دار الكتب العلمية: بيروت، (٨٩/١).

(٤) الطور: ٤٧.

(٥) البقرة: ١٨٨.

(٦) ابن العربي، **أحكام القرآن**، (١٣٧/١).

سواء في أنه لا يملك أخذ مال أحد ودفعه إلى غيره"(١)، والمراد من قوله (وتدلوا بها إلى الحكام): "أي: لا تعطوها الحكام على سبيل الرشوة ليغيروا الحكم لكم"(٢)، قال قتادة: "اعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حراماً ولا يحق لك باطلاً، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى، وتشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطيء ويصيب، واعلموا أن من قضى له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضى به للمبطل على المحق في الدنيا"(٣)، فالاحتكار استغلال لما بين أيدي الناس، ومن الظلم والتعدي والتجاوز على حقوق الآخرين التي أمرنا أن نحافظ عليها بدلاً من الاعتداء عليها، "والباطل يشمل ما كان غير مشروع، كالغش والرشوة والغصب والقمار والاستغلال والربا، وما جرى مجرى ذلك"(٤)، قال صاحب المنار:(لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل؛ لأن ذلك جناية على نفس الآكل، من حيث هو جناية على الأمة التي هو أحد أعضائها؛ لا بد أن يصيبه سهم من كل جناية تقع عليها، فهو باستحلاله مال غيره يجرئ غيره على استحلال أكل ماله عند الاستطاعة، فما أبلغ هذا الإيجاز وما أجدر هذه الكلمة بوصف الإعجاز)(٥).

ولم يذكر القرآن الاحتكار بلفظه، ولكن وردت آية ذكر في تفسيرها أنها مشتملة على معنى الاحتكار، ووردت آيات عامة في حفظ الأموال، والاحتكار داخل فيها كما هو في الآية السابقة، والآية التي في الاحتكار هي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾(٦)، قال حبيب بن أبي ثابت وآخرون بأن المراد (بظلم):"هو احتكار الطعام بمكة"(٧)، وقال عمر بن الخطاب:" احتكار الطعام بمكة

(١) الجصاص، **أحكام القرآن**، (١٥٤/٣).
(٢) البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود الفراء ٥١٦هـ، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي: دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، (٨٧/١٠).
(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢٢٦/١).
(٤) **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (٢٨١/٣١).
(٥) رضا، **تفسير المنار**، (١٥٧/٢).
(٦) الحج: ٢٥.
(٧) الطبري، **جامع البيان**، (١٤١/١٧).

إلحاد"(١)، ولقد شاع الاحتكار وتغلغل "في كثير من ميادين الإنتاج، وأصبح المحتكرون يسيطرون على الأسواق مما أدى إلى حدوث مضار اقتصادية واجتماعية في معظم الدول"(٢)، ويرى الباحث أن تفسير الظلم في الآية مشتمل على معنى الاحتكار، ولا يمكن حصر الظلم في الآية على الاحتكار فقط، وذلك أن لفظ الظلم عام فيدخل فيه الاحتكار وغيره، فيتضح "أن الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد"(٣)، والمقرر عند السلف أن كل ذنب أعقبه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة من الكتاب أو السنة فهو كبيرة من الكبائر(٤)، فرضا العبد بما قسمه الله له ربح للدنيا والآخرة، وتحل عليه البركة، وما خالف ذلك من "عدم القناعة والطمع والجشع يجعل الإنسان يخسر آخرته، ويترتب على ذلك إثم عظيم وعذاب أليم في الدنيا والآخرة"(٥).

وإن للمشتري حقوقاً على المحتكرين، ومن ذلك أن حق المشتري متعلق بهذه السلعة، فاحتكارها من خلال الامتناع عن البيع، فيه ضياع لحق المشتري وتضييق عليه، مما يسبب الضرر للناس، فيقع المحتكر أيضاً في الظلم، بسبب استغلاله للمشتري، وما يعانيه المسلم في الوقت الراهن: هو ما يجده من جشع التجار وطمعهم من خلال ترك التسعير لهم كما يشتهون، ومن خلال استغلالهم للسلعة على سبيل الاحتكار، فهذا يؤدي إلى ضرر عظيم على المسلمين، لاسيما مع شدة الحاجة إلى السلعة، وترك هذا الظلم دون تدخل من الولاة وفرض العقوبات الشديدة على المحتكرين، سيشيع الفقر في البلاد، ويقعون ضحية لهؤلاء المفسدين، والله -جل وعلا- يقول ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾(٦)، وسيكون هذا الظلم له تأثير سلبي على الاقتصاد في الدولة، ويسهم في ضعف الدخل القومي.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ، **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر: بيروت، (٢٥٥/٧).

(٢) السميران، محمد مطرود، **الاحتكار بين الشريعة والنظم المعاصرة**، رسالة جامعية، ١٩٩٤هـ، (ص: ز).

(٣) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٧٣/٢).

(٤) ينظر: البخاري، **التاريخ الكبير**، (٢٣٠/١). وينظر: الذهبي: محمد بن عثمان ٧٤٨هـ، **الكبائر**، دار الندوة الجديدة: بيروت، (ص٨).

(٥) السميران، **الاحتكار بين الشريعة والنظم المعاصرة**، (ص١٣).

(٦) الأعراف: ٥٦.

والناظر في القرآن الكريم يجد أن الله -عز وجل- كان له حكمة في تقسيمه للأموال والأرزاق بين العباد، ومن ذلك أموال الفيء، قال تعالى ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾(١)، فبين الله تعالى الحكمة من هذه التقسيمة، وهي ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾، والمعنى: "كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بتصرفاتهم ويبقى المساكين بلا شيء"(٢)، والعلة في ذلك هي "الخوف من احتجاز واحتكار وتمركز الأموال لدى الأغنياء دون الفقراء، وما يحدثه ذلك من أضرار"(٣)، ففي احتكاره عند فئة الأغنياء ضياع لأموال العباد ومصالحهم، "وتخلل ذلك إيماء إلى حكمة شرائع انتقال الأموال بين المسلمين بالوجوه التي نظمها الإسلام بحيث لا تشق على أصحاب الأموال"(٤)، فللإسلام حكم عظيمة، قد يَظهَرُ لنا شيئاً منها، ويَخفَى علينا الكثير، وفي هذا يقول الدكتور أحمد عفيفي:(يحرم الإسلام الملكية التي تنشأ عن الاحتكار باعتبار الاحتكار: منعاً من تداول الثروة ووسيلة من وسائل السيطرة والاستغلال. وعلى هذا المفهوم اتفق الكاتبون المحدثون في الفقه الإسلامي وإن اختلفت عباراتهم في الحكمة من تحريم الاحتكار، فقيل إن هذا التحريم منع من إساءة استعمال الحق، وأنه تحريم لطرائق الكسب غير المشروع وعمل بالقاعدة الإسلامية التي تخضع لها جميع المعاملات (لاضرر ولا ضرار)(٥) لما في الاحتكار من إضرار بالمستهلكين، وأنه نهي عن الظلم في التملك، وأنه إقامة لقواعد الاقتصاد على نظام صالح، وأنه دفع للضرر العام ولو باحتمال ضرر خاص، وأنه نهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وأنه نهي عن الكسب الخبيث الحرام المتناقض مع التجارة عن

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف ٨٧٥هـ، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي: بيروت، (٢٨٣/٤).

(٣) أبوسعد، د. محمد بن محمد شتا، **تعريف المسؤولية المدنية بوصفها جانباً من الضمان في الفقه الإسلامي**، بحث منشور، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة علمية محكمة، عدد٦، جزء١، محرم ١٤١٣هـ، (ص٢٦٩).

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٦٤/٢٨).

(٥) هذه القاعدة سيأتي ذكرها في الصفحة التالية.

تراض ونهى عن الاعتداء وأمر بالتعامل العادل)(١)، والمحزن أن هذا الاحتكار في العصر الحديث تجاوز الاحتكار الفردي إلى الاحتكار العالمي، فأصبحت الدول تحتكر وتسيطر وتفرض أسعارها على المستوى العالمي، "ووصل بها الأمر إلى إلقاء بعض المنتجات في قاع البحر تخلصاً منها، حفاظاً على مركزها الاحتكاري، تمسكاً بفرض الأسعار، من أجل عنصر الندرة"(٢).

فالاحتكار شكل معوقاً اقتصادياً شائعاً في كثير من المجتمعات، وأهم ما يرتكز عليه هذا المعوق -كما سيأتي في الآثار- هو الظلم والضرر بالناس، من خلال الامتناع عن بيع السلع التي يحتاجها الناس، ورفع الأسعار عليهم، ومن خلال إغلاق باب التجارة والمنافسة والربح أمام صغار المستثمرين، وهذا المعوق يخلف في المآل على كثير من الناس السقوط في بحر الفقر، وذلك أن هذا المعوق يقوم على الأنانية ومراعاة التاجر لنفسه على حساب عامة الناس، وهذا كله يخالف الحكمة في المال التي جعلها القرآن الكريم قياماً للناس، وليس إضعافاً وإضراراً بالناس، فهذا المعوق "مبعثه الأنانية والقسوة على خلق الله؛ لأن المحتكر يريد أن يوسع ثروته بالتضييق على خلق الله، وأن يبني قصوراً من جماجم البشر، وأن يمص دماءهم لتجري في عروقه أو في رصيده ألوفاً وملايين"(٣).

والاحتكار مع ما عليه من محظور شرعي، فإنه يترتب عليه أيضاً مفاسد عظيمة، وهو يعارض قواعد الشريعة وأصولها، ومن هذه القواعد اجمالاً:

١-قاعدة: لا ضرر ولا ضرار(٤)، فالاحتكار له أضرار كثيرة على المستهلكين.

٢-قاعدة: المشقة تجلب التيسير(٥)، والاحتكار فيه مشقة على المسلمين، ولابد من التيسير عليهم.

---

(١) عفيفي، د. أحمد مصطفى، **الاحتكار وموقف الشريعة الإسلامية منه في إطار العلاقات الاقتصادية المعاصرة**، مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (ص١٠٧-١٠٨).

(٢) ينظر: القضاة، مصطفى مفلح، **مقدمة التحقيق من كتاب إصلاح المال لأبي بكر بن أبي الدنيا**، تحقيق: مصطفى مفلح القضاة، دار الوفاء: المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، (١١٢).

(٣) القرضاوي، د. يوسف، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، مكتبة وهبة: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (ص٢٩٤).

(٤) الشاطبي، **الموافقات**، (٣٥٢/٢).

(٥) السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي ابن عبدالكافي ٧٧١هـ، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، (٥٩/١).

٣-دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح(١)، والمفاسد متحققة جراء هذا الصنيع، والمفسدة أثرها أعظم من المصلحة في الاحتكار.

٤-يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام(٢)، والضرر الخاص آثاره تبقى محصورة على الفرد وحده، وأما العامة فآثارها على الأمة كلها، وعليه "فإن الضرر الذي يلحق الجماعة أشد من الضرر الذي يلحق الفرد"(٣).

٥-يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى(٤)، وذلك أن آثار ترك الاحتكار نفعه عائد للأمة جميعاً، وضرره عائد على المحتكر فقط، والاحتكار نفعه عائد للفرد وحده، ضار بالأمة كلها، "ولذا فإنه لا حق لأحد في الحصول على منفعة، من جراء فعل، إذا كان هذا الفعل يجرُّ ضررًا أكبر من هذه المنفعة للشخص ذاته، أو لأحد آخر سواه"(٥).

ومما سبق يتبين مدى تصادم الاحتكار مع قواعد الشريعة، وسيذكر الباحث آثاراً سلبية على الاقتصاد، يظهر من خلالها أن الاحتكار معوق اقتصادي فاشٍ بين الأمم، وموجع لها، ومن هذه الآثار التي تم التوصل إليها:-

١- غلاء أسعار السلع، فالتاجر إذا يقوم بخفض إنتاجه حتى يزيد عليه الطلب، وبالتالي يؤدي لزيادة الأسعار نظراً لحاجة الناس إلى السلعة، "فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار، وهو ظلم عام، وصاحبه مذموم في الشرع"(٦)، " فقد كان الأغنياء يمارسون ذلك خاصة في الأقوات، طلباً للمزيد من الأرباح متسببين في

---

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله ٧٩٤هـ، **البحر المحيط في أصول الفقه**، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، (١٩٩/٤).

(٢) ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم بن محمد ٩٧٠هـ، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٨٧/١).

(٣) الصالح، **المصادر الأصلية والتبعية** للشريعة الإسلامية، (ص٦١).

(٤) ابن القيم، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل: بيروت، ١٩٧٣م، (١٤١/٢).

(٥) أبوسعد، **تعريف المسؤولية المدنية**، (ص٢١٨).

(٦) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٧٢/٢).

إحداث الارتفاعات المستمرة في مستويات الأسعار، والتي أضرت كثيرًا بالسكان، خاصة الفقراء منهم"(١).

٢- فقدان السلع، وذلك أن المحتكر لا ينجح في رفع السعر إلا بعد تخفيض مقدار الإنتاج، أو إخفاء السلع من أجل رفع الأسعار، فيؤدي هذا إلى زيادة الطلب عليها، وبالنهاية فقدان المستهلك للسلعة نتيجة هذا الطلب، وحذر من هذا الضرر علي -رضي الله عنه- في وصيته لواليه على مصر (الأشتر النخعي) حيث قال في وصيته:(واعلم أن في كثير من التجار والصناع ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكارًا للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منع منه)(٢).

٣- فساد وتلف السلع المخزنة لدى المحتكر، وذلك أن "مما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة أن احتكار ما تحتاجه لتحين أوقات الغلاء مشؤم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران"(٣).

٤- ضعف الإنتاج والتقدم وانتشار البطالة، وهذا بسبب أن "المحتكر في مأمن من أن ينافسه أحد، فلا يسعى إلى تحسين الإنتاج وتطويره"(٤)، فالمحتكرون يحاربون المنافسين، وإذا ذهبت المنافسة انتشرت معها البطالة لعدم وجود فرص عمل، فتنحسر الثروة ويقصر العمل لدى الفئة المحتكرة.

٥- حرمان الأفراد من الاستفادة من السلع واستثمارها لكي تكون لهم دخلاً لأنفسهم ومن يعولون، فقد "ينتج عن الاحتكار شيوع الفقر والحرمان والطبقية"(٥)، وهذا

---

(١) دنيا، د. شوقي أحمد، **قراءة اقتصادية في كتاب "التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبر والتصرف والاختيار" لمحمد بن محمد بن خليل الأسدي**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة علمية محكمة، عدد٥، جزء ١، محرم ١٤١٢هـ، (ص٢١٩).

(١) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، (١٤١/٢).

(٢) ابن أبي حديد المدائني، أبوحامد عزالدين بن هبة الله بن محمد ٦٥٥هـ، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٤٩/١٧).

(٣) ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي ٨٠٨هـ، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم: بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م، (ص٣٩٧).

(٤) الدوري، **الاحتكار وآثاره في الفقه الإسلامي**، (ص٧٩).

(٥) ينظر: القضاة، **مقدمة التحقيق من كتاب إصلاح المال**، (١١٣).

بسبب ما "يحصل عليه المحتكرون من أموال طائلة في غياب حرية التعامل في الأسواق وتفاعل قوى العرض والطلب في حرية تامة لتحديد الأسعار"(١).

٦- شيوع الفقر بين المجتمعات والدول، وما هذا إلا نتيجة بسبب الآثار السابقة، فالإسلام تصدى "لمحاربة الاحتكار، ومعاقبة مرتكبه، باتباع عدد من الوسائل الوقائية والعلاجية، لدرء مخاطره ومضاره الجسيمة، والتي تؤدي إلى حدوث تفاوت في توزيع الدخل والثروة بين الناس، ونشر البطالة، وبالتالي انتشار الفقر والحرمان والطبقية"(٢).

---

(١) خليل، أ.د. رشاد حسن، **الفساد في النشاط الإقتصادي**، بحث منشور، المؤتمر العالمي الثالث للإقتصاد الإسلامي: مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ، (ص١٩).

(٢) السميران، د. محمد مطرود، **الآثار الاقتصادية والاجتماعية للاحتكار**، بحث منشور في موقع جامعة سكيكدة، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، جامعة سكيكدة: الجزائر، ٢٠١٠م، (ص٣٥).

المبحث الخامس: وسائل علاج المعوقات الاقتصادية

المطلب الأول: الدعم المالي

بين القرآن الكريم أهمية المال بالنسبة للإنسان في قوله تعالى ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١)، فالمال قوام الحياة وزينتها، ومع هذه الأهمية فإن الله تعالى بين أن المال فتنة فينبغي الحذر منه، وألا يجعله غاية له، قال تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾(٢)، وبين كذلك القرآن الكريم للإنسان أمراً مهماً، وهو أن المال الذي بين يديه لا يملكه ملكاً حقيقاً، بل هو ملك لله تعالى، والإنسان مستخلف على هذا المال وموكل عليه، قال تعالى ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾(٣)، وقال تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(٤)، أي: "أن هذه الأموال التي بين أيديكم ليست أموالكم حقيقة، وإنما أموال الله، وأنتم عليها وكلاء ونواب، فأنفقوا على الحقوق التي ذكرها الله لكم، قبل أن تزال منكم ويأخذها من بعدكم، فاغتنموا هذه الفرصة مادام أنها ما زالت بين أيديكم"(٥)، "فإن من عَلِمَ أنها لله تعالى وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق، وإذا عَلِمَ كذلك أن هذا المال الذي معه سينتقل لغيره فسيهون عليه الإنفاق"(٦)، فالمسلم إذا عَلِمَ هذه الحقيقة فسيساهم ويدعم بماله الاقتصاد الإسلامي.

وشرع الإسلام الزكاة؛ لأنها أحد الأسس التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي، وهي ركن أصيل من أركان الإسلام، فالزكاة أهم عنصر في الدعم، إنه عنصر البذل بلا عوض

---

(١) سورة الكهف:٤٦

(٢) سورة الأنفال:٢٨

(٣) سورة النور:٣٣

(٤) سورة الحديد:٧

(٥) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (٢٩٤/٤)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،(٢٣٨/١٧)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٠٤/٨)، والشوكاني، **فتح القدير**، (١٦٧/٥)، والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٢٩٧/٥).

(٦) الآلوسي، **روح المعاني**، (١٦٩/٢٧)، والرازي، **التفسير الكبير**، (١٨٨/٢٩)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٠٤/٨)، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٢٥٨/٥)، الزمخشري، **الكشاف**، (٢٧١/٤).

ولا رد، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾(١)، "إن الزكاة هي قاعدة المجتمع المتكافل المتضامن، الذي لا يحتاج إلى ضمانات النظام الربوي في أي جانب من جوانب حياته"(٢)، والزكاة مطهرة للذنوب، وتزكية للنفوس، قال تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾(٣)، وهي "تشريع إسلامي يحفظ للفرد استقلاله وحريته في العمل والكسب، ويحفظ للمجتمع حقه على الفرد من المعونة والتضامن"(٤).

وهناك عنصر آخر حث عليه القرآن الكريم، وحرص عليه أشد حرص، وهو القرض الحسن، "وذلك أن الإسلام عندما أغلق الربا، فتح باب القرض الحسن وشجع عليه، وأغرى صاحب المال بالأجر العظيم على القرض"(٥)، قال تعالى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾(٦)، قال ابن القيم:(صدر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الطلب وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، والمعنى: هل أحد يبذل هذا القرض الحسن فيجازى عليه أضعافاً مضاعفة، وسمي ذلك الإنفاق قرضا حسناً؛ حثاً للنفوس وبعثاً لها على البذل؛ لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولابد، طوعت له نفسه بذله وسهل عليه إخراجه، فإن عَلِمَ أن المستقرض مليءٌ وفيٌّ محسنٌ، كان أبلغ في طيب قلبه وسماحة نفسه، فإن عَلِمَ أن المستقرض يَتجُرُ له بما اقترضه وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله، كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن عَلِمَ أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض وأن ذلك الأجر حظ عظيم وعطاء كريم، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا

---

(١) سورة البقرة:٢٧٧

(٢) قطب، **تفسير آيات الربا**، دار الشروق، ١٤١٥هـ، (ص٣٤).

(٣) سورة التوبة:١٠٣

(٤) السمالوطي، د. نبيل، **بناء المجتمع المسلم**، دار الشروق، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، (ص٢٣٨).

(٥) ينظر: غريب، محمود أحمد، **المال في القرآن الكريم**، طبعة وزارة الإعلام العراقية: بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ، (ص٣٦).

(٦) سورة البقرة:٢٤٥

لآفة في نفسه، من البخل والشح أو عدم الثقة بالضمان، وذلك من ضعف إيمانه)(١)، ويقال: "دلت الآية على عظم رتبة الغني حيث سَألَ منه القرض، ولكن رتبة الفقير في هذا أعظم؛ لأنه سَألَ لأجله القرض، وقد يُسأل القرض من كل أحد، ولكن لا يُسأل لأجل كل أحد"(٢).

وقد حذر القرآن الكريم من البخل في مواضع عديدة، قال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾(٣)، وفي الآية "بيان لحال البخل وسوء عاقبته، وتخطئة لأهله في دعواهم خيريته حسب بيان حال الإملاء، وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى إياه من فضله؛ للمبالغة في بيان سوء صنيعهم، فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله"(٤)، وفي تحريم البخل دليل على أن الشريعة تحرص على توفير أنواع الدعم المالي للمحتاجين.

وقد توعد الله تعالى في القرآن الكريم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يؤدون منها حق الله بأشد الوعيد، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٥)، فالإسلام حث على الاستثمار والعمل من خلال تحريم الاكتناز؛ "لأن فيه حبس للمال عن قيامه بدوره الاستثماري في خدمة المجتمع، ولما يؤدي إليه من أضرار تلحق بالفرد والمجتمع. فالإسلام يحارب الأنانية لدى المكتنز الذي ينظر إلى المال من خلال مصلحته الخاصة؛ وذلك لأن المال في نظر الإسلام أداة لإسعاد الفرد ومجتمعه من خلال الاستثمار وما يخرج منه من زكاة وصدقات"(٦)، "ومن الواجب على المجتمع المسلم أن يُخرج النقود من قمقم (الكنز) إلى

---

(١) ابن القيم، **طريق الهجرتين**، (ص٥٣٨).
(٢) القشيري، **لطائف الإشارات**، (١٨٩/١).
(٣) سورة آل عمران:١٨٠
(٤) ينظر: أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (١٢٠/٢)، الآلوسي، **روح المعاني**، (١٣٩/٤).
(٥) سورة التوبة:٣٤-٣٥
(٦) السمالوطي، **بناء المجتمع المسلم**، (ص١٠٩).

باحة الحركة والعمل، فإن النقود لم تخلق لتحبس وتكنز، إنما خُلقت لتتداول، وتنتقل من يد إلى يد، ثمناً لبيعه، أو أجراً لعمل، أو عين ينتفع بها، أو رأس مال لشركة أو مضاربة، فهي وسيلة لأغراض شتى، وليست هي غرضاً في ذاتها، ولا يجوز أن يحولها الناس إلى وثن يعبدونه ويطوفون به، فهذا سبب التعاسة والشقاء"(١)، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((تعس عبد الدينار والدرهم وَالقطيفة وَالخميصَة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرْض))(٢)، "فالله تعالى خلق الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال، وحتى تقدر الأموال بهما وتعرف المقادير، ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما إلى سائر الأشياء؛ لأنهما عزيزان في أنفسهما، فمن كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما، وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه؛ لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به"(٣).

والإسلام جاء بتنظيم لم يسبق مثله، وذلك أن الأموال الخيرية في المجتمع يتم تقسيمها كل بحسب حاجته ومشاركته، فرضخت لكل أحد منهم سهماً يناله، حتى أن الرجل الذي أهلكته الديون جعلت له سهماً، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾(٤)، والغارمون: "هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به"، وهذا التوزيع هو توزيع وتقسيم رباني، حيث إن الله هو بنفسه من تولى هذا التقسيم، مما يدل على عظم شأنها، والآية ذكرت ثمانية أصناف، وجميعها "يجمعها صنفان من الناس:-

أحدهما: من يأخذ لحاجة فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها، وهم الفقراء والمساكين، وفي الرقاب، وابن السبيل.

والثاني: من يأخذ لمنفعته وهم العاملون عليها، والمؤلفة قلوبهم، والغارمون لإصلاح ذات البين، والغزاة في سبيل الله، فإن لم يكن الآخذ محتاجاً، ولا فيه منفعة للمسلمين، فلا

(١) القرضاوي، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، (ص١٩٢).
(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٠٧١، (٢٣٤٦/٥).
(٣) ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٩١/٤).
(٤) سورة التوبة: ٦٠

سهم له في الزكاة"[١]، "فالفقراء والمساكين والغارمون يعطون من هذه الأموال حتى يخرجوا من الفقر والمسكنة والغرم إلى الغنى"[٢]، وهذا التقسيم لم ينس ولم يترك أحداً من الناس إلا وسد حاجاته، وأشْعَرَ المجتمع بأنهم كالجسد الواحد، "وما من مجتمع قام على التعاون والتكافل -الصدقات- وسادته روح المودة والحب والرضى والسماحة، والتطلع دائماً إلى فضل الله وثوابه، والاطمئنان دائماً إلى عونه وإخلافه للصدقة بأضعافها، إلا بارك الله لأهله -أفراداً وجماعات- في مالهم ورزقهم، وفي صحتهم وقوتهم، وفي طمأنينة قلوبهم وراحة بالهم"[٣].

وهناك بيت مال المسلمين تدخل عليه الأموال الكثيرة والمتعددة "كالصدقات التطوعية والوقف والوصايا والنذور والكفارات والفيء والغنائم والأضاحي وصدقة عيد الفطر وغيرها، وهي كفيلة لو التزم بها المجتمع المسلم بتحقيق التكافل الاقتصادي"[٤]، يقول القرضاوي:(في أملاك الدولة الإسلامية والأموال العامة التي تديرها وتشرف عليها، إما باستغلالها أو بايجارها أو بالمشاركة عليها، وذلك كالأوقاف العامة، والمناجم والمعادن التي يوجب الإسلام في أرجح مذاهبه ألا يحتجزها الأفراد لأنفسهم، بل تكون في يد الدولة؛ ليكون الناس كافة شركاء في الانتفاع بها في ريع هذه الأملاك وما تدره من دخل للخزانة الإسلامية، موردٌ للفقراء والمساكين حين تضيق حصيلة الدولة عن الوفاء بحاجاتهم)[٥]، وفي هذه الحالة يصبح بيت المال هو "المموول الأخير لكل فقير وذي حاجة؛ لأنه ملك الجميع، وليس ملكاً لأمير أو فئة من الناس"[٦].

فهذه الموارد السابقة أقوى دعم مالي يحصل عليه ويستفيد منه المحتاجون الذين ألجأتهم حاجاتهم إلى اللجوء إلى البنوك الربوية، وهذا لا يكون إلا من خلال تطبيق هذه الشريعة العظيمة، وجعل هناك جهات ودوائر تقوم عليها بطريقة منظمة وبأيدي أيمينة، قال محمد رضا:(الأمة التي تبذل أغنياؤها المال، وتقوم بفريضة التعاون على الأعمال، فيكفل غنيها فقيرها، ويحمي قويها ضعيفها، تتسع دائرة مصالحها ومنافعها، وتكثر مرافقها وتتوفر

---

(١) ابن القيم، **زاد المعاد**، (٢/٩).
(٢) الشافعي، **الأم**، (٢/٧٥).
(٣) قطب، **تفسير آيات الربا**، (ص٣٢).
(٤) ينظر: يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٢٦٠-٢٦١).
(٥) القرضاوي، **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، (ص١٠٧).
(٦) المصدر السابق، (ص١٠٨).

سعادتها، وتدوم على أفرادها النعمة، ما استقاموا على البذل والتعاون في المصالح العامة، ثم إنهم يكونون بذلك مستحقين لسعادة الآخرة ومضاعفة الثواب فيها"(١)، ولقد عاش المسلمون عند نزول التشريع الإسلامي وتطبيقاته الاقتصادية "عيشة هنية يسودها الرخاء والأمن والتكافل الاقتصادي، ولقد وصل الحال في وقت من الأوقات إلى انعدام الفقر والعوز، وتحقيق الكفاية والغنى ورغد العيش بين أفراد المجتمع المسلم، حتى إن عمر بن الخطاب أغلق دار المساكين في المدينة المنورة بعد أن أغنى الله تعالى المسلمين وأعزهم"(٢).

ويقترح الباحث عدة أمور تساهم في تقوية الدعم المالي، ومنها:-

١-ربط رواتب الدولة بمدى إنتاج الموظف؛ حتى تدور عجلة الاقتصاد بشكل حقيقي، مما يؤدي إلى زيادة دخل الفرد.

٢-استثمار أموال الدولة والأفراد بما يعود على البلاد وعلى الأفراد بالنفع والخير.

٣-إعطاء المواطنين قروض ميسرة دون فوائد ربوية من خزانة الدولة، وبأخذ كافة الضمانات المختلفة لتأمين تسديدها.

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، (٢/٣٧١).
(٢) يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٢٦٥).

المطلب الثاني: دفع الزكاة والصدقات

لقد جعل الله -جل وعلا- الزكاة ركن أصيل من الأركان التي يقوم عليها دين الإسلام، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان))(١)، وفي إيتاء الزكاة والصدقات تطهير للمال، وتطهير من دنائس الذنوب، قال تعالى ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾(٢)، أي: "خذ من أموالهم الزكاة المفروضة؛ لتطهرهم من الذنوب، والأخلاق الرذيلة، وتزيد من أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتنمي أموالهم وتحل عليها البركة"(٣)، "وهي أم الأعمال المالية التي بها يطهر القلب من دنس البخل، والمال من خبث الحرمة"(٤)، وقد تبين فيما سبق أن حبس الزكاة والصدقات يترتب عليه وعيد شديد، وسوء الجزاء في الدنيا والآخرة، وأضراره عظيمة على الاقتصاد.

وقد أمر الله تعالى في مواضع كثيرة في القرآن بأداء الزكاة، ورغب في أداء الصدقات، ورتب عليهما الجزاء العظيم، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾(٥)، قال الشوكاني في هذه الآية:(حث من الله سبحانه لهم على الاشتغال بما ينفعهم، ويعود عليهم بالمصلحة، من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتقديم الخير الذي يثابون عليه؛ حتى يمكن الله لهم وينصرهم على المخالفين لهم)(٦)، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٨، (١٢/١).
(٢) سورة التوبة:١٠٣
(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٦/١١)، والبغوي، **معالم التنزيل**، (٣٢٤/٢)، والزمخشري، **الكشاف**، (٢٩٣/٢)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٩٩/٤)، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٣٥٠).
(٤) المرادي، **تفسير روح البيان**، (٣٣١/٩).
(٥) سورة البقرة:١١٠
(٦) الشوكاني، **فتح القدير**، (١٢٨/١).

غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾(١)، قال ابن عباس:(يعطيهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ويغفر من ذنوبهم، ويشكر اليسير من أعمالهم)(٢)، وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بأنه هدى وبشرى ورحمة للذين يؤتون الزكاة، قال تعالى ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾(٣)، وقال تعالى ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾(٤)، وأن في اخراجها سبيل لتطهير النفس من البخل والشح، قال تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾﴾(٥).

وإن القرآن الكريم أمر بدفع الزكاة والصدقات من أجل إصلاح الأمة ونهوض اقتصادها، وذلك أن الأمة إذا كان اقتصادها ضعيف فلن تستطيع النهوض، فينبغي النظر إليها من جهة صلاح الأمة اقتصادياً واجتماعياً، فهي أساس التنمية كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة))(٦)، فهذا الحديث يبين كيف أن تنمية الصدقة لها أثر على المجتمع، وأنها تعود عليهم بالنفع والخير، "وهي أقوى دخل مالي في الإسلام؛ لأنها عبادة من ناحية، وواجب اجتماعي من ناحية أخرى، وهي طهارة للضمير والذمة بأداء الحق المفروض، وطهارة للنفس والقلب من فطرة الشح وغريزة حب الذات، فالمال عزيز والملك حبيب، فحين تجود النفس به للآخرين، إنما تطهر وترتفع وتشرق، والزكاة حق الجماعة في عنق الفرد، لتكفل الطوائف منها لكفايتهم أحياناً، وشيئاً من المتاع بعد الكفاف أحياناً، وبذلك يحقق الإسلام جانباً من مبدئه العام"(٧)، وهذا من أجل ألا يكون كما

---

(١) سورة فاطر:٢٩-٣٠
(٢) البغوي، **معالم التنزيل**، (٥٧٠/٣).
(٣) سورة النمل:١-٣
(٤) سورة لقمان:٣-٤
(٥) سورة الحشر:٩
(٦) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٢٧٩٥، (٨١٧/٢)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٥٥٣، (١١٨٩/٣).
(٧) ينظر: قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، (ص١٤٦-١٤٧).

أخبر تعالى ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾(١)، أي: "من أجل ألا يكون المال متداولاً عند فئة الأغنياء يستمتعون به كما يريدون ويشتهون، ولا ينفقون منه شيئاً على أخوانهم الفقراء"(٢)، "فتشريع الزكاة والواجبات المالية العامة أو الخاصة أساس التعاون والتضامن والتراحم بين الناس، كما أن ذلك أيضاً طريق الاغناء ومحاربة الفقر والأخذ بيد الضعيف، وتقوية اقتصاد الأمة، وتأمين موارد بيت المال"(٣)، وفي هذه المنافع العظيمة التي تعود على الأمة "والتي يعز المزكي بعزها ويذل بذلها ويسعد بسعادتها ويشقى بشقائها"(٤).

وقد أمر الله تعالى بأداء حق القريب والمسكين وابن السبيل، ووازن بين أثر هذه النفقة وبين الربا، فالنفقة التي أمر الله بها هي خير ومطهرة ونماء، أما الربا فيزيد ظاهره أمام الناس، ولكن في الحقيقة هو ينقص، قال تعالى ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾(٥)، فشتان بين الزكاة والصدقات التي يعود نفعها للجميع، وبين الربا الذي يكون نفعه فردي، ويعود على الجميع بالهلاك، قال سيد قطب:(إن الزكاة هي قاعدة المجتمع المتكافل المتضامن، الذي لا يحتاج إلى ضمانات النظام الربوي في أي جانب من جوانب الحياة)(٦).

---

(١) سورة الحشر:٧

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، (٥٠٢/٤)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٢٨/٨)، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٣٧/٤).

(٣) الزحيلي، د. وهبة، **نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي**، الرسالة: بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، (ص١٤).

(٤) ينظر، رضا، **الزكاة والتمدن والإيمان والإنسانية**، مجلة المنار، رمضان ١٣١٧هـ، جزء: ٤٥، (٧٠٥/٢).

(٥) سورة الروم:٣٨-٣٩

(٦) قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، (ص١٥١).

وقد حذر الله تعالى من الإمساك عن الزكاة والصدقات أشد تحذير؛ لأن ضررها عائد على الجميع، قال تعالى ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾(١)، ففي هذه الآية بين الله -جل وعلا- أن عدم إيتاء الزكاة من خصائص المشركين الذين توعدهم بالويل لسببين: **الأول:** من أجل كفرهم بالآخرة، **والثاني:** من أجل عدم إيتائهم الزكاة، مما يدل على عظم أمرها، "فإذا كان إيتاء الزكاة من الأوصاف الأساسية للمؤمنين المفلحين، وتركها من الأوصاف اللازمة للمشركين، فذلك يدل على الوجوب، إذ التحلي بصفات المؤمنين، والخروج عن خصائص المشركين، أمر واجب لا نزاع فيه"(٢).

وقد بين الله أيضاً في موضع آخر أن ترك الزكاة من صفات المشركين، الذين أمرنا الله تعالى أن نقاتلهم، وأن المانع من قتالهم هو التوبة وإقام الصلاة وأداء الزكاة، قال تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾(٣) ، ففي الآية جعل الله ثلاثة شروط مانعة من قتالهم، إن هم عملوا بها، فقد سَلِمُوا وعصموا دمائهم، وقد قال تعالى بعد هذه الآية مكرراً ومشدداً على عظم أمرها ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾(٤)، "فلا يتحقق لكافر الدخول في جماعة المسلمين، وتثبت له أخوتهم الدينية، التي تجعله فرداً منهم، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وتربط بهم رباطاً لا تنفصم عراه، إلا بالتوبة عن الشرك وتوابعه وإقامة الصلوات التي بها يلتقي المسلمون على طاعة الله، ويتعارفون ويتحابون،

---

(١) سورة فصلت:٦-٧

(٢) القرضاوي، **فقه الزكاة**، الرسالة: بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، (٥٨/١).

(٣) سورة التوبة:٥

(٤) سورة التوبة:١١

وإيتاء الزكاة التي بها يتواسون ويتكافلون"(١)، وهذا أبوبكر يتوعد من ترك الزكاة، حيث قال:(والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال)(٢)، مما يدل على عظم أمرها.

وقد ذم الله تعالى وتوعد بسوء عاقبة من ترك دفع الزكاة والصدقات من أجل البخل، وأنها من كبائر الذنوب، قال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ﴾(٣)، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٤)، قال العلماء:"إنما عظم الوعيد في هذا الباب؛ لما في اختلاف العباد من الشح على المال والبخل به، فإذا خافوا من عظيم الوعيد لانوا في أداء الطاعة"(٥)، والآية تدل على أن عظم هذا الوعيد يكون على من حبس المال الذي يعود نفعه على جميع أفراد الأمة، وقد أخبر تعالى أنه لا يحب ويبغض من اتصف بالبخل، حيث قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾(٦)، وصفة البخل صفة قبيحة وذميمة تدل على سوء الإخلاق، ولا يحبها الناس، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((شر ما في رجل: شح هالع، وجبن خالع))(٧).

---

(١) القرضاوي، **فقه الزكاة**، (ص٦٣).
(٢) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٨٥٥، (٢٦٥٧/٦)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٠، (٥١/١).
(٣) سورة آل عمران:١٨٠
(٤) سورة التوبة:٣٤-٣٥
(٥) ابن العربي، **أحكام القرآن**، (٤٩٦/٢).
(٦) سورة النساء:٣٦-٣٧
(٧) أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ٧٩٩٧، (٣٠٢/٢)، وأبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٢٥١١، (١٢/٣)، والبيهقي، **السنن الكبرى**، حديث رقم: ١٨٣٤٢، (١٧٠/٩)، قال الغزالي في

وحتى يصبح المجتمع صالحاً فعليه أن يستجيب لما أخبر الله به من بذل المال، ويواسي المحتاجين، لينال الأجر العظيم والثواب الجزيل، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾(١)، أي: "يقبل الصدقات"(٢)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((إن الله يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد))(٣).

وإن في دفع الزكاة والصدقات وترك حبسها، علاج هام لإصلاح اقتصاد الأمة، وله فوائد عظيمة ومتنوعة مما يجعلها سبب رئيسي في إصلاح الاقتصاد، ومن هذه الفوائد الاقتصادية:-

١-دفع الزكاة والصدقات سبب رئيسي في قضاء حوائج المحتاجين وتفريج كرباتهم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة))(٤)

٢-أداؤها من أسباب النصر والرزق، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم))(٥).

٣- سبب لنزول الخيرات ودفع العقوبات، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء))(١).

إحياء علوم الدين: إسناده جيد، (٢٥٣/٣)، قال ابن قدامة المقدسي في العقود الدرية: حديث صحيح، (ص١٥٢)، قال الزيلعي في نصب الراية: قال ابن طاهر إسناده متصل، وهو من شرط أبي داود،= =(٨٩/٤)، وقال ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية: إسناده جيد، وكذا قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار، (٩١٠/٢) وكذا قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير، (٧٧/٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: حديث صحيح، (١٦٥/٤)، وكذا قال أيضاً أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد، (١٢٠/٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (١٠٣/٢).

(١) سورة التوبة:١٠٤

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٩/١١)، والواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (٤٨٠/١).

(٣) أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ٩٢٣٤، (٤٠٤/٢)، والترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، حديث رقم: ٦٦٢، (٥٠/٣)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، وقال: حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، حديث رقم: ٣٢٨٣، (٣٦٣/٢)، قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: حديث صحيح، (١٣٨/١٥)، وقال الألباني: صحيح لغيره، في صحيح الترغيب والترهيب، (٢٠٩/١).

(٤) مسلم، **الجامع المسند**، حديث رقم: ٢٥٨٠، (١٩٩٦/٤).

(٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٢٧٣٩، (١٠٦١/٣).

٤- ذهاب شر المال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره))(٢).

٥-الزكاة تنمي الحركة الاقتصادية من خلال أخذ الأموال من أصحاب الأموال المكنوزة التي تجعلهم يسعون في تنميتها لتعويض النقص.

٦-الزكاة تسد حاجة جهات المصارف الثمانية، مما يؤدي إلى رفع المستوى المعيشي لهم، والتخفيف عنهم.

٧- أن دفع الزكاة والصدقات يستجلب البركة والزيادة من الرزاق الكريم، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾(٣).

٨-تؤدي إلى حفظ النفس عن الشح، قال تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴿٩﴾﴾(٤).

٩-تطهر المال، وتزكي النفس، قال تعالى﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾(١).

---

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٤٠١٩، (١٣٣٢/٢)، والبزار، أبوبكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق ٢٩٢هـ، **مسند البزار(البحر الزخار)**، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، حديث رقم: ٦١٧٥، (٣١٥/١٢)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، حديث رقم: ٢٥٧٧، (١٣٦/٢)، والبيهقي، **شعب الإيمان**، ٣٣١٤، (١٩٦/٣)، والحديث صححه ابن حجر الهيثمي في الزواجر، (٣٢٨/١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (١٣٢١/٢).

(٢) أخرجه ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري ٣١١هـ، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٣٩٠هـ، حديث رقم: ٢٢٥٨، (١٣/٤)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد، حديث رقم: ١٤٣٩، (٥٤٧/١)، والطبراني، **المعجم الأوسط**، حديث رقم: ١٥٧٩، (١٦١/٢)، قال الهيثمي: إسناده حسن، مجمع الزوائد، (٦٣/٣)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة: أما أنه على شرط مسلم، فنعم، وأما أنه صحيح، ففيه نظر؛ لأن أبا الزبير وابن جريج مدلسان وقد عنعناه، (٢٤٨/٥).

(٣) سورة سبأ:٣٩

(٤) سورة الحشر:٩

١٠- المساعدة على "حلّ معضلة الفقر التي أعجزت العالم المعاصر"(٢).

١١-تعد عوضاً عن الأموال الربوية التي أهلكت الدول والمجتمعات.

ويقترح الباحث في هذا العلاج الآتي:-

١-إنشاء أقسام خاصة ومستقلة بوزارة المالية يظهر من خلالها ما للمحتاجين وما عليهم وأن يعرف مدى حاجاته وما الذي يغنيه؛ حتى تضمن الدولة أن هذه الأموال ذهبت في الإتجاه الصحيح.

٢-إعطاء المحتاج من أموال ما يكفي لإغنائه وتأمين خروجه من دائرة الفقر والحاجة، وعدم تركه إلا بعد تحقيق ذلك، ومن ثم الذهاب إلى الآخر تلو الآخر، بدلاً من إعطاء المحتاج المبلغ اليسير الذي لا يحل مشكلته بل يجعله بعد فترة من زمان محتاجاً.

٣-محاربة الدولة لمظاهر التسلل الفاشية -المتسللين وهم من يسألون الناس دون حاجة حقيقية بل اتخذوها مهنة وهواية- بمختلف البلاد، والتي حدت بشكل كبير من وصول هذه الأموال إلى المحتاجين حقيقة.

---

(١) سورة التوبة:١٠٣

(٢) مجموعة من المتخصصين، **نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم**، (٢٢١٦/٦).

المطلب الثالث: الاعتدال والنهي عن التبذير

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر في التوسط في سائر الأمور، وأخبرت بأن هذا الاعتدال هو من صفات هذه الأمة، حيث قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾(١)، "وهكذا تجد الشريعة أبداً في مواردها ومصادرها، جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الآخذ من الطرفين، بقسط لا ميل فيه"(٢)، وهذا ابن القيم يوضح بأن الاعتدال والتوسط هو العدل، حيث يقول:(العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه، ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً)(٣).

وقد أمرنا الله -جل وعلا- في القرآن الكريم بالاعتدال، دون إسراف ولا تبذير، قال تعالى ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾(٤)، "فهذا تمثيلٌ لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، وأمرٌ بالاقتصاد والكرم الذي بين الاسراف والتقتير؛ لئلا يصبح العبد ملوماً، والمسرف غير مرضي عند الله ولا عند الناس، ونتيجة هذا الإسراف والتبذير يصبح العبد منقطعاً لا شيء عنده"(٥)، فالاعتدال والاقتصاد "هو الجود والسخاء"(٦).

---

(١) سورة البقرة:١٤٣

(٢) ينظر، الشاطبي، **الموافقات**، (١٦٧/٢).

(٣) ابن القيم، **الفوائد**، (ص١٤١).

(٤) سورة الإسراء:٢٩

(٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، (٦٢٠/٢)، والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٤٤٢/٣).

(٦) قال الراغب الأصفهاني: الجود هو بين البخل والسرف، وبين الإفراط والتفريط، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٦٧٦).

وقد أمر الله تعالى بالإنفاق وإيتاء كل ذي حق حقه دون إسراف ولا تبذير، وقد وصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين، وأنهم كفروا بنعمة ربهم بدلا من أن يشكروها، قال تعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾(١)، "وقعت الأخوة المماثلة التامة في الآية؛ نتيجة الوقوع في التبذير المنهي عنه، فاجتمع المبذرون مع الشياطين في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير، فأصبحوا اتباعاً لهم، وقد جاء وصف الشيطان بأنه كفوراً لربه؛ للإيذان بأن التبذير هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر"(٢)، والمفهوم المخالف لهذه الآية: إن المعتدلين والمقتصدين هم الصالحون وإخوان المتقين، وأنهم شكروا الله على نعمه ولم يكفروا بها، وأنهم على هدى وحق، وقد ذكر ابن عاشور كلاماً جميلاً عن التبذير والقصد يُحسن ذكره، حيث قال:(ووجه النهي عن التبذير هو أن المال جُعل عوضاً لاقتناء ما يحتاج إليه المرء في حياته من ضروريات وحاجيات وتحسينات، وكان نظام القصد في إنفاقه ضَامِنَ كفايته في غالب الأحوال، بحيث إذا أنفق في وجهه على ذلك الترتيب بين الضروري والحاجي والتحسيني، أمِنَ صاحبه من الخصاصة فيما هو إليه أشد احتياجاً، فتجاوز هذا الحد فيه يسمى تبذيراً بالنسبة إلى أصحاب الأموال ذات الكفاف، وأما أهل الوفر والثروة فلأن ذلك الوفر آتٍ من أبواب اتسعت لأحد فضاقت على آخر لا محالة؛ لأن الأموال محدودة، فذلك الوفر يجب أن يكون محفوظاً لإقامة أود المعوزين(٣) وأهل الحاجة الذين يزداد عددهم بمقدار وفرة الأموال التي بأيدي أهل الوفر والجدة، فهو مرصود لإقامة مصالح العائلة والقبيلة وبالتالي مصالح الأمة)(٤).

وقد بين الله تعالى في كتابه أهمية الاعتدال، حيث قال تعالى ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا

---

(١) سورة الإسراء:٢٦-٢٧

(٢) ينظر: أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (١٦٨/٥).

(٣) هكذا كتبت، وقابلها الباحث بنسختين، هذه النسخة، ونسخة الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

(٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٧٩/١٥).

﴿ ﴾(١)، وفي هذه الآية "تحريض على حفظ المال، وتعريف بقيمته، فلا يجوز للمسلم أن يبذر أمواله، وكان السلف من أشد الناس محافظة على ما في أيديهم، وأعرف الناس بتحصيل المال من وجوه الحلال، وفيه حث على الاقتصاد، وبيان فائدته ومنفعته، والتنفير عن الإسراف، والتبذير الذي هو شأن السفهاء، وبيان غائلته وسوء مغبته، فكأنه قال: إن منافعكم ومرافقكم الخاصة ومصالحكم العامة لا تزال قائمة ثابتة ما دامت أموالكم في أيدي الراشدين المقتصدين منكم الذين يحسنون تثميرها وتوفيرها، ولا يتجاوزون حدود المصلحة في إنفاق ما ينفقونه منها، فإذا وقعت في أيدي السفهاء المسرفين الذين يتجاوزون الحدود المشروعة، والمعقولة يتداعى ما كان من تلك المنافع سالماً، ويسقط ما كان من تلك المصالح قائماً، فهذا الدين هو دين الاقتصاد والاعتدال في الأموال والأمور كلها"(٢).

فالاعتدال والقصد هو علاج الأمة الإصلاحي، وهو أصل عظيم من أصول الاقتصاد الإسلامي مما وقعت فيه من الإسراف والتبذير الذي أهلك المجتمع، وكان من أسباب فقرهم وابتلائهم، وكما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ما عال من اقتصد))(٣)، أي: "ما افتقر من اعتدل في الإنفاق، ولم يسرف ويبذر"(٤)، والاقتصاد والاعتدال في المعيشة من الرفق والقناعة، "فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه، ويرد نفسه إلا ما لا بد له منه، حتى يصبح من أهل الرفق الذين أحبهم الله"(٥)، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله))(٦)، وصدق بعض الحكماء إذ يقول:(صديق الرجل قصده، وسرفه عدوه)(٧).

فلابد من محاربة التبذير وإصلاحه من خلال تطبيق ما يدعو إليه القرآن الكريم من الاعتدال والتوسط، وقد أثنى الله -جل وعلا- في محكم كتابه على المقتصدين ثناءً حسناً،

---

(١) سورة النساء:٥

(٢) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٣١٢/٤-٣١٤).

(٣) حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ٤٢٦٩، (٤٤٧/١)، وضعفه الهيثمي، في مجمع الزوائد، (٢٥٢/١٠).

(٤) ينظر: المناوي، **فيض القدير**، (٤٥٤/٥).

(٥) ينظر، الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٢٤١/٣).

(٦) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٥٢٨، (٢٥٣٩/٦)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢١٦٥، (١٧٠٦/٤).

(٧) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص٢٠٠).

فهؤلاء عباد الرحمن الذين يمشون بسكينة وتواضع يمتدحهم الله ويصفهم بقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾(١)، "ويكفي في مدح المعتدلين والمقتصدين ثناؤه عليهم بهذه الآية"(٢)، قال ابن تيمية:(فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها، فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقي لهذا عندهم كبير لذة، مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها)(٣).

ويقترح الباحث للحد من هذا الاسراف والتبذير الآتي:-

١-ضبط عملية الاستهلاك من خلال وضع أسس تربوية للاستهلاك الصحيح، وعدم ترك المجال مفتوحاً أمام الأسواق، ليتسوق المستهلك كل ما هو فوق حاجته.

٢-وضع عقوبات صارمة مالية وغير مالية على المسرفين والمبذرين، وهذا يتم أولاً بعد النظر في عدادات الكهرباء والماء، فمن وجد أنه استهلك فوق حاجاته بشكل كبير فإن يعاقب على ذلك، وكذلك من أسرف في الطعام من خلال مراقبة الحفلات والولائم.

٣-وضع لجان خيرية منتشرة في جميع المناطق يتم من خلالها التواصل مع أصحاب الحفلات والولائم؛ للاستفادة من الأطعمة الزائدة في توصيلها إلى المحتاجين.

---

(١) سورة الفرقان:٦٧

(٢) ينظر: ابن رشد القرطبي، **البيان والتحصيل**، (٧٠/١٧).

(٣) ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **قاعدة في المحبة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، (ص١٥٤).

المطلب الرابع: حرية الإنتاج

القرآن الكريم جاء ليحارب الظلم الذي كانت تعاني منه الأمة في مختلف الجوانب، رحمة بهم وشفقة عليهم، قال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾(٢)، وقد جعل الله تعالى المؤمنين رحماء فيما بينهم في جميع شؤونهم، قال تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٣)، وقال تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾(٤)، "والرحمة للخلق باب الرحمة من الخالق ومفتاح حسن الخلق ومعها حسن الظن وسلامة القلب، وعندها ينتفي الحسد والغل ويوجد التواضع والذل"(٥)، وقد كان ابن عباس يؤكد معنى هذا التراحم خاصة للمسلم على المسلم، ويفرضه فرض الحلال والحرام، ويفسر معنى قول الله تعالى ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، قال: "يعني: متوادين بينهم، يدعو صالحهم لطالحهم، إذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير، وثبته عليه، وانفعنا به، وإذا نظر الصالح إلى الطالح من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- قال: اللهم اهده، وتب عليه، واغفر له، وقال: هذه الآية من حلالكم وحرامكم، فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة في حرمة المسلمين، ووجوب حق بعضهم على بعض، لا عذر لأحد منهم في تركها"(٦)، قال رسول -صلى الله عليه وسلم-:((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(٧).

---

(١) سورة الإسراء:٨٢
(٢) سورة النمل:٧٧
(٣) سورة الفتح:٢٩
(٤) سورة البلد:١٧
(٥) أبوطالب المكي، **قوت القلوب**، (١٣٨/١).
(٦) أبوطالب المكي، **قوت القلوب**، (٢٣٨/٢)، والغزالي، **إحياء علوم الدين**، (١٩٤/٢).
(٧) مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٨٦، (١٩٩٩/٤).

وحرصت الشريعة الإسلامية على محاربة وإصلاح الاحتكار "الذي اهدر حرية التجارة والصناعة"(١)، من خلال استبداله بحرية الإنتاج بين أفراد المجتمع، ومن هذا الإصلاح أن الله تعالى بين أن الذي بين يدي الإنسان ما هو إلا ملك لله -جل وعلا-، حيث قال تعالى ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾(٢)، وأنها زينة الله لعباده، قال تعالى ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾(٣)، "لقد حذرت الآيات الكريمة من احتكار أقوات الناس وحبسها حتى ترتفع أسعارها؛ لأن هذا مخالف للاستمتاع العادل الذي وهبه الله لعباده"(٤)، فالله -جل وعلا- جعل كل ما يتجمل به الإنسان زينة، وأن كل ما يسترزق ويستفيد منه هو من الطيبات التي أنعمها الله على عبادة، فالقرآن الكريم يحذر من حبس واحتكار واستخدام هذه الزينة والطيبات والنعم استخداماً خاطئاً؛ لأن ذلك يُوقع المسلمين في الضرر، "وقد أجمع الفقهاء أن المحتكر يجب أن يجبر على البيع، حتى لا يضر بالناس، وليسهل عليهم الحصول على العيش وسائر أرزاقهم"(٥).

وقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى أنعم على الإنسان وسخر له كل ما يحتاجه، وأن هذه النعم جُعلت للناس كافة، وليست لفئة دون أخرى، فمن هذه النعم أن الله سخر ما في السماوات والأرض للإنسان، ومكنه في كثير منها، قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾(٦)، وقال تعالى ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝١٠﴾(٧)، وقد أمر الله تعالى في موضع آخر أن يسترزق الإنسان من نعمه التي خلقها له، ويستفيد منها؛ ليشكر الله عليها، وليستعين بها على عبادته، دون احتكار، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ

---

(١) المخزنجي، أحمد، **الزكاة وتنمية المجتمع**، رابطة العالم الإسلامي: مكة المكرمة، ١٤١٩هـ، (ص١٠٤).
(٢) سورة النور:٣٣
(٣) سورة الأعراف:٣٢
(٤) ينظر: الفنجري، محمد شوقي ١٤٣١هـ، **الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول**، طبعة وزارة الأوقاف: مصر، (ص٦).
(٥) ينظر: **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (٩٥/٢).
(٦) سورة الجاثية:١٣
(٧) سورة الأعراف:١٠

وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾(١)، وسخر الله للإنسان البحر وما فيه من نعم وأرزاق عظيمة، ولم يجعلها خاصة لأناس معينة أو شخصيات أو أمراء كما هو في كثير من الدول الساحلية، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾(٢)، وسخر له الأنعام والثروات الحيوانية، قال تعالى ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾﴾(٣)، وسخر له الثروات النباتية، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾(٤)، وسخر له الثروات المعدنية، قال تعالى ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾(٥)، "فإذا تأملنا في القرآن الكريم وجدناه يدفعنا دفعاً إلى استغلال هذه الموارد والاستفادة منها، فهي تنبيه للعقول، ولفت للأنظار إلى ما في هذا الكون من نعم عظيمة، مسخرة لمنفعة الإنسان، وتكريماً من الله له، فعليه أن يستعملها بالشكل الصحيح"(٦)، فالإسلام حرص على استغلال الإنسان لجميع الموارد الطبيعية وخيراتها، وأن احتكار واستغلال ما وهبه الله لعباده مناف لحكمة الله، وظلم وجور عظيم، وتعدي على حدود الله؛ لأن الله هو المالك، ليس لأحد حق في استغلال هذه النعم على عباد الله؛ لأنه لا يملكها، وليست من صنعه، فالواجب على المحتكر أن يشكر الله على هذه النعم، ويتعاون مع إخوانه في اكتسابها والاستفادة منها، دون أن يستغلها لوحده؛ لأن هذا مناف لشكر الله على نعمه، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا

---

(١) سورة الملك:١٥

(٢) سورة النحل:١٤

(٣) سورة النحل:٥

(٤) سورة النحل:١٠-١١

(٥) سورة الحديد:٢٥

(٦) ينظر: القرضاوي، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، (ص١٣١).

طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾(١)، "إن هذه الطيبات نِعَمٌ أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه، إذ أحلها لكم واشكروه، ولا تردوا نعمته بكفرها، فإن هذا من الاعتداء، وهو حرام خبيث"(٢)، والاحتكار ينفع الفرد، ويضر بالجماعة، "والشريعة قدمت مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد"(٣)، "فلا يحل لفرد من الأفراد أن يبخل على إخوانه ببعض ما أتاه الله، وعليه أن يبيعهم بالأسعار المناسبة المعقولة، ولا يحتكر أقواتهم وأرزاقهم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((المحتكر ملعون))(٤)، فهذه هي النظرة الإسلامية لمصلحة الأفراد والجماعات، وهي في حقيقتها نظرة عادلة، لا ظلم فيها ولا حيف؛ لأنها تقدر حق الفرد، ولا تسقط من حسابها حق الجماعة، وتلك سنة العدل والإنصاف"(٥).

فالإسلام لا يسمح باحتكار ضروريات الناس كوسيلة من وسائل الكسب وتنمية المال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((لا يحتكر إلا خاطئ))(٦)، أي: "العاصي الآثم"(٧)، "وهذه الكلمة هي التي دمغ الله بها الطغاة الجبارين، فرعون وهامان وأعوانهما، قال تعالى ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾(٨)، وقال علي -رضي الله عنه-:(من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه)(٩)، والسر في هذه القسوة: أنه ينظر إلى

---

(١) سورة المائدة:٨٧-٨٨

(٢) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٢٤٢).

(٣) ينظر: الشاطبي، **الموافقات**، (٣٥٠/٢).

(٤) أخرجه عبدالرزاق، أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ، **المصنف**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، حديث رقم: ١٤٨٩٣، (٢٠٤/٨)، -وعبدالرزاق رواه موقوفاً-، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٢١٥٣، (٧٢٨/٢)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ٢١٦٤، (١٤/٢)، والبيهقي، **السنن الكبرى**، حديث رقم: ١٠٩٣٤، (٣٠/٦)، قال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير: إسناده فيه ضعف، (٥٩/٢)، وقال أحمد بن أبي بكر الكناني في مصباح الزجاجة: إسناده ضعيف لضعف علي بن يزيد بن جدعان، (١٠/٣)، وقال ابن حجر في فتح الباري: إسناده ضعيف، (٣٤٨/٤)، وكذا قال بدر الدين العيني في عمدة القاري، (٢٤٩/١١)، وضعفه الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، (٨٥٣/١).

(٥) ينظر: برناوي، محمد إبراهيم، **خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي**، مجلة الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، العدد الخمسون، ١٤٢٣هـ، (٤٧٩/٢٢).

(٦) مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٦٠٥، (١٢٢٨/٣).

(٧) النووي، **المنهاج(شرح صحيح مسلم)**، (٤٣/١١).

(٨) سورة القصص:٨

(٩) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٧٢/٢)، ولم أجد هذا الأثر في كتب التخريج.

نفسه، ولا يبالي بضرر الجماعة، فكلما حدث رخص في الأسعار ساءه وآلمه، وكلما سمع بغلاء سرَّه وأبهجه، فلا غرو أن تتسرب الرحمة من قلبه، وأن تغزوه الأنانية والقسوة"(١).

ومن حرص الشريعة على حرية الإنتاج، ومعالجة الاحتكار والحد منه، ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((من احتكر طعاماً أربعين ليلة، فقد برئ من الله تعالى، وبرئ الله تعالى منه))(٢)، "وفضلاً عن تلك النصوص الصريحة القاطعة في النهي عن الاحتكار، فإن القواعد العامة للشريعة الإسلامية القاضية بالعدل والتيسير على الناس بنفي الحرج والمشقة ودفع الضرر عنهم، تفيد النهي عن الاحتكار؛ لما فيه من الإضرار بالناس"(٣)، فالشريعة جاءت من أجل إصلاح الناس في الجانب الاقتصادي وغيره من الجوانب، سواء كان هذا الجانب الاقتصادي احتكاراً أو غشاً أو غيرهما، وتحرص الشريعة من خلال ذلك على بناء مجتمع قوي عادل، قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾(٤)، وقد ذكر القرآن الكريم عن قصة أهل مدين ما يوضح ذلك، فقد كانت آفتهم هي "آفة احتكار التجارة، والعبث بالكيل والميزان، وبخس الأسعار، والتربص في الطرق، وكانت رسالة شعيب -عليه السلام- دعوة إلى ترك الخداع والاحتكار، في بيئة فشا فيها هذا الفساد، بحكم موقع مدين على طرق التجارة"(٥)، وقد حذرهم الله تعالى مراراً، وأمرهم بأن يتركوا هذه الآفات ويصلحوا اقتصادهم، وهذا كان على لسان شعيب -عليه السلام-، قال تعالى ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ

---

(١) ينظر: القرضاوي، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، (ص٢٩٣-٢٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، **مصنف ابن أبي شيبة**، حديث رقم: ٢٠٣٩٦، (٣٠٢/٤)، وأحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ٤٨٨٠، (٣٣/٢)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ٢١٦٥، (١٤/٢)، قال المنذري في الترغيب والترهيب: بعض أسانيده جيدة، (٣٦٣/٢)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، في تحقيقه على المسند، (٤٣٧/٤)، والحديث روي عند ابن ماجه -دون قوله أربعين يوماً-، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٢١٥٥، (٧٢٩/٢)، قال ابن حجر الهيثمي في الزواجر: سند جيد متصل، (٤٥٢/١).

(٣) الصالح، د. محمد بن أحمد، **التسعير في نظر الشريعة الإسلامية**، مجلة البحوث الإسلامية: السعودية، (٢٦٤/٤).

(٤) سورة الحديد:٢٥

(٥) ينظر: **فهارس الأمكنة**، مجلة البحوث الإسلامية: السعودية، (ص٨٢٠).

أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾[١]،

قال النووي:(والحكمة في تحريم الاحتكار: دفع الضرر عن عامة الناس)[٢].

وعلى ولي الأمر أيضاً أن يقوم بمنع الاحتكار من خلال ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وحماية المسلمين من جشع هؤلاء المحتكرين؛ لتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع، ولئلا تصبح الثروات عند فئة قليلة، تتحكم بها كيف شاءت، ومتى شاءت!، قال تعالى ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ﴾[٣]، "فالاحتكار، والربا، هما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء"[٤]، "وهما أهم عنصرين تقوم عليهما الرأسمالية الجشعة المتسلطة"[٥].

فلابد من العمل بهذه الشريعة والسعي في الإصلاح، فالإسلام دل الخلق على دائهم ودوائهم، فبتطبيق الإصلاح الشرعي يذهب كل هذا الظلم، وقد قال المختصون:(لم يعرف النظام الاقتصادي الإسلامي الاحتكار فيما يتعلق بإنتاج سلعة من السلع، إذ الناس جميعاً سواء فيما يتعلق بحرية الإنتاج)[٦]، والشريعة لم تمنع المحتكر من أن يكتسب، ولكن منعته من التعدي والظلم، "فلكل فرد إذن في تنمية أمواله، ولكن في الحدود المشروعة، فله أن يفلح الأرض، وأن يحول الخام إلى مصنوعات، وله أن يتجر... الخ، ولكن ليس له أن يغش أو يحتكر"[٧].

ويقترح الباحث هنا التالي:-

١-الحث على ما رغبت فيه الشريعة من جودة العمل واتقان الصنع.

٢-إعطاء المجال مفتوحاً لكل من أراد أن يستثمر، دون حصره على أحد.

---

(١) سورة الأعراف:٨٥
(٢) النووي، **المنهاج (شرح صحيح مسلم)**، (٤٣/١١).
(٣) سورة الحشر:٧
(٤) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٥٢٥/٦).
(٥) ينظر: القرضاوي، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، (ص٢٩٣-٢٩٤).
(٦) مجموعة من المختصين، **نضرة النعيم**، (٣٨٠٩/٩).
(٧) ينظر: قطب، **العدالة الاجتماعية**، (ص١٢٩).

٣-وضع رقابة على الأسواق تمنع الاحتكار وتعاقب عليه.

٤-مقاطعة كل من يثبت أنه احتكر شيئاً من الأقوات التي يحتاجها الناس.

الفصل الثاني:
معوقات الإصلاح الخاصة من منظور قرآني

المبحث الأول: المعوقات الإجتماعية.

المبحث الثاني: وسائل علاج المعوقات الإجتماعية.

المبحث الثالث: المعوقات الأسرية.

المبحث الرابع: وسائل علاج المعوقات الأسرية.

المبحث الخامس: المعوقات التعليمية.

المبحث السادس: وسائل علاج المعوقات التعليمية.

المبحث الأول: المعوقات الاجتماعية

المطلب الأول: العصبية القبلية

العصبية لغة: من العَصْبِ وهو الطَّيُّ والرِّبْطُ(١)، والعَصَبيَّة والتَّعصُّب: المحاماة والمدافعة(٢).

واصطلاحاً: أن يدعو الرجل إلى نُصرة عصَبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين(٣).

لقد دعا الدين الإسلامي الحنيف إلى الاعتصام بحبل الله المتين والاجتماع عليه، وتوحيد الكلمة وجمع الصف، وأمر بالتعاون والترابط، قال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾(٤)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾(٥)، وقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾(٦)، ودعا القرآن الكريم إلى نبذ الأسباب المؤدية إلى العصبية والفرقة والعداوة والبغضاء، كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب والظن السيء بالمؤمنين، والتجسس عليهم وغيبتهم، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ

---

(١) ينظر: الفراهيدي، **كتاب العين**، (٣٠٨/١). وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (٣٣٩/٤).

(٢) ابن الأثير، أبوالسعادات المبارك بن محمد ابن الجزري ٦٠٦هـ، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ، (٢٤٦/٣). وابن منظور، **لسان العرب**، (٦٠٧/١).

(٣) الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد ٣٧٠هـ، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، (٣٠/٣).

(٤) آل عمران:١٠٣.

(٥) الأنبياء:٩٢.

(٦) المائدة:٢.

كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾(١)، والمقصود من العصبية التي يتحدث عنها الباحث: العصبية المذمومة التي قام الشرع بذمها وانكارها، وليست العصبية الفطرية المحمودة، فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقف معه عصبته وناصروه في دعوته، وكان هذا سبباً في نشر الدين وقيامه، وهذه عصبية على حق، وفي هذا يقول ابن خلدون:(الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم)(٢)، أما إذا تحولت هذه العصبية المحمودة والفطرية "وانقلبت صلة الرحم ورباط الولاية إلى عصبية جاهلية، واصطدمت بولاية المؤمنين، فعند ذلك لا مكان لها في أمة المؤمنين"(٣)، وإلى ذلك يشير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٤)، وقال تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾(٥)، وهذه الآية أزالت كل عصبية وولاية وترابط يقف أمام الدين، "فلا تجد مؤمناً يحب كافراً، ولو كان أقرب الناس إليه، وهذا حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة -رضي الله عنهم- يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفاراً"(٦).

وقد وصف الله المؤمنين بأقوى الأوصاف، بأنهم إخوة، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٧)، قال القرطبي:(أي: في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة

---

(١) الحجرات:١١-١٢.
(٢) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (ص١٥٩).
(٣) ينظر: الكيلاني، د. ماجد عرسان، **أهداف التربية الإسلامية**، دار القلم، الطبعة الأولى، (ص٣٥٢).
(٤) التوبة:٢٣
(٥) المجادلة:٢٢
(٦) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (٤/١٠٥-١٠٦).
(٧) الحجرات: ١٠.

النسب)(١)، وبالأخوة الإيمانية "استطاع الإسلام أن يوحد بين الأمة، ويوحد بين حقيقة النفوس، وألف بين القلوب، وجعل المجتمع الإسلامي على قلب رجل واحد بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة. فقد اجتمعوا على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، هي العصبية وهي القومية وهي الرابطة وهي العقيدة، من أجلها يحبون ومن أجلها يبغضون، ومن أجلها يحاربون ومن أجلها يسالمون، بها يعيشون وعليها يموتون. وعلى أثر هذه الوحدة انطلق المسلمون في الأرض ينشرون الإسلام، وكانت روح الوحدة هي العامل الأول في انتصار المسلمين"(٢)، ومما يبين هذا التآخي والترابط ما قاله المصطفى -صلى الله عليه وسلم-:((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))(٣)، وأزال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه العصبية والقبلية والحزبية في الجنس واللون بأنواعها، حيث قال:((إن الله -عز وجل- أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، مؤمن تقي وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفتخرون برجال، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان(٤) التي تدفع النتن بأنفها))(٥)، وقد وقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قومه، محذراً من هذه العصبية الجاهلية، "فقال: يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية"(٦)، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٣٢٣/١٦).

(٢) ينظر: صالح، سعد الدين السيد، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، مكتبة الصحابة: الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ،(ص١١٤-١١٥).

(٣) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث: ١٣، (١٤/١).

(٤) الجعلان: دويبة سوداء، تجتمع عند النجاسات وتأكل منها، إن شمت رائحة طيبة ماتت، ينظر: المناوي، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، مكتبة الشافعي: الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، (٢١٩/٢).

(٥) أبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٥١١٦، (٣٣١/٤)، والترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى السلمي ٢٧٩هـ، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي: بيروت، حديث رقم: ٣٩٥٥، (٧٣٤/٥)، وحسنه الترمذي، والبيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين ٤٥٨هـ،، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، حديث رقم: ٢٠٨٥١، (٢٣٢/١٠)، قال المنذري في الترغيب والترهيب:(إسناد حسن) (٣٧٦/٣)، وصححه ابن تيمية، في اقتضاء الصراط المستقيم، (ص٧٣)، وصححه الألباني، في صحيح الجامع الصغير، (٩٦٣/٢).

(٦) رواه الطبري، محمد بن جرير ٣١٠هـ، **تاريخ الطبري**، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٦١/٢)، ونقله ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٠١/٤)، وسكت عنه ابن كثير، وضعفه الألباني، في السلسلة الضعيفة، (٣٠٨/٣)، وبإسناد آخر بنحو لفظه عند الترمذي، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٢٧٠، (٣٨٩/٥)، وقال الترمذي: "حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن دينار، وفيه عبدالله بن جعفر وهو ضعيف، وهو والد علي المديني"، وجاء ميزان الاعتدال للذهبي: "قال يحيى بن معين -عبدالله بن جعفر- ليس بشيء،

وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾(١)، فقد بين الله -جل وعلا- أن القصد والحكمة من وراء التقسيم الشعبي والقبلي للخلق إنما هو من أجل التعارف، وذلك أنهم كلهم من خلق واحد لا فرق بينهم، "فالناس جميعاً في الشريعة متساوون على اختلاف شعوبهم وقبائلهم، متساوون في الحقوق، متساوون في الواجبات، متساوون في المسؤوليات، وهم في ذلك كأسنان المشط الواحد لا تزيد سن عن سن، ولا تنقص سن عن سن"(٢)، فليس المقصود من هذا الخلق والتقسيم التعصب والتعاظم والتفاخر والتكابر، ولذلك استأنف الله -جل وعلا- الكلام بقوله تعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾، حتى لا يُعلم أن المقصود هو التفاخر والتعاظم، فكان هذا الاستئناف بمثابة التذكير لهم كما يوضحه السياق، فالله عالم وخبير بما تفعله البشر من تفاخر بينهم وتعصب، فجعل الله التقوى ما يستحق أن يتعصب له، قال تعالى ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾(٣)، "ولهذا ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحداً بنسبه، ولا يذم أحداً بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان"(٤)، وليس عيب أن يعرف الإنسان أصله ونسبه، ولكن المحظور هو تكابر الناس وتعاظمهم وتعاليهم على بعضهم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))(٥)، أي: "لست أقول هذا تفاخراً كما يقصد الناس بالثناء على أنفسهم؛ وذلك لأن افتخاره ﷺ كان بالله وبالقرب من الله، لا بولد آدم وتقدمه عليهم"(٦)، وقال ابن الأثير

وقال علي المديني: أبي ضعيف، وقال أبوحاتم: منكر الحديث جداً، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال الجوزجاني: واه"، (٤٠١/٢).

(١) الحجرات:١٣

(٢) عودة، **التشريع الجنائي في الإسلام**، (٣١٦/١).

(٣) الزخرف:٦٧

(٤) ابن تيمية، **الفتاوى**، (٢٣٠/٣٥).

(٥) أخرجه: الترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، وقال: حسن صحيح، حديث رقم: ٣٦١٥، (٥٨٧/٥). وابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني ٢٧٥هـ، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر: بيروت، حديث رقم: ٤٣٠٨، (١٤٤٠/٢)، والحاكم، أبوعبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري ٤٠٥هـ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ،، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، حديث رقم: ٤١٨٩، (٦٦٠/٢).

(٦) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (١٦١/٣).

الجزري -موضحاً المراد من هذا الحديث-:(قاله إخباراً عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد[١]، وتحدثاً بنعمة الله تعالى عليه وإعلاماً لأمته؛ ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله: ولا فخر، أي: أن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بقوتي، فليس لي أن افتخر بها)[٢].

والعباد لم يجنوا من هذه العصبية والقبلية إلا العودة للجاهلية والفرقة والشقاق والمذلة، وقد حكى هذا الإذلال عمر بن الخطاب حيث قال:(إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام)[٣]، ومما يوضح الظلم الواقع في هذه العصبية، أنه عندما قيل للزهري: ما العصبية التي يأثم صاحبها؟ فقال: أن يرى الرجل أن شرار قومه خير من خيار قوم آخرين[٤]، وقد بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأن دعوة العصبية والقبلية دعوة جاهلية، حيث قال:((من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية))[٥]، ومن أجل هذا سد الإسلام كل ما يؤدي إلى الفساد من تنازع وفرقة وفشل، وعداوة وبغضاء، قال تعالى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[٦]، وبين الله أن هذه العصبية والفرقة من عمل الشيطان، قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾[٧] قال الشافعي:(من أظهر العصبية بالكلام فدعا إليها وتألف عليها وإن لم يكن يشهر نفسه بقتال فيها فهو مردود الشهادة؛ لأنه أتى محرماً لا اختلاف بين علماء المسلمين فيما علمته، الناس كلهم عباد الله تعالى لا يخرج أحد منهم من عبوديته، وأحقهم بالمحبة أطوعهم له، وأحقهم من أهل طاعته بالفضيلة أنفعهم لجماعة المسلمين)[٨].

---

(١) السودد: أي: الشرف العظيم، ينظر: الزبيدي، **تاج العروس**، (٤٢٧/٣٥).
(٢) ابن الأثير الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (٤١٧/٢).
(٣) أخرجه الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، وقال: صحيح على شرط الشيخين، حديث رقم: ٢٠٧، (١٣٠/١).
(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر ٢٧٩هـ، **أنساب الأشراف**، تحقيق: د. سهيل زكار ود. رياض زركلي، دار الفكر: بيروت، ١٤١٧هـ، (٤٩/١٠).
(٥) أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، حديث رقم: ١٨٥٠، (١٤٧٨/٣).
(٦) الأنفال:٤٦
(٧) المائدة:٩١
(٨) الشافعي، **الأم**، (٢٠٧/٦).

والمجتمع المسلم "لاتضيع فيه الحقوق، ولا تهمل فيه الواجبات، وهو مجتمع تتحقق فيه العدالة والمساواة والأمن واقعاً حياً، وهو مجتمع متواصل متآخ متعاون متحاب، وهذا المجتمع بهذه الخصائص لم يوجد إلا في ظل الإسلام، وإذا تخلى المسلمون عن هذا المنهج، والتمسوا الصلاح في غيره، فلن يجنوا إلا الشقوة، ولن يحصدوا إلا الفشل، وتجارب القرون الطويلة خير شاهد"(١)، فالعصبية والقبلية داء عظيم، وضرره متعد على سائر المجتمع، وهي تجمع قوماً وتفرق أقواماً فيما بينها، قال ابن خلدون:(الأوطان الكثيرة والقبائل والعصائب قلَّ أن تستحكم فيها دولة، والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء، وأن وراء كل رأي منها وهوى: عصبية تمانع دونها، فيكثر الانتقاض على الدولة، والخروج عليها في كل وقت وإن كانت ذات عصبية؛ لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة)(٢).

ومن العصبية القبلية التي جاء الإسلام بإزالتها ما كان بين الأوس والخزرج من تنازع وسجال وحروب ودماء دامت سنوات طويلة، وفي ذلك يقول تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾(٣)، قال ابن إسحاق في تفسير هذه الآية:(كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة، حتى قام الإسلام وهم على ذلك)(٤)، وقال الطبري -في تأويل الآية-:(واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء أي: بشرككم، يقتل بعضكم بعضاً عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعضٍ إخواناً، بعد إذ كنتم أعداء، تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه)(٥).

---

(١) يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٢٤٠).
(٢) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (ص١٦٤).
(٣) آل عمران:١٠٣
(٤) الطبري، **جامع البيان**، (٣٣/٤).
(٥)المصدر السابق، (٣٣/٤).

ومن العصبية التي جاءت في العصر الحديث وعانى منها المسلمون، هو ما سمي بـ(القومية العربية) التي جاءت مناهضة لدين الإسلام، وقامت بتفريق المسلمين، وبث الحقد والعداوة في نفوس المسلمين من غير العرب، "فقد بث أعداء الإسلام أخطر الدعوات الانفصالية عن الإسلام، وألبسوها ثوباً جديداً، وأرادوا لها أن تكون رابطة قومية مناقضة للإسلام، بحيث يكون العرب لا صلة لهم بالإسلام، بل صلتهم تكون بالعروبة وبقوميتهم الخاصة"(١).

ومن العصبية الحديثة أيضاً ما يعانيه المسلمون من شعارات حزبية ومسميات من قبل المنتسبين للدين الإسلامي، مخالفين بذلك قوله تعالى ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾(٢)، وقال تعالى ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾(٣)، "لقد مضى الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- أمة واحدة، ذات كلمة واحدة، وعبادة واحدة، ووجهة واحدة، فإذا الناس من بعدهم أحزاب متنازعة لا تلتقي على منهج ولا طريق"(٤)، وتعامل بعض هذه الحزبيات من لم يكن متحزباً معها معاملة العدو والمخالف، وفي بعض الأماكن والجهات إن لم يكن الرجل تابعاً لحزب معين حُرِمَ ما يريد، وما ذنبهم إلا أنهم لا يتبعون أحزاباً!!، بل هم متمسكون باسم الإسلام الذي سماهم الله به، فينفرد هؤلاء الحزبيون بالمناصب ويستغلونها في خدمة أحزابهم، فإن "من طبيعة العصبية الانفراد بالمجد، ويخلق عند المتعصب الكبر والتأله، فلا يسمح لأحد بالمساهمة والمشاركة، ولا يترك لأحد منهم في الأمر لا ناقة ولا جملاً"(٥).

وعلى هذا فالعصبية القبلية كانت ومازالت معوقاً ومنعطفاً سلبياً على سائر المجتمعات، فالدين الإسلامي يجمع الناس على قلب رجل واحد، وهذا المعوق يفرق الناس على قلوب شتى، فشتان بين عصبية الدين وهذه العصبية، فهي معوق يؤدي إلى تفريق المسلمين، ونشر العداوة بينهم والبغضاء، وبعث الكراهية، وإغراقهم في الخلافات والنزاعات، بل أصبحت أحياناً تحل محل الدين، وقد ساهمت بشكل كبير في إبراز الطبقية

---

(١) ينظر: صالح، **احذروا الأساليب الحديث في مواجهة الإسلام**، (ص١١٩).
(٢) الحج: ٧٨.
(٣) المؤمنون: ٥٣.
(٤) قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٤٧١/٤).
(٥) ينظر: ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (ص١٦٦-١٦٧).

والمذهبية بين المجتمع الواحد، وما جنى المسلمون من ورائها إلا هدر الدماء فيما بينهم، والاعتداء على بعضهم، والوقوع في الحروب والصراعات، بل إنها تورد الرجل المهالك، وقد يقع في الشرك بسبب تعصبه لما عليه آبائه وأجداده وقبيلته من شركيات وخرافات وبدع، حتى تجعل الأمة أمة متخلفة، وجاهلية، تعود كما كانت عليه قبل الإسلام، وهذا أعظم داء يصيب الأمم، وسيذكر الباحث ما لهذه الدعوات العصبية والقبلية والقومية والحزبية والمذهبية من آثار سيئة على العالم الإسلامي بشكل أوسع، ومن هذه الآثار والنتائج:-

١-تمزيق وحدة العالم الإسلامي، كالتقسيم بين المجتمع حسب القبيلة والنسب واللون، والتفريق بالتفاخر بين بعض الناس على بعض كالتفاخر بالأحساب والآباء، والطعن ببعضهم ، واحتقارهم على حساب العصبية.

٢-إحلال القوميات محل الدين، وضعت هذه الدعوات العصبية قوانين ودساتير على أساس المصلحة القومية والسياسية دون ارتباط بشرع الله.

٣-جعلت المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته، وفي جنسه قبل دينه، ويقدم الكافر إذا كان من عنصره(١).

٤-الطبقية والمذهبية والظلم لأفراد المجتمع على حساب النعرة العصبية القبلية والمذهبية والحزبية وغيرها، كتقديم ابن القبيلة على غيره من الأتقى والأكفأ، فكل يعامل حسب منازلهم ودرجاتهم ومذاهبهم، "سواء كان عصبية قوم أو صداقة أو جنساً أو غيرها؛ لتحقيق مصالح ذاتية، فالشريعة تنهى نهياً جازماً عن مثل هذا السلوك، وتصف فاعله بالإثم والخيانة، وتتوعده باللعن والخسران!!"(٢)، "وأمثال هؤلاء ممن ليس لهم عصبية تتقى ولا جاه يرتجى يندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم"(٣).

---

(١) ينظر: صالح، **احذروا الأساليب الحديث في مواجهة الإسلام**، (ص١٢٣-١٢٤)، بتصرف.
(٢) ينظر: الجريسي، د. خالد بن عبدالرحمن، **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، مؤسسة الجريسي: الرياض، ١٤٢٧هـ، (ص١١٠).
(٣) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (ص١٤٤).

٥-هدر الدماء، كالأخذ بالثأر من غير القاتل، ووأد البنات على حساب العصبية والجاهلية، "فقد كان من خلق القوم في الجاهلية: الحرص على الأخذ بالثأر على أي حال من أجل العصبية وصون الكرامة"(١).

٦- الاعتداء على الآخرين، كالطعن في الأنساب، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((خلال من خلال الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، والاستسقاء بالأنواء))(٢)، خلال: "أي خصال"(٣).

٧- ذهاب الغيرة على الدين، وإحلال الغيرة العصبية القبلية محلها.

٨-تخلف الأمة الإسلامية، ورجوعها إلى الجاهلية التي نبذها الدين الإسلامي القويم، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((من قتل تحت راية عمية، يدعو عصبية أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية))(٤).

٩-الكبر وعدم قبول الحق، فهذا أبوجهل ما منعه من دخول دين الإسلام إلا الكبر والتعصب لما هو عليه من الباطل، وذلك أن "أبا جهل ومعه رفاقه كانوا يستمعون للقرآن خلسة، فقال أبوجهل لمن معه: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه"(٥).

١٠- انتشار العنوسة؛ نظراً لعدم التكافؤ في الزواج لتعصب قبلي أو عرقي، ورغبة في ابن القبيلة أو النسب، "حيث تشترط الأعراف القبلية الكفاءة في النسب بين الزوجين، ويتشددون في ذلك"(٦).

---

(١) ينظر: الجريسي، **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، (ص٣٨).
(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٦٣٧، (١٣٩٨/٣).
(٣) ابن حجر، أحمد بن علي ٨٥٢هـ، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت،، (١٦١/٧).
(٤) مسلم، **صحيح مسلم**، حديث رقم: ١٨٥٠، (١٤٧٨/٣).
(٥) ينظر: **السيرة النبوية لابن هشام**، (١٥٧/٢).
(٦) ينظر: الجريسي، **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، (ص٩٣).

١١-الحروب، فقد كان من مظاهر العصبية عند الجاهلية الصياح ومناداة كل قوم بشعارهم استغاثة بهم، وحثهم على الحرب -ظالماً أو مظلوماً-(١)، وأن عدم الإجابة لهذه العصبية عار كبير وذل مهين، وما دار بين الأوس والخزرج قبل الإسلام كان سببه العصبية.

١٢-انتشار الجريمة، وهذا نتيجة عدم احترام القوانين التي وضعها ولاة الأمور، وذلك من أجل حماية القبيلة له أو العصبة، تحت اسم: أنا ابن فلان، أو أنا من قبيلة فلان، أو من عائلة فلان، ظاناً بنفسه أنه لن يتجرأ أحد على معاقبته.

---

(١) ينظر: المصدر السابق، (ص٣٩).

المطلب الثاني: العادات والتقاليد

العادة: هي اسم لتكرير الفعل والانفعال حتى يصير ذلك سهلاً تعاطيه كالطبع(١)، وقيل: هي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا إليه مرة أخرى(٢).

والتقليد: عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه من غير نظر وتأمل في الدليل(٣)، وقيل: قبول القول من غير دليل(٤)، وقيل: هو اتباع من لم يقم باتباعه حجة ولم يستند إلى علم(٥)، وقيل: هو اعتقاد حقية قول الغير على وجه الجزم من غير أن يعرف دليله(٦).

حارب القرآن الكريم العادات والتقاليد المذمومة عند الناس منذ نزوله، وذلك أن هذه العادات والتقاليد كانت من أهم المعوقات التي وقفت أمام الدين الإسلامي، وكانت ديدناً لدى المخالفين، محتجين بها أمام كل حق، وكانوا يحتكمون إليها، فانكرها القرآن الكريم وذمها، ووصفها بأنها جاهلية، فقد قال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾(٧)، وليس بالأمر السهل أن ينجبل الإنسان على عادة معينة، وتقليد لأناس معينين يمثلون القدوة بالنسبة له، ثم يأتي من يغيرها !، فهذا إن دل فهو دليل على إعجاز القرآن الكريم، حيث إنه استطاع أن يغير من هذه العادات والتقاليد، وجمع بين الناس على قلب رجل واحد، فاستبدل ما لديهم من عادات وتقاليد مذمومة وجاهلية إلى آداب

---

(١) الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٤٤٨).

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي ٨١٦هـ، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، (ص١٩٣).

(٣) المصدر السابق، (ص٩٠).

(٤) الخطيب، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ٤٦٣هـ، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي: السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، (١٢٨/٢)، وابن تيمية، **الفتاوى**، (١٩٧/٤).

(٥) الجويني، أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف ٤٧٨هـ، **الاجتهاد من كتاب التلخيص لإمام الحرمين**، تحقيق: د. عبدالمجيد أبوزنيد، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (ص٩٦).

(٦) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد ٨٥٥هـ، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٠٧/١).

(٧) المائدة: ٥٠

إسلامية، وأقر ما كان محموداً منها؛ وذلك لأن العادات والتقاليد القبيحة كانت معوقاً رئيس يقف أمام الدعوة، وما هذا إلا بسبب تزيين الشيطان لهم، فكم من رجل أراد دخول الإسلام لولا وقوف هذه العادات والتقاليد والتي كانت تعد رمزاً عظيماً ومقدساً بالنسبة لهؤلاء!، فيظنون أنهم أعلم وأعقل وأحكم منهم، فيسلمون لهم، وأن ترْكها بالنسبة لهم عيبٌ كبير وعار وخزي وندامة، فهذا أبوطالب عم النبي -صلى الله عليه وسلم- ما منعه من دخول الإسلام إلا التمسك بما كان عليه الأولون، وخشية العيب والعار والندامة، فقد قال:

لولا الملامة أو حذاري سبة　　لوجدتني سمحاً لذاك مبينا(١)

والتمسك بهذه العادات والتقاليد من الموروثات القديمة التي تعد أمراً محموداً بالنسبة لهم، وكانت -دائماً- هذه حجتهم الباطلة، وهي شبهة جميع الأمم، فهي منهجهم وسبيلهم في معارضة المصلحين، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾(٢)، فشبهتهم سنة إلهية تجري على مر الزمان، فهذا حالهم "يسيرون خلف آبائهم ورؤسائهم وأشرافهم، فهم على طرائقهم ومناهجهم، يقتدون بهم في جميع شؤونهم، فهم إخوانهم في أفعالهم"(٣)، ولقد أسرفوا وغلوا في الاتباع حتى استحكمت الضلالات في نفوسهم فقبلوها وألفوها وعظموها، وقد قال تعالى ناهياً ومحذراً من الغلو، والتمسك بعادات وتقاليد السابقين ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾(٤)، يخبر الله تعالى المقلدين بأن السابقين الذين تحتجون بهم وتقلدونهم وتسيرون خلفهم، أنهم في ضلال، فهم جمعوا بين الضلال والإضلال، وذلك أن "الأسلاف الذين اتبعوهم وسنوا لهم هذا الاتباع هم في ضلال من قبل البعثة، ولما جاءهم الحق ونزل القرآن ضلوا كذلك"(٥)، بل إنهم كذلك أضلوا اتباعهم ومقلديهم عن الحق، وهذا

---

(١) ابن إسحاق، محمد بن يسار ١٥١هـ، **سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)**، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، (١٣٦/٢).
(٢) الزخرف:٢٣
(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٦١/٢٥).
(٤) المائدة:٧٧
(٥) ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٥٢/٦)، والشوكاني، **فتح القدير**، (٦٦/٢).

حال أهل الباطل في كل زمان "يضلون أناساً كثيراً ممن تابعهم ووافقهم فيما دعوا إليه من البدعة والضلالة"(١)، فيقول لهم الله بأن هؤلاء الذين تقلدونهم وتتبعونهم "جمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين تتبعون أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة، فكان ضلالهم مرتين"(٢).

ولقد كان جواب الله في القرآن الكريم عن شبهتهم من وجهين:-

الأول: انكار اتباع الآباء في كل حال، "وأن في هذا التقليد تلبس بعدم العقل، وبعدم الهداية"(٣)، قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾(٤)، فحجتهم منتفي عنها الدليل العقلي والدليل النقلي.

الثاني: اثبات عنادهم وجحودهم واصرارهم، "وأن هدفهم التعصب المحض، الذي يراد منه نصرة الباطل الذي هم عليه"(٥)، قال تعالى ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾(٦)، لقد حادوا عن الجواب، "وركنوا إلى التقليد واتباع العوائد الفاسدة"(٧)، ومع كل هذا هم متمسكون بهذه الحجة الواهنة، فما أعظمها في قلوبهم!، فهم "لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل

---

(١) الآلوسي، **روح المعاني**، (٢١١/٦).
(٢) ينظر: السمعاني، **تفسير القرآن**، (٥٦/٢)، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٢٤١).
(٣) أبوحيان، **تفسير البحر المحيط**، (٦٥٥/١).
(٤) البقرة: ١٧٠.
(٥) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٧٦٤).
(٦) الزخرف: ٢٤.
(٧) ينظر: الشاطبي، أبوإسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي٧٩٠هـ، **الاعتصام**، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، (١٨٠/٢).

عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها"(١)، "وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة"(٢).

وهذه الآيات كانت رداً مفحماً على المقلدين، مبطلاً لشبهاتهم، "فلو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد"(٣)، ،يستفاد من هذه الآيات: أن على المقلد اتجاه ما يقلده أو يعتاده أن يتفكر بعقله، مستعيناً بالأدلة النقلية، بتجرد وبقصد البحث عن الحق من دون عناد، وهذه الصفات قد اجتمعت في خليل الله إبراهيم -عليه السلام-، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧﴾(٤)، فإبراهيم استرشد بالعقل والنقل مع التجرد، فأرشدته الفطرة إلى الله الذي أرشده إلى الحق، فمن استرشاده بالعقل: قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾(٥)، ومن استرشاده بالنقل: قال تعالى ﴿ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧﴾(٦)، وثمرة هذا كله: حصوله على المطلوب وهو الهداية، قال تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾(٧)، "فالله يحكي عن إبراهيم أنه تبرأ من دين الآباء بعدما تبين له الدليل، فرزقه الله بحسن العاقبة، وببقاء دينه ومذهبه إلى قيام الساعة، وجعله محمود الأثر، وما هذا إلا بسبب تجرده من التقليد"(٨)، فمن ضل في دينه وعقله فما بالك

---

(١) عبدالوهاب، محمد، **كتاب التوحيد**، تحقيق: عبدالعزيز الرومي ود. محمد بلتاجي ود. سيد حجاب، مطابع الرياض: الرياض، الطبعة الأولى، (ص٥٥).

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٣٨٥/٤).

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، (١٧٧/٢٧).

(٤) الزخرف:٢٦-٢٧

(٥) الأنعام:٧٤-٧٥

(٦) الأنعام: ٧٧.

(٧) الأنعام: ٧٨-٧٩.

(٨) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (١٧٨/٢٧).

في دنياه ؟!، وما حال هؤلاء المقلدين والاتباع إلا كمثل ما قال تعالى ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾(١)، "يدعونه أصحابه إلى طريق الحق فيأبى إلا طريقه"(٢)، فبين القرآن الكريم "ضعف ووهن هذه الحجج والأقاويل، وأنها لا تستند لا لدليل نقلي ولا عقلي، وما هي إلا نظرة بعين الجحود والجمود والاستسلام المطلق للتقاليد والعادات الموروثة، وهي خالية من الإنصاف والتدبر"(٣).

فهذه العادات والتقاليد شكلت معوقاً رئيس يقف أمام دعوة الحق، وكم من من دعوة لم تجد لها آذاناً واعية بسبب التمسك بهذه المعوق الشنيع!، وما يحكيه القرآن الكريم عن وقوف هذا المعوق أمام دعوة الأنبياء خير شاهد على ذلك، فهي موقعة في الضلال، وما هذا إلا من أجل التمسك بما فعله الآباء، فهي تهدم الأخلاق النيرة التي دعا إليها القرآن الكريم، وساهم أيضاً هذا المعوق في تمزيق الصف المسلم بدلاً من تقويته، فكثير من الناس بقوا على الركود الفكري نتيجة التمسك بهذا المعوق؛ لعدم رغبتهم بالجديد، أو بعدم رغبتهم عن قبول الحق إن كان مع غيرهم، فمعوق العادات والتقاليد مضاره عظيمة على المجتمع في أفكارهم وبيئتهم وتربيتهم وعلومهم وفي مختلف جوانب حياتهم، وذلك أن "التقليد الأعمى يجعل الإنسان عند نشوئه في البيئة الاجتماعية يكتسب عن طريق التقليد معارف ومهارات وعادات وأخلاقاً كثيرة، فيتكون لديه بدافع الأنانية خلق التعصب لأهله وعشيرته وقومه، وسائر من هم في بيئته، وجميع ما هو في بيئته من مفاهيم وعادات وأخلاق؛ فيدافع عن كيانه الذاتي بنظرة منحرفة، دون تأمل من العقل أو نظر أو تجرد أو تميز بين الحق والباطل، فهو طريق مزيف مرفوض، ولابد من اجتنابه؛ لأن المعارف والعلوم لا يصح أن نثبتها بمجرد التقليد"(٤)، فكم من مرة حث الله الخلق في كتابه الكريم على التفكر واستخدام

---

(١) الأنعام: ٧١.

(٢) ينظر: البلخي، أبوالحسن مقاتل بن سليمان ١٥٠هـ، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (٣٥٣/١).

(٣) ينظر: الرحيلي، د. حمود بن أحمد بن فرج، **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، الجامعة الإسلامية عمادة البحث العلمي: المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، (٤٨٣/١).

(٤) ينظر: الميداني، عبدالرحمن بن حسن حبنكة ١٤٢٥هـ، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها**، دار القلم: دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (ص٢٨٧-٢٩٠).

العقول، وذم من أبطلها ولم ينتفع بها، "ففي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة"(١).

وهذه التقاليد العمياء والعادات السيئة إذا خلت من النظر والتأمل، وكان لا محل لها في العقل، ثم عظمت، وقع مرتكبها في الضلال؛ نتيجة هذا التعظيم، وهذا ما حصل مع مشركي العرب قديماً، حيث إنهم عظموا عاداتهم وتقاليدهم حتى أصبحوا مطيعين لمن اقتدوا بهم طاعة عمياء، فصاروا يحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، "فتحولوا من تقليدهم إلى عبادتهم، فوقعوا في الشرك؛ بسبب هذا التقليد والطاعة العمياء، فكان هذا التقليد قائداً لهم إلى الجهل والضلالة"(٢)، قال تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣)، وفي الحديث:((أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه))(٤).

وهذه الجاهلية -من تمسك بالتقاليد والعادات السيئة- أخبرنا ديننا القويم بأنها سنة لن تنتهي مع أنه حذرنا منها أشد التحذير، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم))(٥)، قال ابن حزم:(فقد صح بنص كلام الله تعالى بطلان تقليد الرجال والنساء جملة وتحريم

---

(١) ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، (١٠١/١).

(٢) ينظر: ابن عبدالبر، أبوعمر يوسف بن عبدالله النمري ٤٦٣هـ، **جامع بيان العلم وفضله**، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ، (١٠٩/٢-١١٠)، والرحيلي، **منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام**، (٤٨٤/١).

(٣) التوبة: ٣١.

(٤) أخرجه الترمذي، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٣٠٩٥ (٢٧٨/٥)، والحديث فيه غطيف بن أعين، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: ضعفه الدارقطني، (٤٠٥/٥)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة لتعدد طرق الحديث، (٨٦٥/٧)، وقال الألباني عن ذكر الذهبي لتضعيف الدارقطني: هذا وهم على الدارقطني؛ لأن الذي ضعفه الدارقطني هو روح بن غطيف وليس غطيف بن أعين. أ.هـ، وعند رجوع الباحث إلى علل الدارقطني تبين أن كلا الراويين ضعيفان، فقد ضعف الآخر أيضاً ابن حجر في تقريب التهذيب، (ص٤٤٣)، وقال عنه المزي في تهذيب الكمال:(ليس بمعروف في الحديث)، (١١٩/٢٣)، والحديث له شاهد آخر مرسل عند البيهقي، **السنن الكبرى**، حديث رقم: ٢٠١٣٨، (١١٦/١٠)، من طريق أبي البختري (سعيد بن فيروز)، عن حذيفة بن اليمان مرسلاً، ينظر: المزي، تهذيب الكمال،(٣٢/١١).

(٥) أخرجه البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٨٨٩، (٢٦٦٩/٦).

اتباع الآباء والرؤساء ألبتة، وعلى هذا كله السلف الصالح)(١)، وأصحاب التقليد المذموم والعادات السيئة في تمسكهم بهذه الموروثات القديمة "تقوُّلٌ على الله بغير علم، وحذرنا منه أشد التحذير، ولابد من المبادرة بالتوبة والرجوع إليه"(٢)، فهذه سنة ماضية، فمن يشاهد المسلمين اليوم في أنحاء الأرض، يعلم مدى مطابقة هذا الحديث للواقع، فكثير من المسلمين مقلدون لأعدائهم ومخالفيهم، سائرون على عاداتهم، مبالغون في ذلك، فبعضهم يجري خلف أفكارهم وشعاراتهم، وبعضهم يلبس لباسهم، وبعضهم يتحدث بحديثهم، ويتأدبون بآدابهم، بل يرون ذلك هو التطور والحداثة، مفتخرين به، "وما هذا الاتباع للأعداء إلا من أجل العادة التي تعودوها، وترك اتباع دينهم الحق"(٣)، وما موقف هؤلاء أمام ربهم إلا أن يقولوا: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾(٤)، "فالاتباع والتقليد الذي ذمه الله هو اتباع الهوى، إما من أجل العادة والتقليد، وإما من أجل النسب كاتباع الآباء، وإما من أجل الرئاسة كاتباع الأكابر والسادة"(٥)، ويعلل ابن كثير بأن سبب هذا التمسك بالتقاليد والعادات هو: "حسن الظن باتباعهم ومقلديهم"(٦)، وما كان لمجيء هذه العادات والتقاليد إلى بلاد المسلمين، وتمسكهم بها، إلا لثلاثة أسباب:-

الأول: ما حل بالمسلمين من استعمار من قبل أعدائهم، حيث إن المستعمرين خلفوا في بلاد المسلمين عاداتهم وتقاليدهم السيئة، فورث ذلك المسلمون.

الثاني: ما كان من بقايا عادات وتقاليد كانت موجودة في مناطق المسلمين قبل الإسلام، وامتزجت بالإسلام، ولم يميز البعض بينها وبين الحق.

الثالث: ما كان بسبب مخالطة المسلمين لأعدائهم، من عمل أو دراسة ونحوه، فاكتسبوا منهم عاداتهم وتقاليدهم، وألفوها وقبلوها، وجاؤوا بها إلى ديارهم.

---

(١) ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري ٤٥٦هـ،**الإحكام في أصول الأحكام**، دار الحديث: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، (٢٧٨/٦).

(٢) ينظر: ابن حزم، **الإحكام**، (٢٧٨/٦).

(٣) ينظر: ابن تيمية، **الفتاوى**، (١٩٧/٤-١٩٨).

(٤) الأحزاب: ٦٦-٦٧.

(٥) ابن تيمية، **الفتاوى**، (١٥/٢٠).

(٦) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢٥٥/٤).

ومن التقاليد والعادات التي أبطلها القرآن الكريم، وكان لها الأثر السلبي على الخلق: "عبادة الأوثان، والاستعاذة بالجن، والحرمان من الميراث، وتعدد الزوجات، والجمع بين الأختين، وشرب الخمر والميسر، والأختلاط، والتبرج، والتعري عند الطواف، واتخاذ الأخدان، والقذف، ووراثة المرأة، وعضل المرأة، وتطفيف الموازين، وأكل مهر المرأة، والتبني، وسفك الدماء، وأكل أموال اليتامى، وقتل الأولاد، ووأد البنات، واحتقار أهل الأعذار، والسخرية، وأكل الربا، والمكاء والتصدية، واعتقاد أن البر في اتيان البيوت من ظهورها، وتحليل شعائر الله، والزنا"(١)، ومن أسوأ الآثار التي يجنيها المسلمون من هذه العادات والتقاليد هو: "هدم الأخلاق الفاضلة والتفكك الأسري والأجتماعي بين المسلمين بجميع أنواعها، من تنازع وتباغض وفرقة وشقاق واتباع الهوى والشهوات واختلاط وعقوق الوالدين وقطع الأرحام وخيانة وقتل واغتيالات وبخل ونصب وسرقة، وجهل وركود فكري وأفكار مستوردة وفقدان للأصالة الفكرية، وشعور بالنقص والاستصغار واحتقار الذات"(٢).

---

(١) ينظر: خضر، أ.د. عبدالفتاح محمد أحمد، **عادات عربية في ضوء القرآن الكريم**، بحث منشور، مجلة معهد الإمام الشاطبي: السعودية، العدد الثالث، جمادى الآخرة ١٤٢٨ه، (ص٩٥-١٢٧)، ومحمد، ظافر عبدالله، **العادات والتقاليد وأثرها في التغير الاجتماعي**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٥هـ-١٤٠٦هـ، (ص٦٨-٨٠).

(٢) ينظر: العقل، ناصر عبدالكريم، **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، العام الدراسي: ١٣٩٣هـ--١٣٩٤هـ، (ص١٥١-١٥٨)

المطلب الثالث: النزاع والخلاف

إن الرسالة التي جاء بها القرآن الكريم هي ما كانت على لسان نبي الله شعيب -عليه السلام- في قوله تعالى ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾(١)، إنه الإصلاح بجميع اتجاهاته، ولا يتم ذلك إلا بإصلاح المجتمع التي تقوم بدورها بهذه العملية الإصلاحية، إنه "الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه"(٢)، وتبدأ هذه العملية من النفس البشرية، حيث قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣) ، لقد شكلت هذه الآية انطلاقاً يبدأ منه الإصلاح، فالإصلاح لا يتحقق إلا بعد التعاون والتكاتف بين المجتمع، حتى يصبح جسداً واحداً متماسكاً، يستطيع من خلاله أن يزيل أي عقبات تقف أمامه، فإصلاح المجتمع يبدأ من الفرد أولاً، ثم ينطلق إلى الجماعة، وأول ما يكون هذا الإصلاح من خلال تصفية النفوس، وإزالة ما بينها من عداوة أو نزاع أو خلاف؛ حتى تنهض مسيرتهم الإصلاحية بجميع جوانبها، "وهذا لا يكون إلا من خلال محورين، **الأول:** تغيير النفس البشرية، كما في الآية السابقة، **والثاني:** تهيئة البيئة الخارجية، من خلال إعداد بيئة صالحة تسهل على الصالحين التمسك بصلاحهم من أجل النهوض بالأمة، والسعي في إصلاح الآخرين"(٤)، ولقد جعل الله تعالى عقوبة الهلاك جزاءً للمجتمعات التي ظلمت بعضها بعضاً، وتناحرت، وتنازعت فيما بينها، وتفرقت، وأكلت حقوقها فيما بينها، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۝١١٧﴾(٥)، أي: "مصلحون في أعمالهم الاجتماعية والعمرانية والمدنية، منصفون ومتعاطون

---

(١) هود: ٨٨.
(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (١٩٢١/٤).
(٣) الرعد: ١١.
(٤) ينظر: نصار، د. نصار أسعد، **إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة**، بحث منشور، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية: دمشق، العدد الأول، ٢٠٠٧م، (٤٩٢/٢٣-٥٠٩).
(٥) هود: ١١٧.

الحقوق بينهم، لا يختلفون ولا يتنازعون ولا يظلم بعضهم بعضاً"(١)، وقد حذر الله تعالى الأمة من الاختلاف والفرقة، مذكراً لهم بما أنعمه عليهم من الألفة والنجاة بعدما كانوا -قبل الإسلام- في خلاف ونزاع، متناحرين فيما بينهم، كما حصل بين الأوس والخزرج، قال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾(٢)، فقد شبه الله -جل وعلا- الاجتماع والتماسك في الآية على هيئة الاعتصام بالحبل، "وأصل الحبل في اللغة: السبب"(٣)، والاعتصام في الآية "هو ما يشد للارتقاء والنجاة من الغرق، وجاء ذكرها حتى يجتمعوا في دين الله، ولا يتفرقوا؛ ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء، وأن المسلمين كانوا في فرقة وخلاف ونزاع وعداوة وقتال، أوشك أن يوقعهم في الهلاك والتفاني، فمن الله عليهم بالأخوة والألفة والوئام، فالامتنان على نعمتين: نعمة الأخوة بعد العداوة، ونعمة السلامة بعد الخطر"(٤)، وفي الآية جاء قوله (ولا تفرقوا) تأكيداً للاجتماع والتماسك، وقال تعالى أيضاً -آمراً عباده بالاجتماع والوفاق، وناهيهم عن الأسباب المؤدية للنزاع والخلاف- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٢٠٨﴾(٥)، أي: "ادخلوا في المسالمة والموافقة، وارفعوا عنكم الشقاق والنزاع، ولا تطيعوا الشيطان الذي يريد أن يوقعكم في الفرقة والخلاف والمعاداة فيما بينكم، وفي الهلاك الناتج عن الفساد بينكم، فالهلاك لا يرتفع إلا بارتفاع ما بينكم من فساد ونزاع"(٦)، وقال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٤٠/١٢)، والسمعاني، **تفسير القرآن**، (٤٦٧/٢)، والمراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٧١هـ، **تفسير المراغي**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ، (٩٧/١٢).

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) النحاس، أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي ٣٣٨هـ، **معاني القرآن الكريم**، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، (٤٥٣/١).

(٤) ينظر، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٩/٤-٣٥).

(٥) البقرة: ٢٠٨.

(٦) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٢٠٦/٢-٢٠٧).

عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾(١) ، كيف يأتي البرهان من الله على قوم ثم يختلفون فيما بينهم، وهم يَدَّعُون إنهم مصلحون!، فهذا لا يُعقل، وحال أمثال هؤلاء: أقوام من المسلمين، ومنهم من ينتسب للعلم والمنزلة، يعلمون الناس الخير، ويحذرونهم من الشر، وهم فيه واقعون!، وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾(٢)، وقعوا فيما بينهم في الفرقة والخلاف والنزاع والتباغض والعداوة، وقد يتولى كلٌ منهم جماعة أو فرقة أو حزباً، وبينهم خصومة وسجال، لا يرحم بعضهم بعضاً، وليت شعري كيف يقفون أمام الله، وهو محذرهم وناهيهم؟!، ادخلوا عامة الناس في خلافاتهم، فأصبح العامة كذلك مختلفين ويتداحرون في المجالس فيما بينهم، وكان الواجب عليهم أن يجمعوا ولا يفرقوا، أليسوا مسلمين؟!، أليسوا يقرؤون كتاب الله؟!، "إذ إنه غير جائز أن يكون التفرق والاختلاف ديناً لله تعالى مع نهي الله تعالى عنه"(٣)، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾(٤)، يخبر الله تعالى في هذه الآية وما قبلها: أن رسوله بريء من هؤلاء المختلفين، "وأن سبب إهلاك الأقوام إنما كان من أجل الاختلاف والفرقة والخصومات"(٥)، وفي هذا "تحذير من تفرق الكلمة، ودعاء إلى الاجتماع والألفة على الدين"(٦).

وقال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾(٧)، فعدم التفرق والخلاف والنزاع كانت من صفات الأنبياء، امتثالاً للوصية التي وصاهم بها الله -جل وعلا-؛ لأن في الاجتماع

(١) آل عمران: ١٠٥.
(٢) التوبة: ٤٩.
(٣) الجصاص، **أحكام القرآن**، (٣١٤/٢).
(٤) الأنعام: ١٥٩.
(٥) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٢٢٩/٧).
(٦) الجصاص، **أحكام القرآن**، (١٩٨/٤).
(٧) الشورى: ١٣.

إقامة للدين، وبسبب ما حصل للمشركين من الخلاف والنزاع والتفرق فيما بينهم في الدين، أصبح ممن بعدهم من الأمم ينظرون إلى دينهم نظرة الشك، قال تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾(١)، قال سيد قطب:(البشرية قد آلت إلى فوضى وارتياب، ولم تعد لها قيادة راشدة تقوم على نهج ثابت قويم.. فرسالة السماء التي تقود البشرية قد آلت إلى اختلاف بين أتباعها)(٢)، وما هذا إلا بسبب ما كسبت أيديهم، فقد حادوا عن طريق الحق والهدى والصلاح إلى طريق الباطل والضلال والفساد، فجزاهم الله بأن جعل بينهم الفتنة والعذاب والبأس الشديد، قال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(٣)، وهذا ما أصاب الأمة اليوم جراء هذا المعوق المقيت، فهي لم تزل في نزاع وخلاف فيما بينها، حتى مكنت للأعداء، وأصبحت في ضعف وهوان، وتأخرت في فكرها وتنميتها، فصارت ذليلة لأعدائها، لا تفارق رأيهم قيد شبر، لا تحترم من قبلهم، ولا يُقتدى بها، يحركونها كيف شاؤوا ومتى شاؤوا؛ وهذا نتيجة تركهم للحق ومخالفة أمر الله في النهي عن اتباع الخلاف والنزاع، فماذا بعد الحق إلا الضلال!، "فأمتنا اليوم تقف على مفترق طرق خطير، وتعيش مرحلة في غاية الصعوبة، فالأعداء يقفون بين المسلمين؛ ليسهل عليهم إضعاف المسلمين، ومن ثم السيطرة عليهم وعلى مقدراتهم، كما هو حاصل في كثير من الدول"(٤)، فهذا المعوق أصبح ومازال ذريعة للفشل، وأزال ما بينهم من تعاون وتكاتف، وكم من دماء سفكت، ورجال ذهبت، وأموال نفذت، ونِعَم اجتاحت، ونِقَم استنزلت -كما سيأتي ذكرها- نتيجة هذا المعوق، فهذا المعوق ساهم بشكل كبير في إيقاظ الحروب فيما بين المسلمين، فبدلاً من أن يشتغلوا في أعدائهم حادوا عن ذلك واشتغلوا في أنفسهم، فوجد الأعداء من وجود هذا المعوق فرصة للنيل من المسلمين بجميع الوسائل المختلفة، حتى لا تقوم لهم راية، فما أعظم البلاء الذي يصيبه هذا المعوق!، والله المستعان.

---

(١) الشورى: ١٤.
(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٣١٣٩/٥).
(٣) النور: ٦٣.
(٤) ينظر: قاسم، د. رياض محمود، وأبوعمرة، فايز حسان، **دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة والمجتمع**، بحث منشور، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الأول، يناير ٢٠٠٨م، (٢٨٢/١٦).

والناظر في سورة الأنفال يجد أن لها أسراراً عجيبة، فقد افتتح الله السورة بقوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾(١)، فلم يأتِ الجواب عن الأنفال مباشرة، بل جاء الأمر بالتقوى وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله، "فكمال الإيمان يدور على تلك الخصال الثلاثة: الإتقاء، والإصلاح، وإطاعة الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-"(٢)، وفي الإغفال عن هذه الأصول الثلاثة سبب عظيم في شر عظيم يقع على الأمة، "ولعل من إرجاء الجواب عن التساؤل في الآية هو من أجل بيان أن التقاتل على الدنيا -ومنها الغنائم- سبب في فساد ذات البين، ولهذا جاء الجواب عن سؤال الأنفال بعد أربعين آية من هذا السؤال"(٣)، حيث قال تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾(٤)، ففي بداية السورة جعل الله تعالى الأصول الثلاثة في الآية من كمال الإيمان، وفي آخر الآية الأولى يقول تعالى ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وكررها في آية الجواب عن السؤال بقوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾، ولعل في ذلك حتى يُفهم منها أن إصلاح ذات البين مقدم على الغنائم وسائر شهوات الدنيا، فإن هم وعوا ذلك، وعملوا بالأصول الثلاثة كما في الآية، فسيحصلون على أسهمهم التي سألوا عنها، فهذه السورة أعطت للمسلمين درساً في إزالة النزاع والخلاف بينهم، وأن لا تُجعل الدنيا وشهواتها سبباً في خلاف المسلمين وفرقتهم، فالدنيا زائلة لا محالة، فقد قال تعالى عنها ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلْأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾(٥).

---

(١) الأنفال: ١.

(٢) الآلوسي، **روح المعاني**، (١٦٥/٩).

(٣) ينظر: المقبل، د. عمر بن عبدالله، **قواعد قرآنية**، دار الحضارة: الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ، (ص٤٣-٤٤).

(٤) الأنفال: ٤١.

(٥) غافر: ٣٩.

وإن من كيد اليهود على الإسلام والمسلمين، تمزيق صفوفهم، والتحريش بينهم، حتى يجعلوهم مختلفين مفترقين؛ وما ذلك إلا بسبب حقدهم وحسدهم، فقد قال تعالى -محذراً المسلمين من كيدهم- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(١)، "فمن دأب اليهود تمزيق الصف المسلم، وإثارة الفتنة والفرقة، بكل ما لديهم من وسائل، سواء قبل البعثة كما كانوا يفعلون بين الأوس والخزرج، أو بعد البعثة كما فعل اليهودي شاس بن قيس عندما ساءه ما شاهده في المسلمين من ألفة واجتماع ومودة، فقرر التحريش بينهم، ونجح في ذلك"(٢)، فأنزل الله في اليهود قوله تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾(٣)، وأنزل الله تعالى في الأوس والخزرج قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾(٤)، لقد كان هذا هو سبب نزول الآيات(٥)، فهذه القصة يستفاد منها دروس أخرى، وعبر، عن ما يصيب المسلمين من نزاع واختلاف، والحذر من كيد اليهود وحقدهم على الإسلام، فإنهم لا يريدون للمسلمين أن تقوم لهم قائمة، ولا شوكة، ولا كلمة، ولا اجتماع؛ لأنهم هم أيضاً ما زالوا مختلفين متنازعين فيما بينهم، فقد قال تعالى عنهم ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾(٦)، وقد قال رسول الله -صلى

---

(١) البقرة:١٠٩

(٢) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٤٤٣/١).

(٣) آل عمران:٩٨-٩٩

(٤) آل عمران:١٠٠-١٠١

(٥) ينظر: الواحدي، أبوالحسن علي بن محمد ٤٦٨هـ، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح: الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، (ص١١٦).

(٦) الحشر:١٤

الله عليه وسلم-:((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة))(١)، فديننا يحذرنا من شر اليهود ودسائسهم، وأن النزاع والخلاف لا يُجنى من وراءه إلا التباغض والحقد والفرقة، والإسلام يسعى لتوحيد الصف المسلم، وأن يكونوا جميعاً أخوة، متحابين فيما بينهم، وقد حذرنا نبي الله -صلى الله عليه وسلم- لكل ما يفضي لهذا، حيث قال:((لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام))(٢)، وصدق الله تعالى عندما قال ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾(٣)، فهذا المستشرق لورنس براون -قبل إسلامه- يقول:(إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يكونون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)(٤)، "فالتفريق بين المسلمين، وزرع الأحقاد والضغائن بينهم، من أهم طرائق الأعداء؛ للسيطرة على المسلمين ونهب خيراتهم، فهم يرون أن الوحدة الإسلامية خطر عليهم"(٥).

فلا خير في أناس مختلفين، ولا خير في إخوة متنازعين، ولا خير كذلك في قوم عنهم ساكتين، فقد قال تعالى ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(٦)، يخبر تعالى أن "أفضل ما يتناجى به المسلمون ويتوجهوا إليه هو إصلاح ما بينهم، وإن لم يحصل ذلك، فإن ضرره عظيم على فساد الدين وأهله، لما فيه من

---

(١) أبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٤٥٩٦، (١٩٧/٤)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٣٩٩٢، (١٣٢٢/٢)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ١٠، (٤٧/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٥٧١٨، (٢٢٥٣/٥).

(٣) سورة يوسف:٢٦

(٤) خالدي، د. مصطفى، وفزوخ، د. عمر، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، المكتبة العصرية: بيروت، ١٣٧٢هـ، (ص٣٧).

(٥) العجاجي، سلطان بن سليمان، **إصلاح ذات البين وأثره في الوقاية من الجريمة**، رسالة ماجستير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض، ١٤٣٠هـ، (ص٥٠).

(٦) النساء:١١٤

سفك الدماء، وقيام نار الشحناء، وتوكيد مرور الحقداء، وإيقاظ عيون الحروب، وذهاب الرجال، ونفاد الأموال، واجتياح النعم، واستنزال النقم"(١).

وجاء النهي صريحاً عن التنازع والاختلاف، وما يترتب عليه من آثار، في قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾(٢)، قال ابن عاشور:(وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو)(٣)، كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾(٤)، "فلا قوة مع الخلاف والنزاع والتفرق والانقسام"(٥)، فالخلاف والنزاع له آثار أخرى أيضاً، فقد "أفضى إلى جعل كثير من الناس في شك وارتياب واضطراب؛ نتيجة حيدهم عن كتاب الله وسنة رسوله، واتباعهم للهوى والتعصب المذموم" (٦)، قال عمر -رضي الله عنه-:(لا تختلفوا، فإنكم إن اختلفتم كان من بعدكم أشد اختلافاً)(٧)، "فعدم اتفاق الكلمة والتنازع يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها جملة، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها"(٨)، فالآية السابقة توضح أن

---

(١) ينظر: الشنتريني، أبوالحسن علي بن بسام ٥٤٢هـ، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت، ١٤١٧هـ، (٤٩٧/١).

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٣١/١٠).

(٤) سورة آل عمران:١٥٢

(٥) رضا، **تفسير المنار**، (٢١٩/٢).

(٦) ينظر: الشقيري، محمد عبدالسلام خضر ١٣٥٢هـ، **السنن والمبتدعات**، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، (ص٣٨٢).

(٧) الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد ٥٠٥هـ، **المستصفى في علم الأصول**، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، (ص٢٩٦).

(٨) ينظر: ابن القيم، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ، **الفروسية**، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار الأندلس: السعودية-حائل، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، (ص٥٠٦).

الخلاف والنزاع ينتج عنه أمران خطيران: الأول: أنه يوجب حصول الفشل الذريع والضعف، والثاني: ذهاب الدولة والقوة والنصر"(١)، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾(٢)، في الآية دلالة على أن النزاع والخلاف والتقاطع بين المسلمين، وترك السعي في الاصلاح بينهم، أنه من أعظم موانع الرحمة، قال ابن السعدي:(عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة)(٣).

فالتنازع واختلاف القلوب داء عظيم يصيب الأمة، ويجعل بأسها بينها شديد، وهو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية؛ لأن الفشل والضعف ناتج عنه، "فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك"(٤)، فما أحوج المسلمين إلى الإلتزام بالتوجيه القرآني!، فإن فيه داءهم ودواءهم، في جميع قضاياهم وشؤونهم، "والتاريخ الإسلامي خير شاهد على أحوالهم"(٥)، فإنه يقص القصص والعبر، ويحكي أسباب النصر التي جاءت من خلال التمسك بكتاب الله وسنته وهم على قلب رجل واحد، وأن أسباب الهزيمة كانت نتيجة بعدهم عن دينهم وسعيهم في الدنيا متنازعين ومختلفين ومفترقين فيما بينهم، حتى صارت باباً يدخل منها الأعداء، قال ابن تيمية:(متى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا، فإن الجماعة رحمة، والفرقة عذاب)(٦)، ولقد ضيع المسلمون اليوم أموراً كثيرة، "جعلتهم في عداوة، وجرتهم إلى تربص الدوائر بين بعضهم البعض"(٧)، وكم ضيع كثير من الناس إخوتهم وصداقتهم وسائر علاقاتهم بسبب أمور تافهة، قد يدخل فيها شيء من الهوى وحب انتصار النفس!،

---

(١) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (١٣٨/١٥)، والجزائري، **أيسر التفاسير**، (٤٥/٢).
(٢) الحجرات:١٠
(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٨٠١).
(٤) الشنقيطي، **أضواء البيان**، (٥٣/٣).
(٥) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص١٢٧)
(٦) ابن تيمية، **الفتاوى**، (٤٢١/٣).
(٧) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٥٤/٢٥).

وما هذا إلا من تضليل الشيطان وتزيينه، "فهذه النصوص صريحة في النهي عن الاختلاف والفرقة المهلكة للأمم، المفسدة للدين، وأن الله ورسوله بريئون من المختلفين"(١).

---

(١) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٣/٩-١٠).

المطلب الرابع: الظلم وتقسيم المجتمع

إن كل شيء فيه تعد ومجاوزة للحد فهو ظلم، وذلك أن الله عرف الظلم بأنه مجاوزة للحد في قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾(١)، فالظلم هو "أن يتصرف المرء في ملك الغير بغير إذن، أو أن يتعدى المكلف ما حده له مالكه"(٢)، أو "وضعك الشيء في غير موضعه"(٣)، والظلم له عدة وجوه، "أعظمها أن تجعل لله نداً، ألم تر إلى وصية لقمان لابنه، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(٤)، وهناك ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب الذنوب والمعاصي دون الشرك، قال تعالى﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾(٥)، وظلم الناس بالتعدي عليهم، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾(٦)، وبمعنى النقص، قال تعالى ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ﴾(٧)، والظلم بمعنى العذاب، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ (٨)"(٩).

والظلم أخطر ما يصيب الخلق، وهو مرض اجتماعي خطير، وهو من أكثر ما نهى الله عنه في القرآن الكريم؛ وذلك أن فيه بخس للحقوق، قال تعالى ناهياً عنه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ

---

(١) سورة البقرة:٢٢٩

(٢) ابن أبي الدنيا، أبوبكر عبدالله بن محمد ٢٨١هـ، **الإخلاص والنية**، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار البشائر: دمشق، ١٤١٣هـ، (ص٣٧).

(٣) ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي ٣٢١هـ، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين: بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، (٩٣٤/٢).

(٤) سورة لقمان:١٣

(٥) سورة الطلاق:١

(٦) سورة النساء:١٠

(٧) سورة الكهف:٣٣

(٨) سورة النحل:٤١

(٩) ينظر: ابن أبي ثعلبة، **التصاريف لتفسير القرآن**، (ص٢١٥-٢١٦).

رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾[١]، وفي الحديث القدسي يقول تعالى:((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا))[٢]، ومن شدة خطورة الظلم، فإن الله لم يفرق في شريعته السمحة بين المظلوم في دينه وجنسه -سواء كان مؤمناً أو كافراً- وبين الظالم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب))[٣]، "والظلم يكون في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمظالم الجنائية والمظالم الأخلاقية"[٤]، ومن الظلم الحاصل في المجتمعات وكان له سبب في تشتيت المجتمع وتمزيقه: سفك الدماء، وأكل أموال الناس بالباطل، والقدح في أعراضهم، والغيبة، والنميمة، والتحريش، والحسد، والبغضاء، والخصومة، والتعدي، والهجر دون حق، والسخرية، والتنابز بالألقاب، ونكران الجميل، والبيع فوق بيع أخيه، وتطفيف الكيل أو الوزن، والغش، والخداع، والاحتكار، والقمار، والرشوة، وأكل مال اليتيم، والعقوق، والزنا، وأيضاً من " لا يحكم لأخيه بالحق إن كان قاضياً، أو يخون، أو يسيء لزوجته، أو لا يساعد الناس على نيل حقوقهم"[٥] ، وما يقع من بعضهم من ظلم وبغي على إخوانهم، طمعاً أو حسداً من أجل لعاعة الدنيا، ويعظم الخطب حينما يُلبسُ بعض الناس صنيعه لبوسَ الدين؛ ليبرر فعلته بالوشاية بفلان، أو التحذير من فلان بغياً وعدواناً"[٦]، وكل ما يؤدي للضرر بالناس، فهذا كله ظلم، ونهايته شنيعة، وشر عظيم وخيبة وندم، فإن فر الظالم من المظلوم، فأين يفر من الله!، وقد قال تعالى ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾﴾[٧]، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله

---

(١) سورة البقرة:٢٨٢

(٢) مسلم، **المسند الصحيح (صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٧٧، (١٩٩٤/٤).

(٣) حنبل، أحمد، **المسند**، حديث رقم: ١٢٥٧١، (١٥٣/٣)، حسنه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم: ١١٩، (٨٤/١)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند: الحديث حسن بمجموع شواهده، (٤٨١/١٢)، والحديث أصله في صحيح البخاري ومسلم وسائر الكتب الستة دون لفظة (الكفر)، ينظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٢٣١٦، (٨٦٤/٢)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٩، (٥٠/١).

(٤) ينظر: زمان، سعيد الرحمن محمد يوسف خاطر، **الظلم أنواعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، ١٤١٨هـ، (ص٣٢).

(٥) ينظر: عساف، أحمد محمد، **الحلال والحرام في الإسلام**، (ص٤٩٣).

(٦) ينظر: المقبل، **قواعد قرآنية**، (ص٣٨).

(٧) سورة طه:١١١

وعرضه))(١)، ومن أخطرها وأشدها هو شهادة الزور، بل إن هناك أناس تجدهم يتسكعون عند أبواب المحاكم، يبحثون عن ضعفاء النفوس؛ ليشهدوا لهم في الظلم، فمهنتهم هي شهادة الزور، بل "شهادة الزور أكبر الكبائر وأخطر الجرائم؛ لما يترتب عليها من وقوع الظلم على الأبرياء، وضياع الحقوق"(٢)، وإن هلاك قوم شعيب -عليه السلام- كان بسبب ظلمهم، " فقد كان يدعوهم إلى الله وعبادته، وإقامة العدل، وترك الظلم الذي يتصفون به كظلم الناس، وبخسهم في مكاييلهم وموازينهم، ولكنهم عتوا وكذبوه"(٣)، فأنزل الله عليهم عاقبة ظلمهم وتكذيبهم، قال تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾(٤)، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((إن الله -عز وجل- يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم تلا قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾(٥)))(٦)، وقوله ((لم يفلته)) "أي: لم يُخلصه"(٧)، "وإن للظلم دوافع دعت إليه وقامت بتزينه، منها: الكفر بالله، أو اتباع الهوى، أو الترف والغنى، أو الحسد والعداوة، أو الفقر والإملاق، أو العار والسبة، أو من أجل الحفاظ على المصالح"(٨).

وللظلم مضار عظيمة، على الأفراد والمجتمعات، "فهو يجلب غضب الرب، وأن دعوة المظلوم فيه مستجابة، وأنه يخرب الديار وبسببه تنهار الدول، وأن المجتمع يتحاشى الظالم ويبتعدون عنه؛ لخوفهم من بطشه، وأن معصيته متعدية على الغير، وأن الظلم يجعل للقلب قسوة وظلمة، وأن عدم الأخذ بيد الظالم يفسد الأمة، وأنه جالب لكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأنه يحرم شفاعته"(٩)، فإذا كانت هذه مضاره على المجتمع، فكيف يكون وقوف الظالم -الذي أفسد المجتمعات- عند الله يوم القيامة!، وهو الذليل الصغير أمام

---

(١) مسلم، **المسند الصحيح (صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٦٤، (١٩٨٦/٤).
(٢) ينظر: زمان، **الظلم أنواعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم**، (ص١٥٤).
(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٤/٩).
(٤) سورة الأعراف:٩١
(٥) سورة هود:١٠٢.
(٦) مسلم، **المسند الصحيح (صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٨٣، (١٩٩٧/٤).
(٧) ينظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (٤٦٦/٣).
(٨) ينظر: زمان، **الظلم أنواعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم**، (ص٣٠٣).
(٩) ينظر: مجموعة من المختصين، **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، (٤٩٢٦/١٠).

الله العلي القوي العظيم، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٖ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾(١)، قال ميمون بن مهران -في هذه الآية-:(هي وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم)(٢)، وصدق الشاعر إذ يقول:-

واحذر أخي من المظلوم دعوته   لا تأخذك سهام الليل في الظلم(٣)

وقد توعد الله للظالمين أشد الوعيد في الدنيا والآخرة، فمن عواقب الظلم في الدنيا:-

١-فقدان الأمن والاستقرار(٤)، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٥).

٢-وكثرة الأمراض، والكوارث الطبيعية(٦)، قال تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾(٧)، وقال ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾(٨)، وقال ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾(٩).

---

(١) سورة إبراهيم:٤٢

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٣٦/١٣).

(٣) البيت لأبي عبدالله الهمداني، ينظر: الزوزني، عبدالله بن محمد العبدلكاني ٤٣١هـ، **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء**، تحقيق: محمد بهي الله بن محمد سالم، دار الكتاب المصري: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (٢٨١/١).

(٤) ينظر: يوسف، **إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، (ص٦٦)

(٥) سورة الأنعام:٨٢

(٦) ينظر: يوسف، **إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، (ص٧٢)

(٧) سورة الروم:٤١

(٨) سورة الأعراف:١٦٢

(٩) سورة العنكبوت:١٤

٣-أن الأمة إذا تركت الظالم، ولم تأخذ بيده للحق، ولم تمنعه من ظلمه، فإن الظالم والأمة معه يقعون في بلاء وفتنة ومحنة، وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾(١)، وقال ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾(٢)، "فالظلم جالب للأمة البلاء -ظالمها ومظلومها-، وذلك أن المظلوم إذا ترك مقاومة الظلم فقد اشترك معه؛ لأنه إذا ترك الظالم، فسيزيد الظلم، ويفشو حتى يعلو، ويكون له السلطان الذي يفشو بكل سلطان"(٣).

٤- أن عاقبة الظالم ومن سكت عن ظلمه هو الهلاك، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾(٤).

٥-أن الظالم لا يجد الفلاح في الدنيا، "ولا يظفر بمطلوبه"(٥)، قال تعالى ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾(٦).

٦-أن الظالم في الدنيا بسبب صده عن سبيل الله وإعراضه، أصبح لا يبصر الحق ولا يسمعه(٧)، قال تعالى ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾(٨).

---

(١) سورة الأنفال:٢٥
(٢) سورة النساء:١٦٠
(٣) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٢١٩/٢).
(٤) سورة القصص:٥٩
(٥) الآلوسي، **روح المعاني**، (٣١/٨).
(٦) سورة الأنعام:١٣٥
(٧) ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (٣١٣/٢).
(٨) سورة مريم:٣٨

وأما عاقبة الظلم في الآخرة فهي أعظم وأشد، ومنها:-

١- أن الملائكة "تجازي الظالمين عندما تحل آجالهم بضربهم على وجوههم وأدبارهم"(١)، جزاء شناعة فعلهم، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾(٢).

٢-الوقوع في التحسر والندامة، حيث قال تعالى ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾(٣).

٣-أنه يتمنى الرجوع إلى الدنيا في يوم لا ينفعه ذلك، قال تعالى ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾(٤).

٤-أن الظالمين يوم القيامة يعاتب بعضهم بعض باللوم، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾(٥).

٥-التصفيد بالسلاسل والأغلال، قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾(٦).

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٢٧٥/٧).
(٢) سورة الأنعام:٩٣
(٣) سورة الصافات:٢٠-٢١
(٤) سورة المؤمنون:١٠٧
(٥) سورة سبأ:٣١
(٦) سورة إبراهيم:٤٩-٥٠

٦- الحرمان من "رؤية الله، ومن كرامته عليهم"[١]، قال تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾[٢].

٧-الاقتصاص من الظالمين، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾[٣].

٨-الدخول في نار الجحيم وبئس المصير، قال تعالى ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾[٤].

ومما يعانيه المجتمع اليوم، هو تقسيم الأعداء -دولاً وملأً وتجاراً- المسلمين إلى طبقات، وهو ما يسمى بالطبقية "التي يتميز فيها أجزاء من مجتمع ما عن أجزاء المجتمع الأخر؛ لارتفاع المكانة أو انخفاضها"[٥]، ومن التقسيم الشائع: طبقة غنية وطبقة فقيرة، وعالية أو متدنية، ومتقدمة أو متأخرة، وعربية أو أعجمية، وبادية أو حاضرة، وهذا التقسيم -الذي خالف هدي الله في كتابه وسنة أنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- هو من سنة اليهود أعداء الملة والدين، أهل الحقد والغدر، أعداء الأنبياء، حيث إنهم أول من عزز الطبقية بين الناس، فهم ادعوا -كذباً وزوراً- أنهم أبناء الله وأحباؤه، فمن لم يكن منهم، فهو عليهم، فتولد من ذلك الطبقية في المجتمعات، وصار الغير ينظر إليهم نظرة الظلم والغبن والإحباط، "فرأوا في أنفسهم الكبر والأفضلية على سائر الخلق؛ لأنهم أبناء رسل الله"[٦]، وهذه الطبقية ذكرها القرآن الكريم وبينها، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٠١/٣٠).
(٢) سورة المطففين:١٥
(٣) سورة النحل:٤١
(٤) سورة الصافات:٢٢-٢٣
(٥) ينظر: عثمان، د. عبدالكريم، **معالم الثقافة الإسلامية**، الرسالة: بيروت، الطبعة السادسة عشر، ١٤١٣هـ، (ص١٣٠).
(٦) ينظر: البقلي، أبومحمد روزبهان بن أبي نصر الشيرازي الصوفي ٦٦٦هـ، **عرائس البيان في تفسير القرآن**، (لا توجد بيانات على الكتاب)، (١٩/٣).

يَشَآءُۚ﴾(١)، فرد الله على زعمهم الباطل، بأنهم "بشر ممن خلق كسائر بني آدم، إن أنتم أحسنتم في قولكم وعملكم جوزيتم بإحسانكم كسائر بني آدم الذين هم مجزيون بإحسانهم، وإن أنتم أسأتم بالقول أو العمل جوزيتم بإساءتكم كسائر بني آدم، ليس لكم أفضلية عن غيركم إلا بالإيمان وحسن العمل، فمن أحسن منكم فالله -جل وعلا- يغفر ذنوبه ولا يعاقبه، ومن كان غير ذلك فإنه معذبه جزاء فعله، لا ينجيه شيء"(٢)، فالناس عند الله قسمان: إما مؤمن وإما كافر، كل بحسب عمله، وبذلك يكون العدل والمساواة، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾(٣).

ولقد جاء الدين الإسلامي القويم لإزالة جميع أنواع الطبقية التي يكون فيها الفقير والضعيف ذليلاً للغني وصاحب الشأن، واستبدل الله هذه الجاهلية بأن جمع الناس فيه، فقرر لهم المساواة، ووجوب التعاون والبر فيما بينهما، وجمعهم في شتى أنواع العبادات، لا يتميزون على بعض، "فالنصيحة يبذلها الكبير للصغير، والصغير للكبير سنًا وشأنًا، ويأمر بعضهم بعضًا بالمعروف، وينهى بعضهم بعضًا عن المنكر، ويدعو بعضهم بعضاً إلى الخير والصلاح، يؤلفون منهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وهذا الأمر يبرز معاني الأخوة على جميع المستويات الاجتماعية، ويزيل الطبقية المقيتة كما يزيل الكبر من النفوس، يتمثلون كلهم بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾(٤)"(٥)، فهم متساوون مشتركون في الصلاة والحج والجهاد، الغني والقوي يقف ويمشي بجانب الفقير والضعيف؛ لأن الدعوة الإسلامية تنطلق من مبدأ المساواة والعدل بين البشر دون اعتبار لأي نوع من أنواع الطبقية من جاه أو ثروة أو لون أو جنسية، إذ لا مكان للتقسيم بين الناس؛ لأن أساس التمايز بينهم هو التقوى والعمل الصالح، حيث قال الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ

---

(١) سورة المائدة:١٨.
(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٦٥/٦).
(٣) يونس:٢٧.
(٤) سورة الحجرات:١٠.
(٥) ينظر: أبا بطين، د. أحمد بن محمد بن عبدالله، **فقه الدعوة إلى الله**، بحث منشور، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، محرم ١٤٢٢هـ، العدد: ٣٣، (٣٨٢/١).

ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾(١)، والمقصود من الآية "التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب، إنما هو بالتقوى"(٢)، وقال القرطبي -في هذه الآية-:(زجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى، أي: الجميع من آدم وحواء، إنما الفضل بالتقوى)(٣)، فهذه الآية ازالت الطبقية في الإسلام وحاربتها أشد محاربة، وجعلت المسلمين أمة واحدة، لا فرق بينهم ولا طبقية، هم كالمجتمع الواحد، والأسرة الواحدة التي من أب وأم واحد، "فالرب -جل وعلا- ينادي الناس، بأنكم وإن كنتم مختلفين أجناساً وألواناً، ومفترقين شعوباً وقبائل، لكنكم من أصل واحد، من أب واحد، ومن أم واحدة، فلا فرق بينكم، وإن اختلفتم في الأوطان، والآراء، واللغات، فينبغي عليكم أن تجتمعوا في الله، وتتعاونوا فيما بينكم، ولا تختلفوا، ولا تحملوا الرايات والشعارات التي تفرقكم، من قومية وطبقية وحزبية ووطنية وجنسية"(٤).

وإن تقسيم المجتمعات كان أمراً شائعاً لدى كل المجتمعات قبل الإسلام، وفي هذا يقول سيد قطب:(لقد كان هناك واقع اجتماعي، وراءه مصالح طبقية وعنصرية، مادية ومعنوية، واقع سائد في الجزيرة العربية، وسائد في الأرض من حولها، واقع ليس محل اعتراض أحد؛ لأن المنتفعين به لا يسأمونه، والرازحين تحته لا ينكرونه!. لقد كانت قريش قبل الإسلام تفرض لنفسها مرتبة خاصة وحقوقاً وتقاليد ليست لسائر العرب، وتقف في الحج بالمزدلفة حين يقف الناس جميعاً بعرفات!، ويقيمون على هذه امتيازات اقتصادية يفرضونها على سائر العرب، فيحتمون عليهم ألا يطوفوا بالبيت إلا في ملابس يشترونها من قريش؟ وإلا طافوا عراة ؟!، وكانت الأرض كلها من حول الجزيرة تعج بالتفرقات القائمة على اختلاف الدماء والأجناس وتفاضلها)(٥).

فهذا المعوق أثر بشكل كبير على المجتمع المسلم، ويظهر تعويقه -كما ذكر- من خلال ما يجنيه على المجتمع من تفريق وعداوة وبغضاء وغبن واعتداء من أجل الانتقام، ولا تكاد ترى نتيجة هذا المعوق صغيراً وكبيراً أو غنياً وفقيراً يجتمعون على طاولة واحدة

---

(١) سورة الحجرات:١٣.
(٢) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (٦١/٤)، وينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢١٨/٤).
(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٣٤١/١٦).
(٤) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٣٤٨/٦).
(٥) قطب، سيد، **هذا الدين**، دار الشروق: القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢١هـ، (ص٥٧).

تسودهم الروح السليمة والمليئة بالتبسم والتعاون والتكاتف، والأمة اليوم فقدت أمنها واستقرارها، ووقعت في البلاء والفتن والمحن، وحل عليها الغضب من الله -جل وعلا- نتيجة هذا المعوق، بل إنه شجع على الجريمة والانتقام، من أجل الظلم العظيم من وراء هذا المعوق، فهو يفرق المجتمع، "ويحول دون التعارف فيما بينهم، ويبقي كل فئة في دائرتها"(١)، ويحصل لدى الطبقات العليا احتقار للطبقة الصغيرة، ويجعل "طبقة المستضعفين تكره الطبقات العليا المحتكرة، وتحقد عليها، ويصيبها الإحساس بالظلم والغبن والإحباط، وتحرض الضعيف على الجريمة، والاستعداد للعنف"(٢)، ولا بد من "العدول عن هذا التقسيم والخلط في التسميات من تقدمي ورجعي، ويميني ويساري، ووسط، ودول متقدمة، ودول متأخرة أو نامية، لئلا ينتشر البغض والعداوة بين المجتمع"(٣)، ولابد أن يعرف المسلمون أن هذا المعوق الذي يعيشه اليوم كثير من الناس، ما هو إلا كيد من الأعداء، لئلا تجتمع للمسلمين راية، ولا قوة، ولا هيبة، فهم بخير وسعادة ما دام أن المسلمين متفرقون فيما بينهم، فهو "من أخطر المسببات التي تأتي إلى القوة الحقيقية الكامنة، في مجتمع من المجتمعات فتبددها، وتجعلها كالهباء المنثور"(٤).

---

(١) ينظر: الزيد، د. زيد بن عبدالكريم، **وظيفة المسجد في المجتمع**، بحث منشور، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، محرم ١٤١٥هـ، العدد: ١١، (٦١/١).

(٢) ينظر: **موسوعة نضرة النعيم**، (٧٥/٢).

(٣) ينظر: السلمي، د. محمد صامل، **مسائل في منهج دراسة السيرة النبوية**، مجلة جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ربيع الأول ١٤٢٣هـ، العدد: ٢٤، (١٩٥/١٣).

(٤) الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة ١٤٢٥هـ، **أجنحة المكر الثلاثة: التبشير، الاستشراق، الاستعمار**، دار القلم: دمشق، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ، (ص٣١٩).

المبحث الثاني: وسائل علاج المعوقات الاجتماعية

المطلب الأول: التربية الروحية الإيمانية

لقد جاء القرآن الكريم ليطهر المؤمنين، ويربيهم التربية الإيمانية الخالصة لله تعالى، فلقد مكث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مكة ثلاث عشرة سنة يربي فيها المؤمنين التربية الروحية الإيمانية، قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾(١)، إن هذه التربية جاءت لتكون درعاً واقياً وحصناً حصيناً ضد كل انحراف فكري أو أخلاقي، حتى لا يزيغوا عنها، وهذه الدعوة كانت لها ملامح متعددة، من أهمها: "الاهتمام بتربية من استجاب الدعوة، والعمل على تزكيتهم، وتربيتهم على هدي الإسلام، لبناء قاعدة إسلامية صلبة للدولة المسلمة، وذلك عن طريق:

١-تعليمهم دينهم.

٢-وتطبيق الإسلام في حياتهم.

٣-وتعميق معاني الأخوة فيما بينهم.

٤-والتواصي بالحق والتواصي بالصبر"(٢).

وهذه التربية الإيمانية ترتكز على عنصرين مهمين: هما التقوى والصدق، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾(٣)، فأهل التقوى والصدق "هم الذين خافوه وراقبوه بأداء فرائضه وتجنب حدوده، وصاحبوا أهل الخير والصدق"، إنه الصدق مع الله، والصدق مع النفس، والصدق مع الجماعة، "فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق"(٤).

---

(١) سورة آل عمران:١٦٤

(٢) البيانوني، محمد أبوالفتح، **المدخل إلى علم الدعوة**، الرسالة: بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ، (ص٨٣).

(٣) سورة التوبة:١١٩

(٤) ابن القيم، **الفوائد**، (ص١٣٦).

وهذه التربية تدعو المؤمنين إلى توطيد العلاقات فيما بينهم، حتى يصبحوا كالجسد الواحد، لا تفرقهم، فليس فيها نزاعات ولا خلافات ولا عصبيات، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾(١)، "فإذا كان المؤمنون إخوة، أمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها"(٢)، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾(٣)،"إن الله عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن، لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك"(٤)، إن هذه الأخوة لها حقوق تدعو إليها: "من الإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم، ومنها مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب"(٥)، وقال تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾(٦)، "وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرقوا هو من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه"(٧)، فالخير كله في اجتماع المسلمين فيما بينهم، فالمسلمون اليوم بحاجة إلى أخذ هذا الـ منهج الرباني، وفهمه جيداً، والعمل بمقتضاه، فهم الآن في نزاع وشقاق وعصبية، انشغلوا فيما بينهم عن أعدائهم، لا ينظرون إلى ما يكيدونه لهم، فالقرآن الكريم جاء من أجل أن

---

(١) سورة الحجرات:١٠

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، (٣٣٢).

(٣) سورة الحجرات:١١

(٤) الطبري، **جامع البيان**، (١٣١/٢٦).

(٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، (٤٩٤/٢)

(٦) سورة آل عمران:١٠٣

(٧) ينظر: ابن تيمية، **الفتاوى**، (٣٥٩/٢٢).

يجمع الناس، والله -جل وعلا- امتن على المؤمنين بأن جعلهم في ألفة ومحبة بعد نزاع وفرقة، ولكن ما ماكان من هذه الجاهلية إلا أن عادت إليهم تارة أخرى، فكم نحن بحاجة إلى تطبيق قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه))(١)، وحتى نستعيد هيبتنا وقوتنا وعزنا، فلابد من محاربة هذه الجاهلية بالأخوة والتي من أهم ما يترتب عليها "الحب والسلام والتعاون والوحدة الذي هو الأصل في الجماعة المسلمة"(٢)، قال الشافعي:(الناس كلهم عباد الله تعالى، لا يخرج أحد منهم من عبوديته، وأحقهم بالمحبة أطوعهم له، وأحقهم من أهل طاعته بالفضيلة أنفعهم لجماعة المسلمين)(٣).

وهذه التربية لم تنته عند ذلك، بل إنها أزالت ما بينهم من طبقية وظلم وتقسيم للشعوب، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾(٤)، والمعنى: "كلكم في الانتساب إلى أب واحد، بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام، وشبههم في نقصانهم بالكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب، ولكن بالتقوى)(٥)، قال ابن تيمية:(ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحداً بنسبه، ولا يذم أحدا بنسبه، وإنما يمدح الإيمان والتقوى ويذم بالكفر والفسوق والعصيان)(٦)، ومما يوضح هذه التربية التي تلقاها المؤمنون هو ما قاله مربي هذه الأمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن

---

(١) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٥٦٨٠، (٢٢٤٢/٥)، وبنحوه مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٨٥، (١٩٩٩/٤).
(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٣٤٣/٦).
(٣) الشافعي، **الأم**، (٢٠٧/٦).
(٤) سورة الحجرات:١٣
(٥) الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: على محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة: لبنان، الطبعة الثانية، (٣٦٤/٢)، وابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (١٢٩/٣).
(٦) ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة: بيروت، (١٢٩/٢).

يحقر أخاه، المسلم كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه))(١)، هذه هي التربية الإيمانية الحقيقة التي سدت كل ما من شأنه أن ينتج عنه فرقة، فعلى المسلم أن يبتعد عن كل مسببات الخصومة، والتي أخطرها الظلم، فمن تربية المؤمنين في الابتعاد والتحذير من الظلم، ما جاء في الحديث القدسي:((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا))(٢)، إن نداء الله للعباد في حديثه يشعر بجمال هذه التربية الإيمانية التي يربي بها عباده، فقد ناداهم باسم العبودية التي نسبها إليه، وهذا من لطف الخطاب، فليحذر العباد من الظلم، فقد قال أحد السلف:(بئس الزاد إلى المعاد: العدوان على العباد)(٣).

وجاءت هذه التربية الإيمانية لتزيل ما في النفوس من تمسك بالعادات والتقاليد المذمومة والعصبية الفاحشة التي وقفت أمام دعوة القرآن، قال تعالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٤)، وقد بين القرآن الكريم أن هذه االعصبيات البشعة لا تنفع المؤمن ولا تزكيه، بل قد تكون عليه وزر يوم القيامة إذا تعدى حدود الله فيها، قال تعالى ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ

(١) مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٦٤، (١٩٨٦/٤).
(٢) المصدر السابق، حديث رقم: ٢٥٧٧، (١٩٩٤/٤).
(٣) الدينوري، أبوبكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي ٣٣٣هـ، **المجالسة وجواهر العلم**، دار ابن حزم: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، (ص٤٠٤).
(٤) سورة المجادلة:٢٢

وَحۡدَهُۥٓ﴾[١]، لقد شكلت هذه الآيات "حلقة في سلسلة التربية الإيمانية والتنظيم الاجتماعي والدولة في المجتمع المدني"[٢]، فالقرآن الكريم جاء "بالتربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه، الذي يوضح للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكيمة في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة، ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته"[٣].

فالإسلام يربي المسلم على المنهج التربوي الأيماني؛ لتقويم الخلق والسلوك، ويربي الأمة على التماسك والرفعة وسمو النفس، وتهذيب الوجدان، إنها التربية التي تجعل المسلم يقف عند حدود الله بعزم وثبات، حتى يجعله مجتمعاً واحداً كالبنيان، سعيداً ومتعاوناً، متحاباً ومتآلفاً، ليتعالى بذلك على الأنانية المقيتة التي تأسرهم بحب النفس، وظلم واحتقار الغير.

ويقترح الباحث في هذا العلاج الآتي:-

١-ترسيخ التربية الروحية الإيمانية في المناهج التعليمية، وربط الناس بالقدوات الصالحة، والاهتمام بالجانب الخلقي في الإسلام.

٢-تفعيل دور الوعي والمساجد من خلال نشر السلوكيات الإسلامية.

٣-نشر كتيبات ارشادية تبين للناس فضل التآلف والتعاون وتحارب مظاهر العصبية والطبقية والعادات الذمية في كافة شرائح المجتمع، وتوزع على القطاعات العامة والخاصة، وخصوصاً قطاعات المدارس والمستشفيات، ودور الإصلاح والتأهيل.

٤-الحد من العصبيات القبلية من خلال محاربة مظاهرها، وسرعة تطبيق العقوبات العادلة على المعتدين؛ حتى لا يسمح بإشعال هذه العصبية؛ نتيجة التقاعس والتأخير في تنفيذ العقوبات.

---

(١) سورة الممتحنة:٣-٤

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٥٣٦/٦).

(٣) الشنقيطي، **أضواء البيان**، (٥٠٥/٣).

المطلب الثاني: تنمية الوازع الديني

إن القرآن الكريم حياة، تحيا به القلوب الميتة، كما يحيي الماء الأرض الهامدة(١)، ويحرك المشاعر والوجدان، قال تعالى ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾(٢)، أي: "لو أن هذا الجبل في غلظته وقساوته، فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع، وتصدع من خوف الله -عز وجل-، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم، وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه!"(٣)، وهذا المثال في الآية "أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تخشعه عند تلاوته، وقلة تدبره فيه"(٤)، وإنه -أي القرآن- ليعلم الناس الأدب كما يعلمهم الإيمان، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:(من لم يؤدبه الشرع، لا أدبه الله)(٥)، وهذا القرآن ينمي وازع المؤمنين، ويوعظهم أحسن وعظ، كما أخبر تعالى عنه ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾(٦)، وإن الوعظ وتنمية الوازع الديني "يُوجب خشية الله والحذر منه، وهي لا تنفع إلا المؤمن الذي يخاف الله ويرجوه"(٧)، كما قال تعالى ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾(٨).

والقرآن الكريم ينمي وازع المؤمنين من أجل أن يخافوا الله وعذابه فيتقوه، من خلال اتباع أوامره وترك نواهيه، وليتداركوا النقص الذي أصابهم، من ذنب أو ظلم ونحوهما، ومن أعظم ما ينمي به القرآن وازع المؤمنين هو تذكيرهم بالموت واليوم الآخر، وما

---

(١) الهامدة: هي اليابسة، ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١١٨/١٧).
(٢) سورة الحشر:٢١
(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٤٤/٤).
(٤) أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٣٣/٨).
(٥) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (ص٥٤١).
(٦) سورة آل عمران:١٣٨
(٧) ينظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، (٤٤٧/١).
(٨) سورة ق:٤٥

يحصل فيه من جزاء، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾(١)، هذه الآية سبب عظيم في تنمية الوازع الديني للمسلم، حيث إن الله تعالى "يأمر عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان، ويقتضيه من لزوم تقواه، سراً وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به، من أوامره وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم، وقبلة قلوبهم، واهتموا للمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق، التي توقفهم عن السير، أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضاً أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه، ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد"(٢)، فهذه الآية أعطت درساً للمؤمنين، وأوعظتهم؛ ليرتفع الوازع الديني لديهم، فيسهل عليهم قبول الأحكام والأوامر، والكف عن النواهي، وأعطتهم درساً في محاسبة النفس على تقصيرها، فإذا أصبح هناك دافع إيماني كان هناك تداركاً للزلل، وتسارعاً في التوبة إلى الله، واصلاحاً لما حصل من خطأ، فإن كان الخلل في الظلم تداركه بالعدل، وإن كان في نزاع وفرقة بين إخوانه تداركه بالمصالحة، وإن كان الخلل في جاهلية وعصبية تداركه بالنبذ والترك، وهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حرص أشد الحرص على تنمية وازع المؤمنين، مما يدل على قوة أثرها الإيجابي على النفس، حيث يقول:((أكثروا ذكر هاذم اللذات، -يعني: الموت-))(٣)، وذلك أن في ذكر الموت والقبر أي:

---

(١) سورة الحشر:١٨-٢٠

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٨٥٣)،

(٣) أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ٧٩١٢، (٢٩٢/٢)، والترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، حديث رقم: ٢٣٠٧، (٥٥٣/٤)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٤٢٨٥، (١٤٢٢/٢)، والحاكم، **والمستدرك على الصحيحين**، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، حديث رقم: ٧٩٠٩، (٣٥٧/٤)، والطبراني، **المعجم الأوسط**، حديث رقم: ٦٩١، (٢١٣/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناد حسن، (١١٧/٤)، وقال النووي في المجموع: أسانيد صحيحة كلها على شرط البخاري ومسلم، (٩٥/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناد حسن، (٣٠٨/١٠)، وصححه الألباني، في مشكاة المصابيح، (٥٠٤/١).

"أحواله وأهواله يقربكم من الجنة؛ لأن ذلك من أعظم المواعظ، وأشد الزواجر عن المعاصي، وأبعث على فعل الطاعات، ولا يقرب إلى الجنة إلا ذلك"(١).

وإن في تنمية الوازع الديني أيضاً إصلاحاً كبيراً لسائر أمراض المجتمع، وذلك أن المؤمن قد يصيبه تقصير في شيء من السلوك الاجتماعي ونحوه، الذي يوقعه في الفسق، فيحتاج إلى ما ينمي وازعه الديني حتى يحيا قلبه، ويوقظ نفسه من الغفلة؛ "لأن الفاسق ضعيف الوازع الديني في نفسه، وضعف الوازع يجرئه على الاستخفاف بالمحظور، مما يجعله يضر نفسه، ويضر الغير"(٢)، ومن أعظم ما ينمي الوازع الديني ما قاله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾(٣)، "فأمر بالتقوى، وهي: أن يقي المخاطبون أنفسهم من نار جهنم، بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه"(٤)، وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾(٥)، فما أعظم هذه الآية، وما أوعظها!، "فإن هذا اليوم ليس عِظَمُه مما يوصف، ولا هوله مما يكيف، ولا يجري على مقدار مما يعلم في الدنيا ويعرف، بل لا يعلم مقدار عظمه ولا هوله إلا الله تعالى، وما ظنك بيوم عبر الله -تبارك وتعالى- عن بعض ما يكون فيه بشيء عظيم!"(٦)، وفائدة هذا التوصيف والتذكير والهول: هو "التحريض على التأهب له، والاستعداد بالعمل الصالح"(٧)، "ولينظروا إلى تلك الصفة والعظمة، ببصائرهم، ويتصورها بعقولهم، حتى يبقوا على أنفسهم، ويرحموها من شدائد

---

(١) المناوي، **فيض القدير**، (٥٦٤/٣).
(٢) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٣١/٢٦).
(٣) سورة التحريم:٦
(٤) البيهقي، **شعب الإيمان**، (٤٦٧/١)، وابن الجوزي، **زاد المسير**، (٣١٢/٨).
(٥) سورة الحج:١-٢
(٦) الإشبيلي، أبومحمد عبدالحق بن عبدالرحمن ٥٨١هـ، **العاقبة في ذكر الموت**، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى: الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، (ص٢٤٩).
(٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٤/١٢).

ذلك اليوم، بامتثال ما أمرهم به ربهم، من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفزاع"(١)، والقرآن الكريم جاء ليصلح ولينمي وازع المؤمنين من جميع المظالم وسوء الأخلاق، وما يكون فيه خيانة أو ضرر على المجتمع بأي شكل من الأشكال، قال تعالى ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾(٢)، الغول: هو الخيانة(٣)، "قد عملت هذه الآية القرآنية الكريمة عملها في تربية الجماعة المسلمة، حتى أتت بالعجب العجاب، وحتى أنشأت مجموعة من الناس، تتمثل فيهم الأمانة والورع والتحرج من الغلول، في أية صورة من صوره"(٤).

وهذه الآيات تحيي الضمير الذي هو ثمرة الوازع الديني، والذي يعتبر "مدرسة خلقية، وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية، من صرامة إرادة وقوة نفس، ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق، حتى إذا وقع العبد بذنب في حين من الأحيان، وسقط سقطة، من حيث لا تراقبه عين، ولا تتناوله يد القانون، تحول هذا الإيمان إلى نفس لوامة عنيفة، ووخز لاذع للضمير، وخيال مروع، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها، مطمئناً مرتاحاً، تفادياً من سخط الله، وعقوبة الآخرة"(٥)، هكذا القرآن ينمي الوازع الديني، وما هذا إلا "لكمال تأثيره في القلوب، حتى أصبح أعظم المواعظ على الإطلاق"(٦).

ويقترح الباحث التالي:-

١-حث الناس على المنابر والتلفاز والصحف وسائر الوسائل الإعلامية والاتصال الحديثة على ترك العصبيات، وعلى ترك التمسك بالعادات المذمومة.

---

(١) ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل**، (٧٣٠/١).
(٢) سورة آل عمران:١٦١
(٣) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (٣٦٧/١).
(٤) ينظر: الشحود، علي بن نايف، **خصائص المنهج الإسلامي في القرآن الكريم**، لا يوجد طبعة ولا تاريخ، (ص٦٣).
(٥) ينظر: الندوي، أبوالحسن علي بن عبدالحي ١٤٢٠هـ، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، مكتبة الإيمان: المنصورة-مصر، (ص٧٨).
(٦) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٨٥٣).

٢-بيان الطرق التي استخدمها القرآن الكريم في استبدال هذه العصبيات والعادات بالإخوة والتراحم والتآلف.

٣-تنفيذ العقوبات في حق كل من حاول تفريق المجتمع أو دعا إلى أي من هذه الجاهلية من عصبية ونحوها.

٤-عدم السماح بإقامة الحفلات والمهرجانات القبلية التي تدعو إلى العصبية وتحرض عليها.

المطلب الثالث: التعاون

القرآن الكريم حث المجتمع المسلم على التماسك والتعاون فيما بينهم؛ حتى يزيلوا ما يقف أمامهم من عقبات، والتي من أهمها عقبات الجاهلية التي تفرق ولا تجمع، فلابد من التعاون في إزالتها، فهذا من أعظم البر، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾(١)، وفي هذه الآية "يأمر تعالى عباده بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم"(٢)، وقد قرن الله تعالى التعاون بالتقوى؛ "لأن في التقوى رضى الله تعالى، وفي البر رضى الناس، ومن جمع بين رضى الله تعالى، ورضا الناس، قد تمت سعادته، وعمت نعمته"(٣)، والتعاون على الأثم هو" كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله أو قائله، والعدوان: التعدي على الناس بما فيه ظلم، فلا يبقى نوع من أنواع الموجبات للإثم، ولا نوع من أنواع الظلم للناس الذين من جملتهم النفس إلا وهو داخل تحت هذا النهي، لصدق هذين النوعين على كل ما يوجد فيه معناهما"(٤)، "وليس للناس أن يعين بعضهم بعضاً على العدوان، حتى إذا تعدى واحد منهم على الآخر تعدى ذلك الآخر عليه، لكن الواجب أن يعين بعضهم بعضاً على ما فيه البر والتقوى"(٥).

والتعاون بين المسلمين أمر ضروري، حيث إن الإصلاح لا يتم إلا بالتعاون، الذي هو ثمرة الأخوة، "حتى يستعينوا على أمور دنياهم، وقضاء حوائجهم، وصد الأعداء، وإذا لم يحصل هذا التعاون، فلن يحصل للإنسان قوت ولا غذاء، ولا تتم حياته، ويعاجله الهلاك، ويبطل نوع البشر"(٦).

---

(١) سورة المائدة: ٢

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٧/٢).

(٣) ينظر: الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص١٩٦).

(٤) الشوكاني، **فتح القدير**، (٧/٢).

(٥) الرازي، **التفسير الكبير**، (١٠٣/١١).

(٦) ينظر: ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (ص٤١-٤٣).

وقد بيت الشريعة صور التعاون بين المؤمنين، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(١)، إن هذا الحديث صريح "في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد، في غير إثم ولا مكروه"(٢)، وهذا الإمام الطبري يوضح معنى هذا التعاون بين الإخوة حيث يقول:(الأخ فى الله كالذي وصف به رسول الله المؤمن للمؤمن وأن كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة الجسد الواحد؛ لأن ماسر أحدهما سر الآخر وما ساء أحدهما ساء الآخر، وأن كل واحد منهما عون لصاحبه فى أمر الدنيا والآخرة، كالبنيان يشد بعضه بعضا، و كالمرآة له في توقيفه إياه على عيوبه، ونصيحته له فى المشد والمغيب، وتعريفه إياه من خطة، ومافيه صلاحه وما يخفى عليه)(٣)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك أصابعه))(٤)، وفي هذا الحديث "دعوة إلى الوحدة الجماعية بين أفراد المسلمين، وفيه بيان للفائدة العظيمة التي تجنيها الجماعة من وحدتها وتماسكها، إنها القوة التي تظفر بها الجماعة، حينما يترابط أفرادها، ويشد بعضهم أزر بعض، إنهم بذلك يكونون شيئاً يشبه البنيان، ألسنا نرى القصر العظيم وما فيه من أبراج عالية مؤلفة من حجارة صغيرة، جُمع بعضها إلى بعض، وعُقدت وفق نظام خاص يمنحها مجتمعة قوة عجيبة ترتقي حتى تنطح السحاب؟!"(٥)، والتعاون لابد له من اعتصام بكتاب الله تعالى حتى يضيء الطريق، قال تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾(٦)، هذه الآية جاءت بأمر من الله تعالى "بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم، يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل

(١) مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٨٦، (١٩٩٩/٤).

(٢) النووي، **المنهاج(شرح مسلم)**، (١٣٩/١٦).

(٣) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (٢٣٧/٩)، نقل قول الطبري، ولم أجده في كتب الطبري، ولعله نقله بالمعنى.

(٤) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٤٦٧، (١٨٢/١)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٨٥، (١٩٩٩/٤).

(٥) حبنكة، عبدالرحمن حسن الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم: دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، (١٧٤/٢).

(٦) سورة آل عمران:١٠٣

لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام"(١).

ومن صور التعاون أيضاً التي أمرت بها الشريعة، هو ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره))(٢)، هذه هي التربية الإسلامية والمنهج الرباني الذي يجعل المجتمع كالرجل الواحد، لا تهزه الرياح، ولا ترميه الأمواج، إنه منهج يربط على القلوب، ويعزز القيم والأخلاق، إنه منهج جاء من أجل "إخراج البشرية من حمية الجاهلية، ونعرة العصبية، وضغط المشاعر والانفعالات الشخصية والعائلية والعشائرية في مجال التعامل مع الأصدقاء والأعداء، وجاء ليروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القوية، والاعتياد لهذا السلوك الكريم، إنه منهج جاء ليزيل التعاون على الإثم والعدوان، ويستبدله بالتعاون على البر والتقوى"(٣)، حقاً إنها رحمة وشفقة على الخلق، التي تعد "أصل عظيم في الدين، وقاعدة متينة"(٤).

وهذا النظام الاجتماعي الإسلامي دعا الخلق إلى أمهات الفضائل، وإلى كل ما يجمعهم ويقويهم، إنه دعا إلى "التوادد والتراحم والتعاطف بين أفراده، والتعاون على الخير، إنه التعاون الذي يشمل الأسرة والجيران والأصحاب والرفيق في السفر والمنقطع والغريب، واليتيم والمسكين وكل ذي حاجة في المجتمع الإسلامي، والتعاون على إزالة منكر أو فساد أو ظلم أو صد عدوان، وهذا كله من التعاون على البر، ولاشك أن شيوع التعاون بين أفراد المجتمع سيقضي على عوامل الأثرة، والجفاء، والحقد، والقطيعة، والبغضاء، ويعمر القلوب بالحب والود والشفقة، مما يجعل الحياة طيبة في هذا المجتمع الطيب؛ لأنها تقوم على الود والرحمة لا على البغض والقسوة"(٥)، فعلى المسلمين أن يعالجوا أمراضهم من خلال القرآن الكريم، حتى ينهضوا ويجتمعوا، ويتآخوا، قال ابن

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص١٤٢).
(٢) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٥٥٢، (٢٥٥٠/٦).
(٣) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٨٣٩/٢).
(٤) النيسابوري، **تفسير غرائب القرآن**، (٥٦٦/٤).
(٥) ينظر: زيدان، **أصول الدعوة**، (ص١٠٢).

الجوزي:(اعلم أن المعنى الجامع بين المسلمين الإسلام، فقد اكتسبوا به أخوة أصلية، ووجب عليهم بذلك حقوق لبعضهم على بعض)(١).

ويقترح الباحث ما يلي:-

١-تفعيل دور إمام مسجد الحي من خلال جمع أهل لاالمسجد في لقاء أسبوعي تعريفي، ويرسخ الإمام بينهم التعاون والتآلف، وحل الخلافات بينهم.

٢-محاربة مظاهر الخلاف بين الناس، ونبذ العصبيات السائدة بينهم.

---

(١) ابن الجوزي، **التبصرة**، (٢/٢٩٤).

المطلب الرابع: العدل بين أفراد المجتمع

إن القرآن الكريم لم ينزل على الخلق إلا من أجل إقامة العدل، فهو أهم ركيزة من ركائز المجتمع المسلم، قال تعالى ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾(١)، والميزان هو العدل(٢)، وقد أخبر الله -جل وعلا- أنه يأمر بإقامة العدل واجتناب الظلم في سائر الأمور، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾(٣)، قال ابن مسعود:(إن هذه أجمع آية في القرآن لخير وشر)(٤)، وقال الرازي:(جمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً)(٥).

والعدل هو قوام الناس، وفيه سلامة من الشر، ودوام للملك، وبه تصلح الدنيا، وتتآلف القلوب، وتعمر البلاد، وينعم العباد، ويسود الأمن والاستقرار، فمن أجل هذا أمرت الشريعة المسلمين أن يسلكوا طريق العدل، ولا يحيدوا عنه من أجل قريب أو عصبية، أو حزبية، وألا يظلم بعضهم بعضاً بكل ما يؤدي إلى بغض وخصومة ونزاع وفرقة، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾(٦)، قال ابن كثير:(يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي: بالعدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم،

---

(١) سورة الحديد:٢٥

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٢٣٦/٢٧).

(٣) سورة النحل:٩٠

(٤) الطبراني، **المعجم الكبير**، حديث رقم: ٨٦٥٨، (١٣٢/٩).

(٥) الرازي، **التفسير الكبير**، (٨١/٢٠).

(٦) سورة النساء:١٣٥

ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين، متساعدين، متعاضدين، متناصرين"(١)، "فهذه الآية تؤدب المسلمين بما يجب أن يكونوا عليه، من إقامة العدل فيما بينهم، في جميع الأمور، ومع كل أحد من الناس، غنياً أو فقيراً"(٢)، وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾(٣)، أي: "ولا يكسبنكم بغض قوم وعداوتهم لكم، أو بغضكم لهم جريمة ترك العدل فيهم، بل يجب أن تعدلوا فيمن تبغضون، ومن يعاديكم، كما يجب أن تعدلوا فيمن يحبكم وفيمن توالون على سواء، فالعدل واجب لذاته، لا يختلف باختلاف من يحكم بينهم، ومن يعاملون"(٤)، "فالعدل واجب في جميع الأمور، وهو من حسن الخلق، لما فيها من الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام"(٥)، فلا تجد ظالماً إلا وهو سيء الخلق؛ لأنه أهمل الحقوق ولم يراعيها، فالظلم يجمع الرذائل كما أن "العدالة تجمع الفضائل كلها"(٦).

وإن العدل في حياة الإنسان يكون أولاً مع نفسه، من خلال تأدية ما أوجبه الله عليه من الحقوق، والوقوف عند حدود الله، وأما العدل مع الناس فيختلف باختلاف الحال، وهو على أقسام:-

القسم الأول: عدل الإنسان فيمن دونه، كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعليه اتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في الميسور.

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٥٦٦/١).

(٢) ينظر، الطبري، **جامع البيان**، (٣٢١/٥)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٤١٣/٥)، والآلوسي، **روح المعاني**، (١٦٩/٥).

(٣) سورة المائدة:٨

(٤) رضا، محمد رشيد، **المتفرنجون والإصلاح الإسلامي**، مقالة في مجلة المنار، جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ، مجلد ٢١، الجزء ٢، (ص٧٣).

(٥) ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (١٠٣/٤)، وابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني ٧٢٨هـ، **جامع المسائل**، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد: السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٣٩/٦).

(٦) مسكويه، أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب ٤٢١هـ، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، (ص١٤١).

والقسم الثاني: عدل الإنسان مع من فوقه، كالرعية مع سلطانها، والصحابة مع رئيسها، فعليه أن يخلص الطاعة بالمعروف، ويبذل النصرة، ويصدق الولاء.

القسم الثالث: عدل الإنسان مع أكفائه، من أهل وإخوة وسائر الأطياف، فعليه أن يترك الاستطالة، ويجانب الإدلال، ويكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال أعطف، وكف الأذى أنصف"(١).

وإذا التزم المسلم "بالعدل مع نفسه وأهله وعشيرته وأصدقائه، فقد أحرز تمام الفضيلة، وغاية الجود، وإن مال عنه فقد جار، وأصبح أشر الناس؛ لأن العلم بأحد الضدين هو العلم بالضد الآخر، فخير الناس العادل وشرهم الجائر"(٢)، وهنيئاً لأهل العدل بقول المولى -جل وعلا- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾(٣)، "فأي شرف أشرف من محبة الله تعالى لأهل العدل، ولذلك كان العدل بين الناس من أفضل أعمال البر، وأعلى درجات الأجر"(٤)، "وهو من الأعمال الزاكية عند الله، المرجو قبولها"(٥).

وإن أكثر ما تعانيه المجتمعات المسلمة اليوم، هو ظلم بعضها لبعض، فنشأت بينها الجاهلية من حمية وعصبية وطبقية، وتباغض وتحاسد ونزاع وخلاف، وما هذا إلا بسبب تركها لشريعة ربها، وما دعت إليه من إصلاح، فالناس قبل الإسلام كانوا يعيشون في أشد الظلم والتعدي، وبخس الحقوق، وكانوا في عداوة شنيعة، وعصبية قبيحة، وجاهلية عمياء، فلما أشرق نور الإسلام اجتمعوا عليه، وزالت بينهم المظالم، وسادهم العدل، وتصافحت آياديهم، وتآلفت قلوبهم، وتقاربت أجسادهم، وقد بين الله تعالى امتنانه عليهم بهذا بقوله تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ

---

(١) ينظر: الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص١٥٤-١٥٦)
(٢) ينظر: مسكويه، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، (ص١٤٢-١٤٥).
(٣) سورة الحجرات:٩
(٤) ينظر: اليعمري، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ٧٩٩هـ، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ، (١١/١).
(٥) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (٩٩/٨).

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾[(١)]، إنها شريعة العدل، التي جمعت الغني والفقير، والأبيض والأسود، والكبير والصغير، فمن ابتعد عن هذه الشريعة الصالحة والعادلة ابتلي بالفساد والظلم والجاهلية.

ويقترح الباحث الآتي:-

١-عدم حجب الحاكم عن الشعب، وفتح أبوابه للناس كافة.

٢-إنشاء هيئات ومؤسسات مشرفة على مظالم الناس، يقوم عليها أناس معروفين بالأمانة والنزاهة والعدل.

٣-مراقبة المسؤلين والمحاكم الشرعية من أي قرار جائر يؤدي إلى ظلم الناس أو بخس حقوقهم أو تفريقهم.

٤-توزيع الوظائف الرئاسية والرتب على كافة شرائح المجتمع دون تفريق أو تمييز.

---

(١) سورة آل عمران:١٠٣

المبحث الثالث: المعوقات الأسرية*

المطلب الأول: الطلاق

لقد حرص الدين الإسلامي على تقوية روابط المجتمع، وأول ما بدأ بالأسرة؛ وذلك أن إصلاح المجتمع لا يتم إلا بصلاح الأسرة، وحتى يُبنى وينهض هذا المجتمع فقد شرع الله الزواج، ورغب فيه، قال تعالى ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾(١)، وجعل بين الزوجين المودة والرحمة والسكينة؛ لتكوين الأسرة وتربية الأولاد، ويكون كل منهما سكناً لصاحبه، وراحة لقلبه، "وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها، ولا يقوم مقامها، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوين الطفل وتربيته"(٢)، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(٣)، فالأسرة تشكل نقطة البداية في عمارة الأرض، ولذلك أول ما خلق الله من البشر كان آدم -عليه السلام- ومعه زوجه حواء، ثم اجتمعا على المودة والرحمة، حتى خرجت من صلبهم أمم كثيرة، فباجتماع الزوجين تتقوى الروابط، ويجتمع الشمل، وتخرج الذرية، "فقد جعل الله المودة والرحمة سببين يحصل بهما الاستمتاع واللذة والسكن، والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، ولم تكد تجتمع هذه الأسباب إلا في الزوجين"(٤)، "فنظام الأسرة في الإسلام نظام طبيعي فطري، منبثق من أصل تكوين الإنسان"(٥)، وللزواج حكم عظيمة: منها "المحافظة على الأنساب، وسلامة

---

*المعوقات الأسرية جزء من الإجتماعية، ولكن نظراً لأهميتها، فقد أبرزت بدراسة مستقلة.

(١) سورة النور:٣٢

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٣٥/١).

(٣) سورة الروم:٢١

(٤) ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٦٣٩).

(٥) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٣٥/١).

المجتمع من الانحلال الأخلاقي، وتعاون الزوجين على مسؤلية الأسرة، وسلامة المجتمع من الأمراض والآفات، والسكن الروحي والنفسي، وإنجاب الذرية الصالحة"(١).

واهتم القرآن الكريم في العلاقة الزوجية التي هي عصب الأسرة؛ ليتحقق بها الاستقرار في الأسرة، ومن ثم في المجتمع، ولذلك فإن الله تعالى جعل الطلاق علاجاً، ولكن جعله آخر المراتب والطرق التي يتم الإصلاح بها، من باب (آخر الدواء الكي)(٢)، ومن أجل حرص الإسلام على استمرار الحياة الزوجية، وعدم تفريق الأسرة وتمزيقها في الطلاق، فقد قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾(٣)، فهذه الآية تشكل وثيقة الصلة بين الزوجين، فهي قائمة على العشرة بالمعروف، والصبر على ما قد يبدر من الطرفين من تقصير ونحوه، وكما قال تعالى ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾(٤)، ولهذا قد جعلت الشريعة ثمة وسائل يسير عليها المسلم قبل الزواج وبعده، "**فمن الوسائل التي قبل الزواج:** اختيار الزوجة أو الزوج الصالحين، وملاحظة الجوانب النفسية والاجتماعية والبدنية للزوجين، والبحث عن طبائع الزوجين من حيث المعاشرة والإدارة، **ومن الوسائل التي بعد الزواج:** صناعة البيت المسلم من خلال إقامته على الطاعة والصلاح، والمشاور المستمرة والمناصحة، ومحاولة إرضاء الآخر بكل الوسائل المشروعة"(٥).

والطلاق معوق مؤثر على المجتمع بشكل عام وعلى الأسرة بشكل خاص؛ لما ينتج عنه من تمزق وفرقة وتشتت بين أفراد الأسرة، وما له من أثر سلبي على الأبناء وما يكتسبونه من نقص وفراغ ووحدة، وقد يساهم ذلك إلى أن يجعل الأبناء يسلكون الطرق غير

---

(١) ينظر: علوان، عبدالله ناصر، **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام: مصر، الطبعة الحادية والعشرون، ١٤١٢هـ، (٥٦٥/٢-٥٦٦).

(٢) مقولة كانت تقولها العرب، العسكري، أبوهلال الحسن بن عبدالله بن مهران ٣٨٢هـ، **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، دار الفكر: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، (٩٧/١).

(٣) سورة النساء:١٩

(٤) سورة البقرة:٢٣٧

(٥) ينظر: داغي، أ.د. علي محي الدين قره، **وسائل الوقاية من الالتجاء إلى الطلاق في ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة**، المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، الدورة الرابعة عشرة، محرم ١٤٢٦هـ، (ص٥).

المرضية كاتباع الجرائم، ويصبحوا فريسة لأصحاب السوء، وقد يدخلهم ذلك في ارتكاب المحرمات كالمخدرات ونحوها، فهذا المعوق أمره خطير، فينبغي للمسلم ألا يتسرع فيه بمجرد ما يرى نشوزاً، أو بمجرد طلب المرأة للطلاق، فالمرأة تؤثر عليها عواطفها، فهي ناقصة عقل ودين كما أخبر بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-(١)، ولهذا حد الله -جل وعلا- من هذا المعوق بأن جعل القوامة بيد الرجل، ولم يجعلها بيد المرأة، وإلا لكثر الطلاق وتشردت الأسر، فالرجل عليه أن يكون حكيماً صبوراً في تصرفاته، وقد حرمت الشريعة أن تطلب المرأة الطلاق دون وجود مبرر لذلك، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة))(٢)، فعليهما أن يلجآ للوسائل الأخرى، فإن الإسلام عمل على حل الخلافات الزوجية، فبعض الأزواج يبدأ الأمر مع زوجته عندما يكون ثمة خلاف بينهما أو نشوزاً بالضرب المبرح، وقد يقوم بظلم الزوجة بشتى أنواع المظالم، وهذا ظلم واعتداء، فقد بين الله في كتابه كيف تستخدم الوسائل، وبينت الشريعة كيفيتها، قال تعالى ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾(٣)، "والنشوز هو معصية المرأة لزوجها"(٤)، فالقرآن أرشد إلى ثلاث مراتب في التعامل مع الزوجة(٥)، فإن أطاعت في إحداها وجب عدم الاعتداء وإلا لكان بغي وعدوان، قال أبوحيان:(قال الجمهور: الوعظ عند خوف النشوز، والضرب عند ظهوره)(٦)، "فدلالة الآية أن الله أمر بوعظ الزوجة أولاً، ثم إن لم ينجح يهجرها في المضجع، فإن لم ينجح يكون الضرب، بشرط أن لا يجرحها، ولا يكسر لها عظماً، ويجتنب

---

(١) ينظر الحديث: متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ١٣٩٣، (٥٣١/٢)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٧٩، (٨٦/١).

(٢) أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٢٢٢٦، (٢٦٨/٢)، والترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، حديث رقم: ١١٨٧، (٤٩٣/٣) وقال: حديث حسن، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ٢٨٠٩، (٢١٨/٢)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في إرواء الغليل، (١٠٠/٧).

(٣) سورة النساء:٣٤

(٤) ينظر: الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (ص٦٢٣).

(٥) سيأتي ذكرها في الفصل التالي عند وسائل العلاج.

(٦) أبوحيان، **البحر المحيط**، (٢٥٢/٣).

الوجه"(١)، فعلى أمثال هؤلاء الأزواج ألا يسبق أحدهم الوسائل الأولية مباشرة بالضرب، وألا يكون ضربه مبرحاً، "وليعلم الزوج أن التخلي عن الضرب صفة الأخيار"(٢).

وأما ما يخص نشوز الزوج فلم يتركه القرآن الكريم فقد الله تعالى ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾(٣)، فالنشوز مذكور في كتاب الله -مشكلة وعلاجاً-، فالقرآن جعل الطلاق علاجاً لمن استعصت عليه جميع طرق العلاج الأخرى، وقد يستعمل بعض الأزواج الطلاق استخداماً خاطئاً؛ انتقاماً من الزوجة بالإساءة إليها، فقد نهى القرآ الكريم "أن يتخذ الزوج الطلاق وسيلة للضرر؛ ليفسد على المرأة سمعتها، فيطلقها ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها؛ حتى لا تنتهي عدتها إلا بعد فترة تسوء فيها سمعتها، وصحتها النفسية"(٤)، قال تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾(٥).

وهناك مظالم موقعة في الطلاق ذكرها القرآن الكريم، ومن هذه المظالم التي يقع فيها بعض الأزواج:- استخدام أشد أنواع العنف على المرأة لتطلب الطلاق ليسترد منها المهر، وقد قال تعالى -محذراً من ذلك- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، (٥٣٩/١).

(٢) ينظر: ياسين، يونس محمود صادق، **الإصلاح الأسري من منظور قرآني**، رسالة ماجستير، ٢٠٠٦م، جامعة النجاح الوطنية: نابلس-فلسطين، (ص٢٠٤).

(٣) سورة النساء:١٢٨

(٤) يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٣٦١).

(٥) سورة البقرة:٢٣١

يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْءًا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾[١]، "أي: لا يحل لكم أيها الرجال أن تأخذوا من نسائكم إذا أنتم أردتم طلاقهن بطلاقكم وفراقكم إياهن شيئاً مما أعطيتموهن من الصداق وسقتم إليهن، بل الواجب عليكم تسريحهن بإحسان، وذلك إيفاؤهن حقوقهن من الصداق والمتعة وغير ذلك مما يجب لهن عليكم"[٢]، ومن المظالم أيضاً إمساك المرأة وعدم طلاقها لإضرارها، وقد قال تعالى -ناهياً عن ذلك ومحذراً- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾[٣]، فهذا "أمرٌ من الله -عز وجل- للرجال، إذا طلق أحدهم المرأة طلاقاً له عليها فيه رجعة، أن يحسن في أمرها إذا انقضت عدتها ولم يبق منها إلا مقدار ما يمكنه فيه رجعتها، فإما أن يمسكها أي: يرتجعها إلى عصمة نكاحه بمعروف، وهو أن يشهد على رجعتها وينوي عشرتها بالمعروف، أو يسرحها أي: يتركها حتى تنقضي عدتها ويخرجها من منزله بالتي هي أحسن، من غير شقاق ولا مخاصمة ولا تقابح"[٤]، ومن المظالم أيضاً البغي على المرأة بعد طواعيتها، قال تعالى ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[٥]، فهناك فئة من الناس يسيء إلى زوجته بعد امتثالها لأمره، كإساءته إليها بالشتائم القبيحة، أو الاستمرار في الاعتداء والضرب، وهذا مخالف للنص القرآني، ووقوع في المحذور الذي ذكره الله -جل وعلا- في الآية، من عدم البغي عليها، "فلابد أن يكون هذا العلاج سبباً للانقياد والطاعة، ولا يكون ذريعة للفراق والتباين بين الزوجين كما هو مشاهد

---

(١) سورة البقرة:٢٢٩
(٢) الطبري، **جامع البيان**، (٤٦٠/٢).
(٣) سورة البقرة:٢٣١
(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢٨٢/١).
(٥) سورة النساء:٣٤

"(١)، ومن المظالم أيضاً عضل المرأة عن النكاح بعد تراضي الزوجين، قال تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾(٢)، "ففي هذه الآية يخاطب الله أولياء الزوجة، بأن لا يمنعن الزوجة إذا أرادت الرجوع إلى زوجها، طمعاً في مالها ورغبة في وراثتها، أو تضييقاً عليها، وتقصدون بذلك إضرارها، فاتعظوا بهذا واعملوا به، فهو أنفع لكم، وأطهر لكم من أدناس الآثام وأوضار الذنوب، فالله يعلم ما فيه صلاح أموركم من الأحكام والشرائع"(٣)، ومن المظالم أيضاً الظهار من المرأة(٤)، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾(٥)، "الظهار كان في الجاهلية، وذلك أن الرجل في الجاهلية إذا غضب من امرأته لأمر ما، قال لها: أنتِ عليّ كظهر أمي، فتحرم عليه، ولا تطلق منه، وتبقى هكذا معلقة، لا هي حل له فتقوم بينهما الصلات الزوجية، ولا هي مطلقة منه فتجد لها طريقاً آخر"(٦).

والشريعة قد أباحت الطلاق، إلا أنها نفرت منه، وجعلته أبغض الحلال، روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((أبغض الحلال إلى الله الطلاق))(٧)، فلابد على المسلم أن ألا يهون من أمر الطلاق، فبعض الأزواج يكثرون الهزل في الطلاق، والحلف لأي سبب كان -متساهلاً فيه-، وهذا أمر حرمته الشريعة، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه

---

(١) ينظر: زمان، **الظلم أنواعه وآثاره في القرآن الكريم**، (ص٢٣٨).
(٢) سورة البقرة:٢٣٢
(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٤٨٧/٢)، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٣٠/١).
(٤) ينظر: زمان، **الظلم أنواعه وآثاره في القرآن الكريم**، (ص٢٣٣-٢٤٢).
(٥) سورة المجادلة:٢-٣
(٦) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٥٠٥/٦).
(٧) أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٢١٧٨، (٢٥٥/٢)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٢٠١٨، (٦٥٠/١)، ضعفه الألباني في إرواء الغليل، (١٠٦/٧).

وسلم-:((ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة))(١)، فليحذر الزوج من الهزل، وكثرة الحلف؛ حتى لا يتندم ويتحسر على فعله.

ومن أجل الحرص على الحياة الزوجية، ومحاولة تحقيق الاستقرار فيها، فقد جعل القرآن الكريم الطلاق على ثلاث مراحل، ولم يجعله دفعة واحدة، يطلق ويرجع، وبعد الثالثة لا رجعة بينهما إلا أن تتزوج رجلاً آخر؛ "لأنه لو مرة واحدة فستنقطع العلاقة الزوجية إلى غير رجعة؛ وذلك لأن الرجل قد يطلق في حالة الغضب ثم يندم على تسرعه، ويريد أن يتدارك ما فرط منه، وقد يطلق لنفوره من زوجته أو بغضه منها، ثم يبدل الله هذا البغض حباً، فيود أن يعيدها إليه، وقد يطلقها لسوء عشرتها، فتذوق من مرارة الطلاق ما يقوم أخلاقها، ويصلح شأنها، فتود لو عادت إلى زوجها؛ لتستأنف معه حياة كريمة سعيدة، فإذا وجد السبيل إلى ردها اندفعت الحاجة، وزال عنه الضيق، وشعر بفضل الله تعالى عليه، وإنما جعل الشرع حق المراجعة مرتين؛ لأن فيهما الكفاية لتدارك ما فرط، فإذا طلقها الثالثة، كان دليلاً على استحكام الخلاف وفساد الحياة الزوجية بينهما، فما عليها إلا أن تقضي عدتها منه وتتزوج بغيره، فإذا فارقها الزوج الآخر وانقضت عدتها منه جاز لها أن تعود إلى الأول، وفي هذا حرص على إبقاء الزوجية من المشرع الحكيم جلت قدرته"(٢)، قال تعالى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٢١٩٤، (٢/٢٥٩)، والترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، حديث رقم: ١١٨٤، (٢/٤٩٠)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، (٦/٢٢٤).

(٢) ينظر: الداغستاني، د. مريم أحمد، **الآثار المترتبة على الطلاق في الشريعة الإسلامية**، شركة الأمل للطباعة: مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، (ص١٣-١٤).

(٣) سورة البقرة:٢٢٩-٢٣٠

وأمر الله تعالى في القرآن الكريم أن يشهد الشهود على ما يحصل من الزوج من إصدار للطلاق، حيث قال تعالى ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾(١)، "وحرصاً على هذه العلاقة الخاصة من جعلها ألعوبة بيد الزوج، كان المستحب أن يُشهد على التصرفات التي تنهي مثل هذه العلاقة الزوجية، وبالتالي يصبح المجتمع رقيباً على مثل هذا العمل، وهذا بدوره يدعو الزوج إلى عدم التسرع في اتخاذ مثل هذا القرار (الطلاق) إلا بعد مزيد من التروي والتأنّي"(٢)

وإن للطلاق أسباباً، لابد أن يعرفها المجتمع حتى يحذر منها، وهذه الأسباب ذُكرت في كتب الفقه الإسلامي، منها: "١-الهجر، ٢-الامتناع عن الإنفاق أو العجز عنه، ٣-المرض المزمن الشديد، والجنون، ٤-الفساد والسفه، ٥-العجز عن المباشرة، ٦-انقطاع النسل، ٧-المشاقة، ٩-القسوة، ١٠-الغبن في الزواج، ١١-الردة، ١٢-الزنا"(٣).

والإسلام قد نفر من الطلاق، وجعله في أضيق الحدود، وجعل هناك فرصاً للعودة، "وقد شَرَّعَ الإسلام الطلاق احتراماً للطبع البشري، فإن الله تعالى لم يشأ للناس أن يتعاشروا على هون وضيق، يقول -جل شأنه- إثر الآيات المرتبطة بإصلاح الخلاف بين الزوجين"(٤)، ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾(٥)، فهو مخرج لكل من ساءت بينهما العلاقة الزوجية، ولم تنفع معه سائر الوسائل، فهو حل نهائي؛ ليزيل النزاع بين الزوجين، لكي لا يمتد إلى أقارب الزوجين، فيحصل ما لا يحمد عقباه.

فالإسلام لم يترك الخلق هَمَلاً، لا يعرفون مشكلاتهم ولا علاجها، بل رسم لهم المنهج الذي يسيرون عليه، وحذرهم من طريق الإغواء والضلال، فقد جعل للطلاق حدوداً يعرفها المسلم، وضوابط يلتزم بها، فضيق دائرة الطلاق، وخفف من حدتها، وقلل من أضرارها، **"وأهمها:-**

---

(١) سورة الطلاق:٢

(٢) ياسين، **الإصلاح الأسري من منظور قرآني**، (ص٢١١).

(٣) ينظر: فراش، وفاء معتوق حمزة، **آثار الطلاق المعنوية والمالية في الفقه الإسلامي**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٥هـ، (ص١٤٤-١٤٧).

(٤) يوسف، **منهج القرآن في إصلاح المجتمع**، (ص٣٦٠).

(٥) سورة النساء:١٣٠

١-جعل العصمة في يد الرجل، فهو الذي دفع المهر، وتكفل بالنفقة الزوجية، وهو أضبط لعواطفه، وأدرى بالتبعات التي تترتب على الفراق.

٢- حذر الإسلام المرأة تحذيراً شديداً من طلب الطلاق من غير ضرورة.

٣-صان الإسلام قداسة الزوجية من العبث، فحذر من صدور كلمة الطلاق حتى على سبيل الهزل.

٤-جعل الإسلام الطلاق على مراحل، فلم يحكم بهدم الحياة الزوجية من أول نزاع بين الزوجين.

٥-حرم الإسلام أن يتخذ الزوج الطلاق وسيلة للضرر.

٦-وصف الإسلام الزواج بالميثاق الغليظ، وذلك يدعو لاحترامه، وعدم التفكر في حله.

٧-ندب إلى إمساك الزوجة وعدم طلاقها إن كرهها لأمر، وفيها أمور تدعو إلى إمساكها.

٨-أمر الإسلام الزوج بضبط أعصابه والتريث في تقويم زوجته من خلال اللجوء إلى العظة والهجر.

٩-سمح بدخول حكمين للحد من المشكلة.

١٠-لم يحكم بطلاق المجنون والمكره.

١١-حرم أن تشترط المرأة في زواجها على زوجها المعدد أن يطلق زوجته الأولى"(١).

وفي واقعنا اليوم نجد كثيراً من الناس ضعفاء النفوس من عباد الشهوات والأهواء، يتخذون الزواج لعباً ولهواً، يتزوجون متى شاؤوا، ويطلقون متى شاؤوا، غير مراعين لما فيه الزواج من غايات وحكم وأركان، ولا مراعاة لأمر النسل ولا صلاح الذرية، يستغلون ضعف النساء من أجل قضاء شهواتهم المؤقتة، "فما يفعله بعض الشهوانيين الذين لا خلاق لهم، من تطليق زوجاتهم بدون سبب، فهذا أمر لا يقره الدين الإسلامي ولا يرضاه، ولا يبرر جنايتهم على زوجاتهم الغافلات المخلصات، وأبنائهم الضعاف ما يزينه لهم بعض السخفاء من جواز الحصول على أكبر قسط ممكن من اللذات المباحة؛ لأن العدوان على

(١) ينظر: علماء الأزهر الشريف، **بيان للناس من الأزهر الشريف**، مطبعة الأزهر: القاهرة، ١٩٨٨م، (٢٣٥/٢-٢٣٧).

الزوجة المخلصة بدون سبب يجعله حراماً لا مباحاً، فلا يصح للإنسان أن يؤذي الناس من أجل أن يتلذذ، وإلا كان هو والحيوان المفترس سواء"[١].

---

(١) ينظر: الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض ١٣٦٠هـ، **الفقه على المذاهب الأربعة**، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، (١٥٥/٤).

المطلب الثاني: النشوز بين الزوجين

النشوز لغة: من النَشَزَ وهو ما ارتفع من الأرض، يقال: نَشَزَت المرأة أي: ارتفعت واستعصت على بعلها وأبغضته فهي ناشِزٌ وناشِزة، ونَشَزَ بعلها عليها أي: ضربها وجفاها وأضر بها(١).

والنشوز اصطلاحاً: كراهية كل منهما صاحبه، وسوء عشرته له(٢).

أمرت الشريعة كلاً من الزوجين أن يحسنا العشرة فيما بينهما بالمعروف، وأن لا يتعدى أحدهما على الآخر، وجعلت بينهما حقوقاً "من حسن عشرة، وجميل المداراة، ولطف المفاوضة، وحسن قيام كل منهما على الآخر"(٣)، والله -جل وعلا- يخبر في القرآن الكريم "أن لكل من الزوجين حقاً على الآخر يلتزم به، وأن الزوج مختص بحق له على زوجته"(٤)، حيث يقول تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾(٥)، وفي الزوجات يقول تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾(٦)، قال الشافعي:(وجماع المعروف: إتيان ذلك بما يحسن لك ثوابه وكف المكروه)(٧)، فالأمر بالعشرة بالمعروف قاعدة تحتاجها كل أسرة، فهي دعامة الحياة بين الزوجين، وتطبيقها يكون في "حسن المبيت، والإنفاق، وطيب الكلام"(٨)، فبهذا تستقر الحياة الزوجية وتنعم، وأما إذا كان هناك نشو زاً من الزوجة، أو نشوزاً من الزوج، أو من كليهما، فيصبح هذا النشوز عقبة ومنعطف خطر يقف أمام حياتهم الزوجية.

---

(١) الرازي، **مختار الصحاح**، (٢٧٥/١)، وابن منظور، **لسان العرب**، (٤١٨/٥).

(٢) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٤١٨/٥)، وابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (٥٥/٥)، والسجستاني، أبوبكر محمد بن عزيز ٣٣٠هـ، **غريب القرآن**، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ، (ص٤٧٢)

(٣) ينظر: أبوطالب المكي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب**، (٤٢٠/٢).

(٤) ينظر: الجصاص، **أحكام القرآن**، (٦٨/٢).

(٥) سورة النساء:١٩

(٦) سورة البقرة:٢٢٨

(٧) الشافعي، **الأم**، (١٠٦/٥).

(٨) ينظر: النحاس، **معاني القرآن**، (٤٧/٢).

فأما عن نشوز المرأة على زوجها فهو عمل يعيق استقرار العلاقة الزوجية، وهو مرض أسري، بينه القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾(١)، فالمرأة في نشوزها أساءت خُلقهَا مع زوجها "الذي أوجب الله تعالى عليها طاعته وحرم معصيته، لما له من الفضل عليها والإفضال"(٢)، ولخطورة هذا المعوق، فقد رتب الله عليها عدة أمور، قد تصل إلى الضرب، مما يدل على أنها مخالفة جسيمة، فالمرأة في نشوزها عصت ربها الذي أوجب عليها طاعته، وعصت زوجها الذي أحسن معها العشرة، وللمرأة في نشوزها عدة مظاهر، منها: "عدم المبيت في فراش الزوج، والخروج من البيت، والدخول فيه بغير إذن الزوج، وتثقيل الأعباء على الزوج بالنفقة والكسوة والزيارة على الشكل المبالغ فيه، وكراهية المرأة للزوج، وامتناعها عن الإقامة معه"(٣)، والإساءة للزوج في الكلام، ورفع الصوت، وعدم طاعتها له، والإعراض عنه.

وهناك عدة أسباب لنشوز المرأة على زوجها ، منها: "١-سوء تربية المرأة في بيت أهلها وتدليلها، وعدم تهيئتها لتحمل أعباء الحياة الزوجية، ٢-أن تجد في نفسها أموراً تجعلها تستعلي على زوجها كأن تكون جميلة، فيصيبها الغرور والكبر والإعجاب بالنفس، وكأن تكون ثرية أو ذات منصب وعمل يجعلها تترفع عن زوجها بسبب البطر الذي أصابها"(٤)، "٣- عدم إلتزام المرأة بواجباتها كربة بيت، وخروجها عن الطبيعة التي خُلقت لها، ٤-عدم احتمال المرأة للحياة الزوجية، وجهلها للحقوق والواجبات الزوجية التي عليها، ٥-طموح المرأة وطمعها في أن تصل إلى حياة زوجية ناعمة، ليس فيها مشاركة ولا تعب، ٦-قد يكون في المرأة حب السلطة والسيطرة على الزوج ومقدرات حياته، ٧-قد يرجع هذا إلى صفة المرأة وشخصيتها، وحبها للنشوز، فبعضهن يهوى النكد، وجلب الهم والغم لزوجها، وتخلق الشجار والمشاكل مع الزوج، ٨-أن يكون هناك من أثر على المرأة في بيئتها من أهلها، أو صديقاتها من قرنيات السوء، فتستجيب لهم، وهن لا يردن لها إلا زرع المشاكل

---

(١) سورة النساء:٣٤

(٢) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤٩٣/١).

(٣) ينظر: قاسم، **دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة والمجتمع**، (ص٢٥٩-٢٦٠).

(٤) ينظر: قاروت، د. نور حسن، **موقف الإسلام من نشوز الزوجين أو أحدهما**، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (ص٦٧).

بينهما، إما لحقد أو غيره"[١]، ٩-أن تستغل شدة حاجة الزوج لها، كونه لا يجد من يساعده ويخدمه غيرها، أو أن يكون لديه أولاد كثر، فتتكبر عليه، وقد تستغل حاجته في كثرة طلباتها، فلابد من المرأة اجتناب هذه الأسباب والحذر منها، وصدق الشاعر إذ يقول الشاعر:-

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه[٢]

والنشوز ليس خاصاً بالنساء فقط، بل يقع في الرجال أيضاً كما بينه القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾[٣]، فنشوز الزوج قد يكون بإعراضه عن الزوجة، أو بظلمها، أو بخس حقوقها، أو الإساءة إليها بالقول الغليظ، أو التعدي عليها بالضرب، قال الزمخشري:(والنشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة، وأن يؤذيها بسب أو ضرب، والإعراض: أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها؛ وذلك لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة[٤] أو شيء في خَلق أو خُلق أو ملال أو طموح عين إلى أخرى أو غير ذلك، فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما)[٥]،

وهناك عدة أسباب ترجع إلى نشوز الزوج، منها: ١-أن يكون الزوج عصبياً، صعب المزاج، محباً لخلق المشكلات، شديد الدقة، "٢-البخل والتعسير في الإنفاق على الزوجة،

---

(١) ينظر: السدلان، د. صالح بن غانم، **النشوز ضوابطه وأسبابه وحالاته وطرق الوقاية منه في ضوء الكتاب والسنة**، دار بلنسية: الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، (ص٢٩-٣١).
(٢) الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد ٤٢٩هـ، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (٨٤/١).
(٣) سورة النساء:١٢٨
(٤) الدمامة: هي قبح الوجه، ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (٢٦٠/٢).
(٥) الزمخشري، **الكشاف**، (٦٠٤/١).

مما يجعله يتضايق من طلبات الزوجة والمنزل، ٣-الاستجابة لقرناء السوء الذين يفرقون ولا يجمعون"(١).

ومن مظاهر نشوز الزوج على زوجته: ١-أن يقوم بسب الزوجة ولعنها، والتنقص من قدرها، ٢-تعدي الزوج على الزوجة بالضرب، ٣-تعيير الزوج بأصل الزوجة، والتنقص منهم، ٤-الامتناع عند أداء حقوقها المختلفة، ٥-إساءة استخدام الولاية عليها، كأن يفرط في حقها، ٦-عدم السماح للمرأة في الخروج لأهلها، أو لقضاء حوائجها، ، ٧- إهمال الزوج وتقصيره في بيته وأولاده، فلا يسأل عنهم، ولا يتفقدهم، ولا يقضي حوائجهم، ولا يرعاهم.

وهناك النشوز بين الزوجين، وهو الشقاق، بأن تكون المرأة ناشزاً في تعاملها مع زوجها، والزوج يعاملها بالمثل، فيكون بينهما نفور، فيجتمع النشوز بينهما، فيصل إلى الشقاق، وقال تعالى فيه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾(٢)، والشقاق "هو العداوة والخلاف"(٣)، "وإذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة، ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية، وخرجا إلى ما لا يحل قولاً وفعلاً، بعث الإمام حكماً من أهله إليه، وحكماً من أهلها إليها، رجلين حرين عدلين؛ ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه، إن كانت رغبته في الصلح أو في الفرقة، ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح"(٤)، فالخطاب الإلهي ساهم في تدارك القضية، إذ إنه خاطب الحكمين من الأقارب الذين هم أقرب الناس لهما، وأعلم الناس بحالهما، حتى لا يتفاقم الأمر، ويصل إلى ما لا يحمد عقباه، "فالآية الكريمة صريحة في وجوب التحكيم بين الزوجين إن خيف شقاق بينهما؛ لأنه يجب أن يكونا شقيقين لا متشاقين ينضوي كل منهما إلى شق (جانب) غير الشق الذي فيه الآخر، ولا يجيز الإسلام للمسلمين

---

(١) ينظر: السدلان، **النشوز ضوابطه وأسبابه**، (ص٣١-٣٢).
(٢) سورة النساء:٣٥
(٣) النسفي، أبوالبركات عبدالله بن أحمد ٧١٠هـ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: عبدالمجيد طعمة حلبي، دار المعرفة: بيروت، ١٤٢٩هـ، (٢٢٦/١).
(٤) البغوي، **معالم التنزيل**، (٤٢٣/١).

أن يستبد كل منهما على الآخر، فيغلب أقواهما أضعفهما"(١)، فلابد من ظالم ومظلوم، وعلى العقلاء أن ينصفا بينهما، قال الرازي:(اعلم أنه تعالى لما ذكر عند نشوز المرأة أن الزوج يعظها، ثم يهجرها، ثم يضربها، بين أنه لم يبق بعد الضرب إلا المحاكمة إلى من ينصف المظلوم من الظالم)(٢)، فيبين القرآن الكريم حالة النشوز والإعراض بين الزوجين، بعد عدة محاولات لم تفلح معها، فجاء في هذه الآية بحسم الأمر الذي هدد أمن الأسرة، إما فراق، وإما صلح واستقرار ورحمة ومودة، "فتبين الآيات كيف تفاقم الأمر، واشتدت الانفعالات النفسية، والرواسب الشعورية، والملابسات المعيشية، التي كدرت صفو العلاقات بين الزوجين، وأفسدت جو الحياة بينهما، وتعقدت الأمور"(٣).

فهذا المعوق أصبح شائعاً في هذا الزمان بين الأسر المسلمة، وأشغل الدولة والمجتمعات لما يبذلونه من جهود في حل أمثال هذه القضايا، وكم من إنسان أو إنسانة عاقهما هذا الأمر حتى أوقعهما في الحياة المليئة بالهم والحزن، وفقدان الاستقرار بالمودة والشعور بالأمان، وما أخلفه ذلك على الأبناء من تجريح لمشاعرهم، وتأثر لنفسياتهم؛ نتيجة ما يرونه من خلاف واحتدام بين الأبوين، وإن للشقاق بين الزوجين آثاراً ومفاسد عظيمة على الزوجين، وعلى أسرتهما، وعلى أهلهما، وعلى سائر المجتمع، منها:-

١-أن الشقاق بين الزوجين يجعل كل منهما يعيش في حياة مليئة بالهم والحزن، وضيق وكدر ونكد وإزعاج وقلق؛ نتيجة ما يحصل بينهما من خلاف ونزاع وعداوة وشر.

٢-أن للشقاق أثر على الحياة العملية والاجتماعية لدى الزوجين، من ممارسة للعمل، ومخالطة لأفراد المجتمع، فيحد من نشاطهما، ويبدو عليهم أثر ذلك.

٣-أنه يجعل البيت الزوجي "يخلو من الاستقرار والوئام، متأثراً بالخلاف، فيسوده غيوم من الكآبة والكدر، ويصاب في عطائه الإيجابي بشلل كبير.

٤-أنه يؤدي إلى هدر الكرامة بين الزوجين، وقد يجعل حياة كل منهم في خطر؛ رغبة في الإنتقام والحسم.

---

(١) ينظر: رضا، **فتاوى مجلة المنار**، صفر ١٣٢٣هـ، مجلد: ٨، (١٠٠/٣).
(٢) الرازي، **التفسير الكبير**، (٧٤/١٠).
(٣) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٦٥٦/٢).

٥- أن الشقاق له أثر بالغ وسلبي على الأولاد، فتَجَرح عواطفهم ومشاعرهم النفسية، وتتأزم حالتهم، ويعيشون في خوف ورعب، ويصيبهم الضيق، ويعيشون في عقد نفسية؛ لقسوة ما يشاهدونه من تلاحي أبويهما وتنازعهما، مما يكون له الأثر الكبير على حياتهم التعليمية والاجتماعية، وهذه الآثار على الأولاد قد تحصل أيضاً بعد الفراق.

٦-أن الشقاق يصيب مشاعر الجميع من أهل وأقارب بالألم والضيق، ويفقدون جزءاً من طاقتهم في السعي لمحاولة الإصلاح، والبحث عن الحلول، فأحدهم يبذل النصيحة، والآخر يسعى بالصلح، والثالث يبذل ماله، وغيره ينفق أجزاءً من وقته وجهده، وإذا تفاقمت المشكلة، وتأزم الحدث، يحصل التناحر بين عائلتي الزوجين، وتقع القطيعة.

٧-أن ا لشقاق له آثار أيضاً على سائر المجتمع، فهو يشغل حيزاً مؤثراً في عمل لجان الإصلاح بين الزوجين، وفي مؤسسات القضاء، وذلك أن قضاة المحاكم وموظفيها انشغلوا في هذه القضايا؛ لما تحتاجه قضية النزاع من اجراءات ومخابرات ومكاتبات، وما يتطلب من وقت وجهد وطاقة"(١).

(١) ينظر: الدبيان، د. علي بن راشد، **شقاق الزوجين**، مجلة العدل: السعودية، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، العدد الثاني، (ص١٦٣-١٦٦).

المطلب الثالث: عقوق الآباء

العقوق لغة: أصل العق: الشق والقطع والخرق، عق والديه يعقهما عقاً وعقوقاً، وكل شقٍ وَخرقٍ فهو عقٌّ،[(١)]، وعَقَّ والدَه يَعُقُّه عَقّاً وعُقُوقاً ومَعَقّة، أي: شَقَّ عصا طاعته، ولم يَصِلْ رَحِمَه منهما[(٢)].

واصطلاحاً: أن يقسما عليه في حق فلا يبرّ قسمهما، وأن يسألاه في حاجة فلا يعطيهما، وأن يأمناه فيخونهما، وأن يجوعا فيشبع ولا يطعمهما، وأن يستبّاه فيضربهما[(٣)]، وقيل: هو إذا أمر الوالد ولده بشيء فلم يطعه[(٤)]، وقيل: هو الاستخفاف بالوالدين وعصيانهما وترك الإحسان إليهما[(٥)]، وقيل: هو الإساءة إليهما، والتضييع لحقهما[(٦)]، وقيل: هو كل ما أتى به الولد مما يتأذى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهين مع أنه ليس بواجب[(٧)]، وقيل: هو قطع الرحم[(٨)].

أكرم الله -جل وعلا- الوالدين في القرآن الكريم، ورفع من شأنهما، وقرنهما بعبادته، وقرنهما بشكره، حيث يقول تعالى ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ

(١) ينظر: الفراهيدي، **العين**، (٦٣/١)، والأزهري، **تهذيب اللغة**، (٤٨/١)، وابن فارس، **مقاييس اللغة**، (٥/٤).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (٢٥٦/١٠-٢٥٧).

(٣) أبوطالب المكي، **قوت القلوب**، (٢٥٠/٢).

(٤) الخرائطي، أبوبكر محمد بن جعفر ٣٢٧هـ، **مساوئ الاخلاق**، تحقيق: مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي: جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، (ص١٢٠)

(٥) الأصفهاني، أبونعيم أحمد بن عبدالله بن مهران ٤٣٠هـ، **أخبار أصبهان**، لايوجد تاريخ ولا طبعة، (٣٠٠/٨)، في الحاشية.

(٦) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (١١٦/١).

(٧) النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف، **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، المكتب الإسلامي: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ، (٣٨٩/٥).

(٨) ينظر: النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات**، دار الفكر: بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، (٢١٥/٣).

إِحْسَٰنًاۚ﴾(١)، وقال تعالى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ١٤﴾(٢)، وألزم على عباده طاعتهما، ولزوم مرضاتهما، وقد علل الله تعالى ذلك البر بأمرين اثنين:-

١- قوله تعالى ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾(٣)، وذلك أن أمه تعبت وتألمت وشقت وسهرت في حمله ووضعه وإرضاعه وتربيته، وأحسنت له، فكان حق على الولد رد هذا الإحسان بالإحسان.

٢-قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾(٤)، والتعليل هنا بأن الوالدين اجتهدا في تربية ابنهما منذ صغره، فاعتنوا به، وسدوا حاجاته، وحرسوه من كل مكروه، وسهروا على مرضه وبكائه، فكان بأيد رحيمة، وقلوب حنونة، حتى كبر وبلغ ما بلغ، من بعد ما كان عاجزاً عن دفع الشر عن نفسه، فما كان من الوالدين إلا أن ضعفت قوتهما وانهارت، فكان لازماً على هذا الابن رد هذا المعروف، وتكريمها، ورفع شأنهما.

والوالدان هما سبب وجود الأبناء، وهذا من أكبر التفضل والتكرم على الأبناء، وهذا ما تدعو إليه الشريعة العادلة، والفطرة السليمة، والعواطف الجميلة، والرحمة العظيمة، والمروءة الصادقة، من واجب الوفاء لهما، ورد الجميل، وبرهما.

فالعقوق من أبشع المعوقات الأسرية التي كثرت في الأونة الأخيرة، وما هو إلا دليل على سوء الأخلاق، إذ أنه جحود وإنكار للفضل والإحسان الذي كان من الواجب عليه -العاق- رد هذا الإحسان والفضل بمثله، ولهذا فالشريعة نهت عن هذا المعوق الذي يقدح في دين الله تعالى الذي أمر ببرهما والإحسان إليهما، ويقدح في العقل الذي يقرر مبدأ رد الجميل بالشكر الجزيل، وأن من المظلم أن يعق الإنسان من كان له محسناً، وأن يجازي هذا التعب والعناء بالشق والعصيان والاستخفاف، فالقرآن الكريم ينهى عن ذلك، بل إن الله -جل وعلا- أمر ببرهما حتى جعلها، مما يدل على عظم فضلهما، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ

(١) سورة النساء:٣٦
(٢) سورة لقمان:١٤
(٣) سورة لقمان:١٤
(٤) سورة الإسراء:٢٤

﴿١٤﴾[١]، قال القرطبي:(أحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان، والتزام البر والطاعة له والإذعان، من قرن الله الإحسان إليه، بعبادته وطاعته وشكره بشكره، وهما الوالدان)[٢].

ومما يُؤسف له الحال، وتنهار له الدموع، ما يُشاهد اليوم من انتشار هذا المعوق الأسري، وما هو إلا عقوق عظيم، وظلم جسيم، وجحود دنيء، وقطيعة قاسية، ويكفي ما يجنيه هذا المعوق على الأسرة المسلمة من تفريق وتمزيق، وفقدان الهيبة والاحترام، ومع ذلك كله يحل سخط الله، وما أعظمه من أثر وبلاء!، فالعقوق جريمة خطيرة، وقضية كبيرة، ولهذا جعلت الشريعة الإسلامية العقوق من كبائر الذنوب؛ لجلالة منزلة الوالدين، حيث يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس))[٣]، **وللعقوق مظاهر عديدة، منها:** ١-التهجم على الوالدين ورفع اليد عليهما، وهذا أعظم العقوق، ومن أعظم البغي والظلم، ٢-زجرهما ورفع الصوت عليهما، ٣- عدم طاعة الوالدين فيما يأمران به، ٤-التأفف والعبوس في وجههما، والتضجر من أمرهما، ٥-الاستهزاء بهما فيما يقولانه أو يفعلانه، ٦-التسبب في لعن الوالدين، "٧-تقديم طاعة الزوجة على طاعتهما، ٨-التخلي عنهما، وإيداعهما إلى دور العجزة والمعاقين، ٩-التبرؤ منهما، والحياء من ذكرهما والنسبة إليهما"[٤]، "١٠-إبكاء الوالدين، وتحزينهما، ١١-انتقادهما، ١٢-ترك مساعدتهما، ١٣-ترك الاستئذان حال الدخول عليهما، ١٤-إثارة المشاكل أمامهما، ١٥-ذمهما أمام الناس، والقدح فيهما، وذكر مساوئهما، ١٦-مزاولة المنكرات أمامهما، ١٧-إيقاعهما في الحرج، وتشويه سمعتهما، ١٨-هجرهما، وترك

---

(١) سورة لقمان:١٤

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٨٢/٥-١٨٣).

(٣) رواه البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٢٩٨، (٢٤٥٧/٦)، ومسلم بنحوه، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**،حديث رقم: ٨٧، (٩١/١).

(٤) ينظر: زمان، **الظلم أنواعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم**، (ص٢١٥-٢١٦).

نصحهما إذا كانوا متلبسين بالمعاصي، ١٩-البخل والتمنن عليهما، ٢٠-تمني زوالهما"(١)، "٢١-تسميتهما باسمهما، والمشي في الطريق أمامهما"(٢).

وقد نهى الله تعالى في القرآن الكريم من هذا العقوق، بل إنه نهى عما هو أقل منه سوءا وهو التأفف عليهما، فكيف بالنهي عما هو أكبر!، قال تعالى ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾(٣)، الأف: "صوت يدل على تضجر"(٤)، فالنهي بالأف "كناية عن أقل أنواع الإيذاء"(٥)، وفي هذا دليل على بلاغة القرآن، حيث إنه استغنى بذكر القليل عن ما فوقه من ضرب وغيره، "فالنهي فيها يدل على المنع عن إظهار الضجر بالقليل أو الكثير"(٦)، والنهر: "إصدار الفعل القبيح"(٧)، فالله نهى عن إيذائهما بالقول والفعل، فالقول بالأف، والفعل بالنهر، فالقرآن الكريم شدد في رعايتهما، وعدم إساءة الأدب معهما، أو مضايقتهما، أو مضاجرتهما، ولو بشيء قليل، لاسيما مع كبرهما، وشدة حاجتمها إليه، فإن العقوق مع شدة الضعف هو غاية القسوة والظلم، ثم يقول تعالى -منبها ومحذرا بعد تحذيره السابق- ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾﴾(٨)، بين الله تعالى في هذه الآية أن بر الوالدين يدل على صلاح النفس، وأن في عقوقهما دليل على فساد النفس، وأن البر يجب أن يكون في السر والعلن، وذلك أن في قوله ﴿فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾

---

(١) ينظر، الحمد، محمد إبراهيم، **عقوق الوالدين**، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، (ص٩-٢٠).

(٢) ابن السني، أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي ٣٦٤هـ، **عمل اليوم والليلة**، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة: جدة، (ص٣٥٣).

(٣) سورة الإسراء:٢٣

(٤)الزمخشري، **الكشاف**، (٦١٥/٢).

(٥) الهيثمي، شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد ابن حجر ٩٧٣هـ، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، المكتبة العصرية: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (٦٥٠/٢).

(٦) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (١٥٢/٢٠).

(٧) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٥/٣).

(٨) سورة الإسراء:٢٥

دليل على أن البر يكون في السر، ومن باب أولى يكون في العلن، فما في القلب يظهر على الجوارح، "وذلك أن المضمر في الصدر هو الداعي لما يظهر على الجوارح"(١).

وإن الناظر فيما يأمر به الله -جل وعلا- يجد أنه دليل على سعة رحمته، وأن كل شيء يأمر به فيه شفقة على عباده، فمن رحمته عليهم وعنايته أن هيأ للأولاد عناية آبائهم بهم، وإذا كبروا هيأ للآباء عناية الأبناء بهم، فالرحمة والعناية والشفقة على العباد من الصغر حتى الكبر، وهذه أشار إليها قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾(٢)، فالله -سبحانه وتعالى- في هذه الآيات "بالغ فى التوصية بالوالدين مبالغة تقشعرّ منها جلود أهل العقوق، وتقف عندها شعورهم، من حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثم شفعهما بالإحسان إليهما، ثم ضيّق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر، مع موجبات الضجر، ومع أحوال لا يكاد الإنسان يصبر معها، وأن يذل ويخضع لهما، ثم ختمها بالدعاء لهما والترحم عليهما، وهذه الخمسة الأشياء جعلها سبحانه من رحمته بهما، مقرونة بوحدانيته، وعدم الشرك به"(٣).

وإن هناك أسباباً اسهمت في إيذاء الوالدين، وسببت لهما العقوق، فمن ذلك:-

١-الجهل بما للوالدين من حقوق شرعية، أو الجهل بعظمة الله وقدرته، "وذلك أن السلف مجمعون على أن كل من عصى الله فهو جاهل، سواء عمد ذلك أم لم يعمد"(٤).

٢-سوء تربية الوالدين لابنائهما، فبعضهم لم يعتد من أبويه كيف يبرهما ويحترمهما، وذلك "أنه يجب على الوالدين تربية الأولاد على حبهما واحترامهما احترام المحبة والكرامة، لا احترام الخوف والرهبة"(١).

---

(١) أبوحيان، **البحر المحيط**، (٩٠/٧).
(٢) سورة الإسراء:٢٣-٢٤
(٣) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (٣٧/١٥).
(٤) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (٤٠٧/١).

٣-سوء معاملة الآباء لآبائهم، ومشاهدة الأولاد لذلك العقوق، وكما يقول المثل: "كما تدين تدان"(٢).

٤-أن يتسبب الوالدان بالعقوق، فبعض الآباء يحمل الأبناء على العقوق "من خلال سوء معاملة الوالدين له، وجفائهما، ولا يعيناه على برهما"(٣).

٥-مصاحبة أهل السوء والعقوق، فصحبة هؤلاء داء يصيب القلب ويُعديه، وصدق بعض الحكماء إذ يقول:(لا تصادق عاقاً، فإنه لن يَبرك، وقد عق من هو أوجب منك حقاً)(٤).

٦-طاعة الزوجة سيئة الخُلق، "وذلك أن بعض الأزواج يُبتلى بزوجة سيئة الخلق، لا تخاف الله، ولا ترعى الحقوق، فتقوم بإغراء الزوج، وحثه على أن يتمرد عليهما، أو يخرجهما؛ ليخلو لها الجو بزوجها"(٥).

وعلى المسلم أن يتعظ ويعتبر، فمن كان مقصراً مع والديه فليبادر إلى برهما، ومن كان باراً فليستمر وليزداد براً، قال القرطبي:(فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة برهما، لئلا تفوته بموتهما، فيندم على ذلك، والشقي من عقهما، لاسيما من بلغه الأمر ببرهما)(٦).

وإن لهذا المعوق آثاراً عظيمة رتبتها الشريعة الإسلامية -دنيوية وآخروية-، ومنها:-

١-إن العقوق جالب لسخط الله تعالى، حيث يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد))(٧).

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، (١٦٤/٨).

(٢) أبوعبيدة، معمر بن المثنى التيمي ٢١٠هـ، **مجاز القرآن**، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م، (٢٣/١).

(٣) ينظر: المرادي، **روح البيان**، (١١٤/٥).

(٤) ابن الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي، **بر الوالدين وصلة الرحم**، تحقيق: مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن: القاهرة، (ص٥٢).

(٥) ينظر: الحمد، **عقوق الوالدين**، (ص٢٨).

(٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٤٢/١٠).

(٧) أخرجه، الترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، حديث رقم: ١٨٩٩، (٣١٠/٤)، وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدرامي ٣٥٤هـ، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الرسالة: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، حديث رقم: ٤٢٩، (١٧٢/٢)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ٧٢٤٩، (١٦٨/٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، والحديث رواه الترمذي تارة مرفوعاً وتارة موقوفاً، وقال: هذا أصح -أي الموقوف-، (٣١٠/٤)، والحديث صححه ابن حبان مرفوعاً

٢-قصر العمر، وضيق الرزق، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه))(١)، وقوله (وينسأ له فى أثره) أي: "يؤخر فى أجله، ويسمى الأجل أثراً؛ لأنه تابع للحياة وسابقها"(٢).

٣-إن العقوق معصية وكبيرة من كبائر الذنوب المستحقة لعذاب النار، حيث يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين...))(٣).

٤-إن العاق ملعون، قاطع لرحمه، وأعمى البصر عن الهداية، وأصم عن سماع الخير، قال تعالى ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾(٤)، وأولى الناس بصلة الرحم هم الوالدان.

٥-إن العقوق يفوت دخول الجنة، والحرمان من نعيمها، ويصيبه حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-:((رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف، قيل: من يا رسول الله، قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة))(٥)، أي: "ألصق بالتراب، وخاب في

في صحيحه، (١٧٢/٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على صحيح ابن حبان، (١٧٢/٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحية، (٤٣/٢).

(١) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٥٦٤٠، (٢٢٣٢/٥)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٥٧، (١٩٨٢/٤).

(٢) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (٢٠٤/٩).

(٣) رواه البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٢٩٨، (٢٤٥٧/٦)، ومسلم بنحوه، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**،حديث رقم: ٨٧، (٩١/١).

(٤) سورة محمد:٢٢-٢٣.

(٥) مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٥٥١، (١٩٧٨/٤).

عاقبة أمره"(١)، وفي الحديث الآخر:((أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه))(٢).

٦-إن العاق تصيبه دعوة الوالدين عليه، حيث إن دعوة الوالدين مستجابة عند الله، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده))(٣).

٧-إن العقوق يؤدي إلى تمزيق الأسرة وضياعها، ذلك أنه يذهب الاستقرار في الأسرة، ويجعل البيت في خلاف ونزاع وشقاق، ويفقد الاحترام بين أطراف الأسرة.

فلتأخذ الأمة من شريعتها، التي كانت وما زالت رحمة عليها، تأمر برحمة صغيرهم، واحترام كبيرهم، "ففي هذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء، وذلك أن الأولاد سرعان ما يتناسون ما لوالديهم من فضل عليهم وحقوق، ويندفعون بدورهم إلى الزوجات والذرية، فجاءت الآية ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ تخاطب بأول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب، وهي: ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يشعر بالإهانة وسوء الأدب"(٤).

---

(١) ينظر: ابن أبي طالب، أبومحمد مكي حموش القيرواني المالكي ٤٣٧هـ، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية في جامعة الشارقة بإشراف: أ.د. الشاهد البوشيخي، طبعة جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، (١٤٤٤/٢)، والأزدي الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن حميد ٤٨٨هـ، **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، تحقيق: د. زبيدة عبدالعزيز، مكتبة السنة: القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (ص٣٥٩)، والنووي، **المنهاج في شرح مسلم**، (١٠٨/١٦).

(٢) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ٢٢٦٠، (٤٣/٢)، وضعفه الألباني، في الجامع الصغير، (ص١٠٧).

(٣) أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ١٠٧١٩، (٥١٧/٢)، والترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، حديث رقم:٣٤٤٨، (٥٠٢/٥).، وقال: حديث حسن، وأبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ١٥٣٦، (٨٩/٢)، قال أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد: إسناده صحيح، (٢٩٩/٧)، وقال شعيب الأرناؤوط والمحقق عادل مرشد في تحقيقهما على المسند: حسن لغيره، وكذا قال أيضاً شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على سنن أبي داود، (٤١٤/١٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (١٤٦/٢).

(٤) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٢٢١/٤).

المطلب الرابع: الخلافات البيتية

إن المقصود بالخلافات البيتية هي ما يحصل في بيت الأسرة من مشكلات واختلافات تؤدي إلى النزاع والقطيعة ومفاسد عظيمة، وعدم استقرار الأسرة، وأخطرها الظلم، فقد يكون هناك ظلم من الوالدين أو أحدهما بجانب الأبناء، فيقومان بتفضيل أحدهم على الآخر في المعاملة والإنفاق والهدايا والمنح ونحوها، وبعضهما يفضل الأولاد على البنات، وهذا كله جرم عظيم، يزرع الخلافات بين الإخوة، ويفرقهم، وينشأ بينهم الحقد والبغضاء والكراهية، قال تعالى ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾(١)، أي: أعطوا أولادكم حقوقهم، "ولا تحاولوا أن تفضلوا أحداً على أحد"(٢)، "فإنكم لا تعلمون بتفريقكم هذا أيهم أدنى وأشد نفعاً لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم"(٣)، "إلا إن كان هناك ابناً صالحاً وباقي إخوته غير صالحين، ففي هذه الحالة فلا مانع أن يعطي الأب هذا الابن الصالح أكثر مما يعطي باقي إخوته"(٤)، وقد حذر من الظلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول:((فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم))(٥)، فالإسلام ينهى عن التفرقة بين الأبناء، أو تقديم بعضهم على بعض، أو حرمان أحدهم من حقه، "وتفضيل بعض الأبناء على بعض يولد الغيرة والحقد، ومن ثم قد يكون سببًا للانحراف والوقوع في الجريمة بهدف الانتقام من الأسرة ومن المجتمع، مما له الأثر على الاستقرار الأسري والاجتماعي"(٦).

ومن الخلافات التى تقع في البيوت، ما يحصل من رفض الأبناء لبعض أنواع العبادات، كرفض إقامة الصلاة، أو الصوم ونحوها، أو التقصير فيها؛ وذلك راجع إلى عدم تشجيعهم وتعويدهم من قبل الوالدين؛ ليحافظوا عليها، مخالفين المربي الرجل الحكيم الصالح لقمان إذ يقول لابنه: في قوله تعالى ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ

---

(١) سورة النساء:١١

(٢) الجزائري، **أيسر التفاسير**، (٢٤١/١).

(٣) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٢٨١/٤).

(٤) أفادني بها فضيلة الدكتور/ جمال أبوحسان، في يوم الثلاثاء ٢٠١٣/١٢/٢٤م، في الجامعة الأردنية، في الساعة العاشرة صباحاً.

(٥) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٢٤٤٧، (٩١٤/٢).

(٦) ينظر: الزهراني، د. عبدالرزاق بن حمود، **بنية الأسرة المسلمة وأثرها في استقرار المجتمع**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، محرم ١٤٢٠هـ، العدد الخامس والعشرون، (٥٧٩/١).

ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾(١)، فهذا لقمان الحكيم يأمر أبنائه بالصلاة؛ ليعتادوا عليها، حتى تصبح خفيفة عليهم، فقد كان لقمان نموذجاً يقتدى به في تربية الأبناء، فليت هؤلاء الآباء اقتدوا بهذا الرجل الصالح في تدريب أبنائه!، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع))(٢)، والتعليل في تكليف الصلاة على الصغار دون العشر هو أن "الصبيان ليسوا محلاً للتكليف، فلا يأمرهم الشارع بشيء، وإنما يأمرهم الأولياء بذلك على طريق التمرين كسائر ما يربونهم عليه"(٣)، ومن الخلافات أيضاً ما يحصل في بعض البيوت من اختلاط بين الأخوة في المضاجع فوق العشر سنين، ولاشك أن هذا يجر إلى مفاسد عظيمة على الأسرة، فالشيطان لا يعجز عن تزيينه لبني آدم، فقد يجرهم الشيطان إلى الزنا بالمحارم -والعياذ بالله-، فالشريعة لم تغلق شيئاً إلا لما يخلفه من مساوئ عظيمة، "فالجمع بين الأمر بالصلاة والتفريق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديباً ومحافظة لأمر الله كله، وتعليماً لهم، وأن لا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم"(٤)، وفي هذا التفريق أيضاً "تحذير من غوائل الشهوة"(٥)، وأيضاً سن العشر سن الرشد وبداية الحزم، التي ينطلق فيها من دائرة الوالدين إلى المسؤولية أمام الله، ولهذا لابد من الوالدين أن يزرعوا في الأبناء الخوف من الله ومراقبته، حتى يكبروا عليها، وليعلموا أنهم إن خرجوا من دائرة مراقبة الوالدين فلن يخرجوا من مراقبة الله -جل وعلا-.

ومن الخلافات أيضاً ما يحصل من ظلم وعقوق بعض الآباء لأبنائهما، فبعضهم يظلم أبنائه ويعتدي عليهم وعلى حقوقهم، ويعاملهم بجفوة وسوء المعاملة، فلا يكون عوناً لهم على بره، وقد حذر الله تعالى من الظلم تحذيراً شديداً إذ قال ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ

---

(١) سورة لقمان:١٧

(٢) أبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٤٩٥، (١٣٣/١)، وبنحوه الترمذي، **الجامع الصحيح**، (٢٥٩/٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح، والحديث حسنه النووي في المجموع، (١١/٣)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: إسناده حسن، وقال عبدالقادر الأرناؤوط في تحقيقه جامع الأصول لابن الأثير: إسناده حسن، (١٨٧/٥)، وقال الألباني في تحقيقه على سنن أبي داود: حسن صحيح، (١٣٣/١).

(٣) الحافظ العراقي، زين الدين أبوالفضل عبدالرحيم بن الحسيني ٨٠٦هـ، **طرح التثريب شرح التقريب**، تحقيق: عبدالقادر محمد علي، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، (٨٥/٧).

(٤) ينظر: المناوي، **فيض القدير**، (٥٢١/٥).

(٥) ينظر: المناوي، **فيض القدير**، (٥٢١/٥).

عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾[(١)]، وقد حذر من هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول:((أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده))[(٢)]، "وبعض الوالدين يتعذر إرضاؤهما بما يستطيعه أولادهما من الإحسان، بل يكلفون الأولاد ما لا طاقة لهم به، وقد لا يعذرون أولادهم لحب زوجاتهم، وإذا دققت النظر في أخبار البشر لا تجد فيها أغرب من تحكم الوالدين في تزويج الأولاد بمن يكرهون، أو إكراههم على تطليق من يحبون، وأي ظلم هذا!، أليس هذا من ظلم الاستعلاء الذي يوهم الرجل أن ابنه كعبده!، وبعضهم يمنع ابنه من استعمال مواهبه في ترقية نفسه في العلوم والأعمال، ولا سيما إذا توقف ذلك على السفر والترحال، فينبغي أن يعرف الوالدان والأولاد: أن البر والإحسان لا يقتضيان سلب الحرية والاستقلال"[(٣)]، فأمثال هؤلاء الوالدين تجده يظلم أبناءه، ثم يتهمهم بالظلم والذنب والتقصير، وصدق الله إذ يقول عن حال الظالمين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾[(٤)]، قال المراغي:(إن العبرة بما فى نفس الولد من قصد البر والإحسان والإخلاص فيه، بشرط ألا يحدّ الوالدان من حرية الولد واستقلاله فى شؤونه الشخصية أو المنزلية ولا في الأعمال الخاصة بدينه ووطنه، فإذا أراد أحدهما الاستبداد فى شيء من ذلك، فليس من البر العمل برأيهما اتباعاً لهواهما)[(٥)].

ومن الخلافات أيضاً ما ينتج من بعض الوالدين بسبب سوء تربيتهما لأبنائهم، ومنهم من تأثر واعتاد على الترف والنعمة والرفاهية، ولم يتعلم أداب المروءة. وهؤلاء ألا ينظرون إلى قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[(٦)]، والوقاية

---

(١) سورة الفرقان:١٩

(٢) الطبراني، **المعجم الأوسط**، حديث رقم: ٤٠٧٦، (٢٣٧/٤)، والإسناد من طريق أحمد بن محمد بن أبي بزة عن محمد بن يحيى بن يسار عن حسين بن صدقة، قال الذهبي في المغني في الضعفاء: محمد بن يحيى بن يسار عن حسين صدقة لا يعرف ولا شيخه، (٢٧٩/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه من لم أعرفهم، (١٤٦/٨)، والراوي أحمد بن محمد بن أبي بزة قال عنه العقيلي في الضعفاء الكبير: منكر الحديث ويوصل الأحاديث، (١٢٧/١)، وضعفه الألباني، في السلسلة الضعيفة، (١١٣٠/١٤).

(٣) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٦٩/٥-٧٢).

(٤) سورة يونس:٤٤

(٥) المراغي، **تفسير المراغي**، (٣٥/٥).

(٦) سورة التحريم:٦

في الآية بمعنى التأديب والتعليم، أي:"علموهم أمور الخير بالنصح والتأديب"(١)، ويقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:(أي: علموهم وأدبوهم)(٢)، ، وقال مقاتل في معنى الوقاية:(أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر)(٣)، فهم مسؤولون عن سوء تصرفات أبنائهم، فعليهم أن يُقوِّمُوا أبنائهم على محاسن الأمور، فهم أيضاً سيسألون عنهم أمام الله يوم القيامة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))(٤)، وهنا كلام لابن العربي جميل يصدق عليه فعل هؤلاء الأباء، فلنتدبره حق التدبر، إذ يقول أبوبكر ابن العربي:(اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش، وصُورَته -أي: وصُورَته كذلك- وهو قابل لكل نقش وقابل لكل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، يشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم به والولي عليه)(٥)، وبعضهم لا ينفق على أبنائه مما يجعلهم في خلاف مع الوالدين، ويجعلهم عالة على غيرهم، وقد أمرهم الله أن ينفقوا مما رزقهم، قال تعالى ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ﴾(٦)، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها، كانت له صدقة))(٧).

---

(١) ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، (٣٧٨/٣)، والبيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (٣٥٧/٥).

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (١٦٥/٢٨).

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، (٤١/٣٠)، ولم أجد هذا القول في تفسير مقاتل بن سليمان.

(٤) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٧١٩، (٢٦١١/٦)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٨٢٩، (١٤٥٩/٣).

(٥) ابن الحاج، أبوعبدالله محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي ٧٣٧هـ، **المدخل**، دار الفكر، ١٤٠١هـ، (٢٩٥/٤).

(٦) سورة الطلاق:٧

(٧) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٥٠٣٦، (٢٠٤٧/٥).

ومن الخلافات أن بعض الإخوة يعيشون في صراع فيما بينهم، فلا يحترم بعضهم بعضاً، وكثيرو الشجار بينهم، وقد ينبعث بينهم حب الأنانية، والنميمة، وذلك أن الأنانية وحب النفس صفة من صفات إبليس، قال تعالى -حاكياً قول إبليس عندما دعاه كبره وأنانيته إلى عدم السجود- ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾(١)، فما كان من الله إلا أن جازاه بسببه أنانيته بقوله تعالى ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧﴾(٢)، وهذا قارون صاحب فرعون أعجب بنفسه وأصابته الأنانية عندما رزقه الله بالمال، فجحد هذه النعمة بدل أن يشكر، يقول تعالى -حاكياً قوله- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾(٣)، فما كما جزاءه من الله إلا أن عُوقب بأنانيته، قال تعالى ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾(٤)، وحذر الله العباد من النميمة، ونهاهم حتى عن مصاحبة من كان متلبساً بها، فكيف بمن يقولها!، قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾(٥)، فالنميمية شرها عظيم، وهي تفسد ولا تصلح، والمراد من النميمية: "نقل الحديث بين الناس بقصد الإفساد بينهم"(٦)، وقد حذر الله تعالى في القرآن الكريم من الاختلاف والنزاع، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾(٧).

ومن الخلافات ما يحصل من قطيعة بين الآباء والأبناء، وذلك أن بعض الإخوة يقاطع والديه أو أخوته أياماً عديدة، بل بعضهم يقاطعهم وهو يسكن معهم، فهو ما بين نوم أو سهر خارج البيت، فلا يتواصل مع أبويه وأهله، ولا يسأل عن حالهم، وهذه من قطيعة

---

(١) سورة ص:٧٦
(٢) سورة ص:٧٧
(٣) سورة القصص:٧٨
(٤) سورة القصص:٨١
(٥) سورة القلم:١٠-١١
(٦) ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، (٣٧٨/٤).
(٧) سورة الأنفال:٤٦

الرحم، وهي تفرق بين الأسرة، وتزرع في الأولاد عدم المبالاة، قال تعالى -محذراً من القطيعة- ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾(١)، "هذا خطاب للذين في قلوبهم مرض، الذين قطعوا وفرقوا شملهم، وتشتتوا فيما بينهم، وتنازعوا، بالظلم والبغي والعدوان والإفساد، من أجل أمور الدنيا التافهة الزائلة"(٢)، وقد رتب الله على قاطعي الرحم جراء إفسادهم هذا أن اللعنة عليهم، وصدهم عن الهدى فلا يرونه ولا يسمعونه.

ومن الخلافات أيضاً ما يفعله الأبناء من دخولهم دائماً على والديهما من دون أن يستأذنوا عليهما، فقد يكونا في حالة غير مناسبة، من كشف العورة، أو في حديث جانبي بينهما ونحوها، مما يسبب خلافاً بين الوالدين والأبناء، وهذا من سوء آداب التعامل مع الوالدين، وكذلك عدم الاستئذان على سائر الإخوة، فضلاً عن الإخوات، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾(٣)، لم يمنع الله الدخول مطلقاً، ولم يبحه مطلقاً، بل حكمته -سبحانه وتعالى- اقتضت التوسط، فأباح الله للصغار المميزين دون البلوغ الذين هم كثيرو الدخول على والديهما؛ لشدة حاجتهما لملازمتهما، وللخدم أيضاً؛ لطبيعة عملهم من تنظيف وتفقد لبعض الأشياء وسؤال الوالدين عن بعض الأمور، فكان المنع في أوقات غالباً ما تكشف فيها العورات، فأباح الله دخولهم بلا استئذان في كل الأوقات إلا في ثلاثة: قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد صلاة

---

(١) سورة محمد:٢٢-٢٣

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٥٦/٢٦)، والبغوي، **معالم التنزيل**، (١٨٣/٤)، والشوكاني، **فتح القدير**، (٣٨/٥)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٩٨/٨).

(٣) سورة النور:٥٨-٥٩

العشاء؛ لأن هذه الأوقات يكون فيها عادة خلع الثياب وتبديلها فتكشف فيها العورات، ولذلك منع الله في هذه الأوقات الصغار المميزين والخدم من الدخول فيها، "وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة!، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم-بعد تقدم العلوم النفسية- أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم، هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها، وهذا علم الله العليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب، وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات"(١).

فهذه الخلافات أصبحت معوقاً في بيت الأسرة، إذ أنها تعيق عملية الأمن والاستقرار والاحترام بين الأسرة، ويظهر ذلك من خلال -كما سبق- إيقاع الظلم العظيم على الأولاد في العطاء، وما ينجم عنه من ضعف الوازع الديني؛ نتيجة عدم تنشئتهم التنشئة الصالحة، وما له من مدخل ومسلك عظيم لوقوع الفاحشة والرذيلة؛ نتيجة الاختلاط بين الأبناء، وما له من عواقب وخيمة نتيجة إساءة الوالدين لأبنائهم ظلماً وعدواناً، وما يخلفه هذا المعوق بين الإخوة من احتدام وتشاحن وعداوة وتصادم وفرقة، وقد يحصل بسببه الفرقة والقطيعة بين الأسرة الواحدة، وما لهذا المعوق من أثر في فقدان الهيبة والاحترام للوالدين نتيجة سوء تربيتهما.!!

---

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٥٣٢/٤).

المبحث الرابع: وسائل علاج المعوقات الأسرية

المطلب الأول: إصلاح ذات البين

لقد حرص المنهج الرباني على إبقاء المودة والتماسك بين الزوجين، وهذا الحرص يبدأ من قبل الزواج، من خلال اختيار الزوج أو الزوجة المناسبين الصالحين كما قال تعالى ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾(١)، فهذا إرشاد من المولى إلى التحري في اختيار شريك الحياة، حتى ينعم الزوجان بالاستقرار والسعادة دون فراق، وأما إن كان ثمة نشوز عند أحد الزوجين، فالقرآن أرشدهم أيضاً إلى كيفية التعامل فيما بينهم، وإن هذا لدليل قوي على عظمة هذا المنهج الرباني الذي يحرص كل الحرص على دوام الحياة الزوجية واستقرارها، ولم ينتهِ هذا المنهج عند هذا العلاج، بل إنه يستمر حتى النهاية، وذلك أن الزوجين قد يستمر بينهما الخلاف، ولم تنفع بينهما الطرق الأولية في علاج نشوز احدهما، فإذا تطور الخلاف، ووصل إلى حد الطلاق، فالقرآن الكريم وضع علاجاً إصلاحياً آخر، فهو يسمح بأن يكون هناك تدخل من أطراف خارجية بين الزوجين؛ حتى لا يتفاقم الأمر، قال تعالى ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾(٢)، فهذه الآية دعت إلى "التحكيم بين الطرفين إذا احتدم النزاع بينهما، وذلك بأن يختار حكمًا عدلاً من أهل الزوج، وحكمًا عدلاً من أهل الزوجة للإصلاح بينهما"(٣)، وإذا صدقا الحكمين "وقصدا إصلاح ذات البين، وصحت نيتهما، ونصحا لوجه الله، وفق الله بين الزوجين وألف بينهما، وألقى في نفوسهما المودة"(٤)، وهناك عدة أسباب هامة في جعل الحكمين من الأهل، مما يدل على حكمة المنهج الرباني، ومن ذلك:

١-"أن الأهل هم أعلم بحال الزوجين، وما يحصل بينهما من حب وبغض".

---

(١) سورة النور:٣٢

(٢) سورة النساء:٣٥

(٣) القوسي، مفرح بن سليمان بن عبدالله، **مباحث في النظام الأسري في الإسلام**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، رجب ١٤٢٦هـ، العدد الحادي والخمسون، (٣٧٨/١).

(٤) أبوحيان، **البحر المحيط**، (٢٥٤/٣).

٢-أن الأهل أحرص وأشفق على الزوجين من غيرهما؛ لأنهم قريبون منهم ويفكرون في حالهم كثيراً، ويبحثون ليل نهار على أنسب علاج لهما"(١).

٣-أن الأهل أحفظ لأسرار الزوجين، وما يدور بينهما من مشاكل وخلافات، والمنهج الرباني يحرص على إبقاء الأسرار محفوظة ولا تتسرب لأحد، ولئلا يجعل الأسرة تعيش في ضيق وحرج من كلام ضعفاء النفوس، وشماتة الأعداء.

قال القرطبي:(الحكمان لا يكونان إلا من أهل الرجل والمرأة، إذ هما أقعد بأحوال الزوجين، ويكونان من أهل العدالة وحسن النظر والبصر بالفقه، فإن لم يوجد من أهلهما من يصلح لذلك، فيرسل من غيرهما عدلين عالمين، وذلك إذا أشكل أمرهما)(٢).

وقد رغب القرآن الكريم الحكمين بالمبادرة إلى الإصلاح بين الزوجين، وأخبر بأنه من أفضل الأعمال وأجلها، قال تعالى ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾(٣)، "وإن نسبة الطلاق في كافة المجتمعات أصبحت تزداد يوماً بعد يوم، ولذلك أسباب كثيرة، والقول بحتمية بعث الحكمين والإسراع ببعثهما، سيحد كثيراً من هذه الظاهرة"(٤)

وقد جعلت الشريعة الإسلامية ثمة طرق أخرى للعلاج والإصلاح الأسري إذا لم ينفع التحكيم ووصل الأمر إلى الطلاق، "وأصر كل من الطرفين على موقفه، أجاز الإسلام أن يقع الطلاق بين الزوجين لمرة واحدة تعتد فيها الزوجة في بيت الزوجية مدة تقارب ثلاثة أشهر، وفي خلال العدة تعيش الزوجة في بيت الزوجية، إلا أن زوجها لا يعاشرها معاشرة الأزواج، والحكمة من جعل العدة بهذا الشكل: هو ترك الفرصة الكافية لإعادة الصفاء، وزوال أثر الخلاف السيء على حياتهما وحياة أولادهما، فلعلهما يعودان عن الخصام

(١) ينظر: ابن العربي، **أحكام القرآن**، (٥٤٢/١)، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٤٩/٢)، والآلوسي، **روح المعاني**، (٢٦/٥).
(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٧٥/٥).
(٣) سورة النساء:١١٤
(٤) ينظر: قاروت، **موقف الإسلام من نشوز الزوجين أو احدهما**، (ص٣٣٣).

والنزاع، ويعود الهدوء والحب إلى جو الأسرة"(١)، ومن الطرق الأخرى التي سلكها الدين الإسلامي "الأخبار ببغض الشريعة للطلاق، وتحريم طلب طلاق المرأة بغير وجه حق، وكإلزام الزوج بأن يطلق في زمن معين كالطلاق في وقت طهر لم يجامع فيه؛ حتى تبقى الأسرة متماسكة، ويقل نسبة الطلاق في المجتمع، وهذا كله يدل على حرص الدين الإسلامي على دوام الحياة الأسرية"(٢)، فالقرآن الكريم لم يجعل الطلاق يصدر من أول لحظة رغبة في الإصلاح، فقد أعطى الزوجان فرصاً في محاولة التصالح والرجوع إلى بعضهما، من خلال الطلاق الرجعي الذي يعد فرصة أخيرة للزوجين، قال تعالى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾(٣)، وهذه الفرصة تدور في ثلاثة شهور، وفي بيت واحد، يشاهد بعضهما البعض، مما يكون له التأثير الإيجابي من خلال عطف احدهما على الآخر، وأيضاً من خلال الرغبة في الجماع، "فالله سبحانه وتعالى لما كان يبغض الطلاق لما فيه من كسر الزوجة، وموافقة رضى الزوج لعدوه إبليس، شرعه على وجه تحصل به المصلحة وتندفع به المفسدة، وحرمه على غير ذلك الوجه، فلم يأذن في الإبانة بعد الدخول مباشرة، ولكن جاءت على التدرج، فإذا طلقها مرة بعد مرة بقي له طلقة واحدة، فإذا طلقها الثالثة حرمها عليه عقوبة له، ولم يحل له أن ينكحها حتى تنكح زوجاً غيره، ويدخل بها ثم يفارقها بموت أو طلاق، فإذا علم أن حبيبه يصير إلى غيره، سيجعله يحظى به ويمسك عن الطلاق"(٤)، قال تعالى ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾(٥).

وإن الناظر في هذه الخطوات والعلاج يعلم علم اليقين مدى اهتمام القرآن الكريم بإصلاح الأسرة، فقد تكفل بوضع علاج لكل مشكلة، خطوة بخطوة، ومما يدل أيضاً على

---

(١) الصلابي، د. علي بن محمد، **الوسطية في القرآن الكريم**، مكتبة الصحابة: الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (ص٥٣٣).
(٢) ينظر: الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة**، (ص٦١٥).
(٣) سورة البقرة:٢٢٩
(٤) ينظر: ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (٣٣٥/١).
(٥) سورة البقرة:٢٣٠

حرصه على الإصلاح أن الله ذكر جميع طرق علاج مشاكل الحياة الزوجية في القرآن الكريم، بصورة واضحة وبينة، وهو يعطي للمسلم "مدى اهتمام المنهج الإسلامي بتنظيم هذا الجانب الخطير من الحياة الإنسانية"(١).

ويقترح الباحث في هذا العلاج ما يلي:-

١-توعية الزوجين قبل الزواج، من خلال اشتراط تجاوز الدورات الأسرية التي يقوم عليها متخصصون ومحاضرون ذات كفاءة عالية من كلا الجنسين، يتم من خلالها بيان حقوق كل من الزوجين على الآخر.

٢-توعية آباء الزوجين الذين يساهمون بشكل كبير وفعال في إصلاح ما بين الزوجين؛ ليعالجوا ما يحصل لأبنائهم من مشاكل وخلافات بطرق سليمة وخالية من التجريح.

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، (٦٥٧/٢).

المطلب الثاني: الوعظ والهجر والضرب

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية على استقرار الأسرة وتكافلها، ولا يستقيم حال الأسرة إلا باستقامة الزوجين، فهما ركيزة من ركائز المجتمع، وقد جعل الله -جل وعلا- الزواج آية من آياته، فقد جعل فيه الاستقرار والسكينة والمودة بين الزوجين؛ حتى يصلح حال الأسرة خصوصاً، والمجتمع بشكل عام، قال تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(١)، والله -جل وعلا- يعلم بما سيحصل في بعض البيوت من نشوز وشقاق، فلذلك فقد أرشدهم إلى العلاج الذي يؤدي إلى إصلاح حالهم، فالبيوت الزوجية لا تخلو عادة من الاختلاف، فأما ما يخص نشوز الزوجة فقد بين الله العليم الخبير علاجها في قوله تعالى ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾(٢)، ففي هذه الآية أرشد الله الأزواج إلى اللجوء إلى التأديب من أجل رجوع الزوجة عن نشوزها، والآية جاءت بثلاثة طرق للتأديب مرتبة، "فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها، فإن أصرت على ذلك ضربها"(٣)، والوعظ يكون بالتذكير والترغيب والترهيب "بكتاب الله، وما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة، وجميل العشرة للزوج، والإعتراف بالدرجة التي له عليها"(٤)، والنساء يختلفن فيما بينهن، فمنهن من تنتفع بتذكيرها بأمر الله عليها، وما أوجب عليها من طاعة الزوج، ومنهن من لا ينفع معها إلا بتذكيرها بسوء العاقبة بعد التفريق من شماتة الغير عليها، أو بفقد العناية والرعاية عليها، وبقضاء حوائجها، فإن المرأة ضعيفة، ويصعب عليها العيش بدون زوج يعتني بها، وينجز ما لها من حوائج، ومنهن من ترجع عن نشوزها بالموعظة اللينة، ومنهن من تحتاج إلى الموعظة الشديدة.

---

(١) سورة الروم:٢١

(٢) سورة النساء:٣٤

(٣) البغوي، **معالم التنزيل**، (٤٢٣/١).

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٧١/٥).

وهناك من النساء من لا يصلح معها الوعظ، ففي هذه الحالة أرشد القرآن الكريم الزوج إلى الانتقال إلى العلاج الآخر وهو الهجر في المضاجع، قال تعالى ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾، "وهذا أشد شيء في إيحاش المرأة، وجعلها تتبصّر في أمرها، وتفكر في فعلها"(١)، وهجرهن يكون بتوليته لظهرها، وعدم جماعها، وقيل: بأن يهجرها بالكلام، وله أن يجماعها، وقيل: يهجر فراشها، ولا يجماعها(٢)، "وسواء كان الهجر بأي من هذه الطرق، فعلى الزوج أن يبين لزوجته غضبه وعدم رضاه عليها، حتى تشعر بخطئها وتتراجع عما هي فيه"(٣).

وأما إذا لم تصلح بالهجر، فهناك علاج آخر قد يصلح معها، وهو الضرب غير المبرح، قال تعالى ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾، "وهذا الضرب مباح على وجه التأديب، والاستصلاح"(٤)، واتفق المفسرون أن الضرب يكون غير مبرح، الذي لا يكسر عظماً، ولا يقطع لحماً، كالضرب بالسواك ونحوه"(٥)، وليعلم الزوج أن ترك الضرب من شيم الرجال، قال ابن حجر:(إن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالايهام لا يعدل إلى الفعل، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية)(٦)، ولكن هناك من النساء إذا لجأ زوجها إلى العفو عن ضربها، قد لا تعتبر، أو لا ترجع عن نشوزها، بل إنها قد تزيد نشوزاً، استخفافاً بالزوج، فلابد أن يراعي الزوج أن هناك من النساء اليوم من قد " أفسدهن تدليل الأزواج حتى بلغ من عصيانهن درجة النشوز الذي هو

---

(١) الزحيلي، أ.د. وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر: دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، (٥٦/٥).

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٦٤/٥).

(٣) قاسم، وأبوعمرة، **دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة والمجتمع**، (ص٢٦١).

(٤) الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد البصري البغدادي ٤٥٠هـ، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي(شرح مختصر المزني)**، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٤٢٣/١٣).

(٥) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٦٧/٥)، والسمعاني، **تفسير القرآن**، (٤٢٤/١)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٧٢/٥)، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٤٨/٢)، وابن الجوزي، **زاد المسير**، (٧٦/٢)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (١٧٤/٢)، والآلوسي، **روح المعاني**، (٢٥/٥).

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**، (٣٠٤/٩).

أشد نوع لعصيان الزوجة لزوجها، وهو الذي لا يبقى معه للقوامة أثر في نفس الزوج، وإذا رافق ضرب الزوج لزوجته غضب شديد مع تهديد ووعيد فلا يستبعد أن يوقظ في نفس الناشز الخوف من الزوج ثم المهابة منه مما قد يصلح حالها"(١). "وهذه العظة والهجر والضرب مراتب، إن وقعت الطاعة عند إحداها لم يتعد إلى سائرها"(٢)، وليس بالمقصود من الضرب هو العقاب، ولكن المقصود هو التأديب من أجل السعي في إصلاحها، حتى ترجع إلى الأصل الذي كانت عليه، وإذا عدلت المرأة عن النشوز في إحدى المراتب، فلا يجوز للزوج أن يعتدي عليها، فإن هذا ظلم وتعدي لا يرضاه الله، ولا يرضاه أحد، "فلا يطلب الأزواج طريقاً إلى التعدي عليهن، أو لا يظلموهن بطريق من الطرق بالتوبيخ اللساني والأذى الفعلي وغيره، وليجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن"(٣)، فإن هذا أحرى أن يؤدم بينهما، وقد أخبر الله تعالى أنه أعلى وأكبر وأعظم من الزوج وقدرته، فكما علم قدرة نفسه على الزوجة، فليتذكر قدرة الله عليه.

وأما عن نشوز الزوج، فقد أرشد القرآن الكريم المرأة إلى العلاج في قوله تعالى ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾(٤)، قال الشوكاني:(وظاهرها انه يجوز التصالح بأي نوع من أنواعه، إما بإسقاط النوبة أو بعضها، أو بعض النفقة، أو بعض المهر)(٥)، وإن لهذا العلاج خصائص للمرأة، من ذلك: "أن تنازل الزوجة عن بعض حقوقها يثمر بقاءها مما يجعل الزوج يتأثر بسبب صبر الزوجة عليه فيغير من نفسه، والخصيصة الأخرى: أن هذا الفعل راجع للزوجة وهو ليس فرضاً عليها، والخصيصة الأخرى: أن للزوجة الصابرة أجراً وثواباً من الله جراء

---

(١) ينظر: قاروت، **موقف الإسلام من نشوز الزوجين أو احدهما**، (ص١٥١).
(٢) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (٤٨/٢).
(٣) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، (٢٦/٥).
(٤) سورة النساء:١٢٨
(٥) الشوكاني، **فتح القدير**، (٥٢١/١).

صبرها، وحصول الخير والمنفعة لها في بقائها"(١)، وذلك أن الزوجة قد يكون وضعها بعد الفراق صعباً، مما يجعلها تحتاج لمن يكون معها ويقوم عليها.

ويقترح الباحث ما يلي:-

١-توعية الأزواج بمراتب الوعظ والهجر والضرب، وبيان طرق استخدامها من دون إفراط فيها، وعدم التلويح بالطلاق، وهذا كله يتم من خلال إقامة الدورات العلمية في ذلك.

٢-وجود وجود هيئات ولجان لحل الخلافات الزوجية، تشرف على أحياء المناطق، وتكون مفعلة ومجهز بشكل جيد، وتقوم بنشر الكتيبات في معالجة الخلافات الزوجية.

٣-إقامة الدروس والمحاضرات في كيفية تعامل كل من الأزواج مع الآخر في حال وجود ثمة خلاف أو نشوز.

---

(١) ينظر: قاروت، **موقف الإسلام من نشوز الزوجين أو احدهما**، (ص٣٠٧).

المطلب الثالث: بر الوالدين

لقد اهتم الدين الإسلامي بالأبوين اهتماماً عظيماً، وأمر بالإحسان إليهما، حتى أن الله -جل وعلا- جعل الأمر ببرهما والإحسان إليهما مقروناً في عبادته في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وهذا البر الذي يدعو إليه القرآن الكريم لم يقتصر على الدين الإسلامي فقط، بل هو منهج رباني دعت إليه كل الشرائع، مما يدل على أهميتها، وعظم شأنهما، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١)، "وقد سماه الله -جل وعلا- ميثاق؛ لعظمة الأمر وتأكيده"(٢)، وقال تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٣)، ومن الحكمة في أرداف عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين؛ "البيان أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره، ثم بعد نعمة الله فنعمة الوالدين أعم النعم؛ لأن الوالدين هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده كما أنهما منعمان عليه بالتربية، وأما غير الوالدين فلا يصدر عنه الإنعام بأصل الوجود، بل بالتربية فقط، فثبت أن إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى، وكما أن الله سبحانه هو المؤثر في وجود الإنسان في الحقيقة، فالوالدان أيضاً هما المؤثران في وجوده بحسب العرف الظاهر"(٤)، وقد جاء الأمر بالإحسان غير مخصوص، ليعم جميع أنواع الإحسان، "والإحسان نهاية البر فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية"(٥)، ومن الإحسان "معاشرة الأبوين بالمعروف، والتواضع لهما، وامتثال أمرهما، وسائر ما أوجبه الله على الولد لوالديه من الحقوق، ومنه البر بهما، والرحمة لهما، والنزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ويوصل إليهما ما يحتاجان إليه، ولا يؤذيهما وإن كانا كافرين، وأن يدعوهما إلى الإيمان بالرفق واللين، وكذا إن كانا فاسقين يأمرهما بالمعروف من غير عنف، ولا يقول لهما أف"(٦)، وقد جاء

---

(١) سورة البقرة:٨٣

(٢) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٣٨٨/١).

(٣) سورة النساء:٣٦

(٤) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (١٥١/٣).

(٥) رضا، **تفسير المنار**، (٣٠٣/١).

(٦) الفتوحي، محمد صديق حسن خان، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، تحقيق: د. مصطفى خان ومحيي الدين ستو، الرسالة: بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ، (ص٢٢).

صاحب المنار بعلة أخرى في سبب اقتران الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله، ورد فيها على من قال أن العلة أنهما كانا سبباً في وجوده، حيث قال:(والعلة الصحيحة في وجوب هذا الإحسان على الولد هي العناية الصادقة التي بذلاها في تربيته، والقيام بشؤونه أيام كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً، لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يقدر أن يدفع عنها ضرراً، إذ كانا يحوطانه بالعناية والرعاية، ويكفلانه حتى يقدر على الاستقلال والقيام بشأن نفسه، فهذا هو الإحسان الذي يكون منهما عن علم واختيار، بل مع الشغف الصحيح والحنان العظيم، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وإذا وجب على الإنسان أن يشكر لكل من يساعده على أمر عسير فضله، ويكافئه بما يليق به على حسب الحال في المساعد، وما كانت به المساعدة، فكيف لا يجب أن يكون الشكر للوالدين بعد الشكر لله - تعالى - وهما اللذان كانا يساعدانه على كل شيء أيام كان يتعذر عليه كل شيء؟!)(١)، وما هذه الدعوة الإلهية إلا من أجل الإصلاح الأسري، وذلك أن مناط الأسرة يدور حول الأبوين، فهما اللبنة الأساسية للأسرة.

وقد جاء القرآن الكريم بأجمل معاني الإحسان إلى الوالدين، وأمر بأشد أنواع الرحمة لهما، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾(٢)، "بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء؛ لتنعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات، ولسرعان ما ينسى الأبناء ما فعله الآباء من تضحية لهم، فقد جاء الأمر ليذكرهم بواجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف!، ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال، وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة، ومشاعر الحب والعطف والحنان، بقوله تعالى ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ والكبر له جلاله، وضعف الكبر له إيحاؤه، وكلمة ﴿عِندَكَ﴾ تصور معنى الالتجاء والاحتماء في حالة الكبر والضعف، ومن ثم قال تعالى ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب، ألا يند من الولد ما يدل على

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، (٣٠٣/١).
(٢) سورة الإسراء ٢٣/١٧-٢٤

الضجر والضيق، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب، ثم قال تعالى ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ وهي مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام، ثم قال تعالى ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ وهنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان، فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عيناً، ولا يرفض أمراً، وكأنما للذل جناح يخفضه إيذاناً بالسلام والاستسلام، ومن ثم يختم قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فهي الذكرى الحانية، ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الولدان، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان، وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل، وجناب الله أرحب، وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء"(١).

وقد بين القرآن الكريم مدى العناء الذي رافق الوالدين منذ الولادة، وما بعدها من تربية وعناية وإشراف وسهر وقضاء للحوائج، ولم يجعل أيضاً هذا البر في حالة كون الأبوان مسلمين فقط، بل إنه في حالة الكفر أيضاً، قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾(٢)، "وبر الوالدين لا يقتصر على الوالد المسلم أو الأم المسلمة، بل الابن مطالب ببرهما حتى وإن كانا كافرين، وليس هذا فحسب، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما، من غير طاعة لهما في الشرك"(٣)، وما أعظم هذا البر والإحسان والعناية الذي يصاحب الوالدين مع شدة كفرهما بالله، وما أعظمها من رحمة، يكفرون به ويشكرهم!، وإذا كان هذا "أمر الله تعالى بمصاحبة هذين بالمعروف، مع هذا القبح العظيم الذي يأمران ولدهما به وهو الإشراك بالله تعالى، فما

---

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٢٢١/٤).

(٢) سورة لقمان:١٤-١٥

(٣) السدحان، د. عبدالله بن ناصر بن عبدالله، **تخلي الأبناء عن الوالدين**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، رجب ١٤٢٠هـ، العدد السابع والعشرون، (٥٠٨/١).

الظن بالوالدين المسلمين، لاسيما إن كانا صالحين، تالله إن حقهما لمن أشد الحقوق وآكدها، وإن القيام به على وجهه أصعب الأمور وأعظمها، فالموفق من هدي إليها والمحروم كل المحروم من صرف عنها"(١).

وللحصول على هذا البر من الأبناء لابد من أسباب يسعى لها المؤمن، "وهذه الثمرة لا تتم وتؤتي أكلها إلا إذا أحسن الوالدان تربية أبنائهما، وتوجيههم الوجهة الصالحة السليمة، فالابن الفاسد الفاسق لا يُتوقع منه أن يقدم لوالديه خيرًا كثيرًا في حياتهما، فكيف بعد مماتهما؟!!، وإذا كان الإسلام جعل الأبوين اللبنة الأساسية للأسرة، وأكد في مواقف كثيرة على حقهما، ودعا إلى البر بهما، فإن في ذلك صلاح المجتمع كله، وفيه وقاية من الجريمة والانحراف، حيث بذلك تنتشر روح التعاطف والتراحم والتواصل، فالابن اليوم أبٌ غدًا، والبنتُ اليوم أمٌ غدًا، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يبر بالوالدين في الغالب إلا الصالح من الأبناء، وإذا بر الابن أبويه فإن أبناءه سيبرونه عندما يكبر، ولذلك فإن على الوالدين أن يجعلا من نفسيهما قدوة لأبنائهما، ومثالاً يحتذى في الأخلاق والسلوك والمعاملة"(٢)، فهكذا حرص القرآن الكريم على إصلاح الأسرة، وهكذا حرص على إصلاح ما في النفوس من تضجر وتأفف وعقوق من الوالدين، فقد جعل المولى السعي في برهما والإحسان إليهما سبباً في دخول الجنة كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((الزمهما، فإن الجنة تحت أرجلهما))(٣).

ويقترح الباحث ما يلي:-

(١) الهيثمي، **الزواجر**، (٦٥١/٢).

(٢) ينظر: الزهراني، **بنية الأسرة المسلمة وأثرها في استقرار المجتمع**، (٥٧٥/١).

(٣) الطبراني، **المعجم الكبير**، حديث رقم: ٢٢٠٢، (٢٨٩/٢)، وقال المنذري: إسناده جيد، في الترغيب والترهيب، (٢١٧/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات، (١٣٨/٨)، وقال الألباني: حسن صحيح، في صحيح الترغيب والترهيب، (٣٢٧/٢)، وروي الحديث بنحوه (اقتصارا على قوله: فإن الجنة عند رجلها) أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ١٥٥٧٧، (٤٢٩/٣)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٢٧٨١، (٩٢٩/٢)، والنسائي، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب ٣٠٣هـ، **المجتبى من السنن(سنن النسائي الصغرى)**، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، حديث رقم: ٣١٠٤، (١١/٦)، والحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، حديث رقم: ٢٥٠٢، (١١٤/٢)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية: حديث حسن، (٤٦٣/١)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه: حسن لغيره، (٧٢/٤)، وقال أيضا شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده حسن، (٢٩٩/٢٤).

١-توعية الأبناء في المدارس والجامعات، وبيان حقوق الآباء عليهم، وبيان خطورة العقوق والتحذير منه.

٢-اتخاذ أشد العقوبات على العاق؛ ليرتدع سائر المجتمع، من خلال حرمان العاق من خيرات الدولة إذا ثبت عقوقه؛ ليرتدع من هذا العقوق.

المطلب الرابع: الإرشاد والعدل بين الأبناء

إن القرآن الكريم حافظ على تلاحم الأسرة واستقرارها، واغلق كل ما يؤدي إلى خلاف بينهم واضطراب، فقد أرشد الأسرة إلى كيفية التعامل فيما بينها، ومن ذلك أن يحرص الأب على أسرته من خلال الأمر بأداء العبادات والحفاظ عليها، فهذا نبي الله إسماعيل -عليه السلام- يخبر القرآن الكريم بأنه كان يحرص على أهله ويأمرهم بأداء العبادات، قال تعالى ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾(١)، وقال تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾(٢)، "إن الاشتغال بدعوة الأهل أولى من الاشتغال بغيرهم؛ لأنهم الأهم، فالرجل يبدأ بنفسه فيكملها، ثم بتكميل من هم أقرب الناس إليه وهم أهله"(٣)، وعلى الأب أن يكون قدوة حسنة لأبنائه حتى يقتدوا به، وعلى الأسرة أن تنصح بعضها بعض، من استخدام الموعظة الحسنة والترغيب والترهيب، فقد خاطب القرآن الأسرة بأكملها، وأمرها أن تتقي عذاب الله من خلال اجتناب نواهيه التي جاءت في كتابه، وعلى لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾(٤)، "فهذا أمر ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام حق الإدراك، وإن أول الجهد ينبغي أن يوجه إلى البيت، فيبدأ أولاً بالنفس ثم بالوالدين ثم بالزوجة ثم بالأولاد ثم بسائر الأهل"(٥)، هكذا ينبغي أن تتناصح الأسرة فيما بينها، "وتعليم بعضهم بعضاً ما يتقون به النار ويدفعونها عنهم، من خلال حملهم على النصح والتأديب، وما هذه إلا طاعة لله تعالى وامتثال أوامره"(٦)، والأخوة أيضاً عليهم أن يتناصحون فيما بينهم، فهذا موسى يدعو وينصح أخاه هارون -عليهما السلام- وينصحه، قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ

---

(١) سورة مريم:٥٥
(٢) سورة الشعراء:٢١٤
(٣) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (١٩٩/٢١).
(٤) سورة التحريم:٦
(٥) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٦١٩/٦).
(٦) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (١٦٢/٢٨).

ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾(١)، "وموسى يعلم أن هارون نبي مرسل من ربه معه، ولكن المسلم للمسلم ناصح، والنصيحة حق وواجب للمسلم على المسلم، فقد تلقى هارون النصيحة، ولم تثقل على نفسه!، فالنصيحة إنما تثقل على نفوس الأشرار"(٢).

وعلى الأسرة أن تتعاون فيما بينها، وأن يكون هناك احترام متبادل، ولا يبخس أحد حق الآخر، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾﴾(٣)، "العدل هو من قارب وسدد وغلب خيره على شره"(٤)، "فدلت هذه الآية على اشتراك المتعاونين على الخير فى الأجر"(٥)، ولابد من الصلح بين الإخوة، فهو أمر مطلوب، حتى تنعم الأسرة بالتماسك والتكافل والاستقرار، قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾(٦)، "فإصلاح ذات بينهم برفع حجب أستار البشرية عن وجوه القلوب، ليتصل النور بالنور من روزنة القلب، فيصيروا كنفس واحدة"(٧)، وعلى الأب أن يتق الله في أولاده، وذلك أن الشريعة أوجبت عليه أن يربيهم تربية إيمانية صالحة، وأن يرشدهم إلى المصالح الدينية والدنيوية، وأن يغلق عليهم باب الشهوات، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع))(٨)، أي: "يأمرهم الولي بحضور الصلوات في الجماعة، وسائر الوظائف الدينية، ويعرفهم تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة وشبهها"(٩)، "ويفرقهم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشراً، حذراً من غوائل الشهوة، ولئلا

---

(١) سورة الأعراف:١٤٢
(٢) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (١٣٨٦/٣).
(٣) سورة المائدة:٢
(٤) الصنعاني، محمد بن إسماعيل ١١٨٢هـ، **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار**، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة السلفية: المدينة المنورة، (٢٨٥/٢).
(٥) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (٤٢٦/٣).
(٦) سورة الحجرات:١٠
(٧) الآلوسي، **روح المعاني**، (١٧٠/٢٦).
(٨) أبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٤٩٥، (١٣٣/١)، وصححه الألباني، في إرواء الغليل، (٧/٢).
(٩) ينظر: النووي، **المجموع**، (٥٩٣/١).

يقفوا مواقف التهم"[١]، وعلى الوالد أن ينفق على أهله ويكسوهم، ويقضي حوائجهم، وكل ذلك بالمعروف دون بخل ولا إسراف، فهذا واجب عليه؛ لأنه راع عليهم، ومسؤول عنهم، قال تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾[٢]، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك))[٣]، فالأب لابد أن ينظر في مصالح بيته من زوجة وأولاد، وعليه "مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية، والولاية، والقيام بحقوق الأهل، والصبر على أخلاقهن، واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن، وإرشادهن إلى طريق الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربيته لأولاده، فكل هذه أعمال عظيمة الفضل، فإنها رعاية وولاية، والأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم"[٤].

وعلى الأب أن يكون عادلاً بين أبنائه، فلا يظلم أحداً، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[٥]، وفي الحديث أن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- وهو على المنبر يقول:((أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا، قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فرد عطيته))(٦)، فالإسلام ينهى عن التفريق بين الأولاد، "أو تقديم بعضهم على بعض، فأوصى بمساواتهم في الإرث، ومنع حرمان أحدهم منه، ومنع الوصية للوارث إلا برضى بقية الورثة، وقد سُئل أعرابي

(١) ينظر: المناوي، **فيض القدير**، (٥٢١/٥)
(٢) سورة الطلاق:٧
(٣) مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٩٩٥، (٦٩٢/٢).
(٤) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٣١/٢).
(٥) سورة النحل:٩٠
(٦) البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٢٤٤٧، (٩١٤/٢).

عن أحب أولاده إليه، فقال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى، والغائب حتى يعود، فالعدل بين الأولاد يشعرهم بأنهم سواسية، فلا يحقد أحد ولا يشعر بالغبن، بينما التفريق في المعاملة، وتفضيل بعض الأبناء على بعض يولد الغيرة والحقد، ومن ثم قد تكون سبباً للانحراف والوقوع في الجريمة بهدف الانتقام من الأسرة، ولهذا تعتبر المساواة بين الأبناء من أهم عوامل الاستقرار الأسري، ومن أهم عوامل الوقاية من الجريمة والانحراف"(١)، وقد حرصت الشريعة وكفلت للأولاد حقوقاً كثيرة، من بينها "حقوقهم في النسب والرضاعة والحضانة، ولا عجب في أن تأمر الشريعة بالعدل في المعاملة بين الأولاد: في الأمور المادية، والأدبية، فهي التي أمرت بالعدل بين جميع الناس، وقد أمر الله تعالى بالعدل في أكثر من موضع في القرآن الكريم"(٢).

ولتحذر الأسرة مما ينتج عن النزاعات والخصومات من تقطيع للأرحام، فقد جعل الله تعالى قطع الأرحام من الإفساد في الأرض، وجعل عقوبته اللعن، مما يدل على عظم شأنه، قال تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾(٣)، وذلك "أن من مبادئ الإسلام الاجتماعية الأولى: تشبيك جماعات المسلمين في وحدة جسدية جماعية عامة، وأولى الناس بذلك الأقربون رحماً، فلهم حق أخوة الإسلام، ولهم حق قرابة الرحم"(٤).

ويقترح الباحث ما يلي:-

١-اتباع المنهج النبوي في تربية الأبناء في تعليمهم الصلاة لسبع وضربهم عليها لعشر، والتفريق بينهم في المضاجع، وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وتعليم الأبناء في البيوت بما أوجبته الشريعة الإسلامية عليهم من خلال إقامة دروس بشكل دوري في بيت الأسرة.

٢-اجتماع سائر أفراد الأسرة على موائد الطعام دون تغيب.

---

(١) ينظر: الزهراني، **بنية الأسرة المسلمة وأثرها في الاستقرار الاجتماعي**، (٥٧٩/١).

(٢) ينظر: القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، **الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة**، مطبعة سفير: الرياض، (ص١٥٣).

(٣) سورة محمد:٢٢-٢٣

(٤) الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، (٣٦/٢).

٣-توفير الصحبة الصالحة للأبناء ومتابعتهم.

٤-تنظيم رحلات خارجية دورية للأسرة للخروج من خلافات البيت والملل؛ حتى تتفاعل قلوبهم.

المبحث الخامس: المعوقات التعليمية

المطلب الأول: الجهل

لقد أنعم الله على الإنسان بنعم عظيمة؛ ليتفكر في خالقه ومخلوقاته، وحث الله على التعلم والتدبر والتعقل، الذي يهدي إلى معرفة الله تمام المعرفة، وأنه بهذا تورث الخشية، حيث يقول تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾(١)، وفي هذه الآية: دليل على أن العبد كلما ازداد علماً ازداد خشية من الله، قال ابن كثير:(إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر)(٢) ، ولقد امتن الله على عباده بأن علمهم ما يحتاجونه، فمن عَلَّمَ الطفل كيف يشرب ويأكل ويمشي، ومن فطره على ذلك غير الله -جل وعلا-، قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾(٣)، فيخبر الله في هذه الآية "أنه أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً ولا يعقل، فرزقهم العلم والفقه والتميز بين الخير والشر؛ ليهتدوا به"(٤).

ولقد حث الله في كتابه على التعلم، ومدح العلم، وذم الجهل، قال تعالى ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾(٥)، فالله يأمر عباده أن يأخذوا العلم وينبذوا الجهل، وفساد التعليم لا يأتي غالباً إلا من الجهل، وذلك أن "الآفات التي تصيب الأمة لا تدخل إلا من باب الجهل بالعلوم ومراتبها، والحق والباطل منها"(٦)، والجهل "لا يأتي من ورائه خير، ولا يعد عذراً عن

---

(١) سورة فاطر:٢٨

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣/٥٥٤).

(٣) سورة النحل:٧٨

(٤) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٤/١٥٢).

(٥) سورة مريم:١٢

(٦) ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن ٩٠٢هـ، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، دار الكتب العلمية: لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (٣/٣٦٠).

العلم"(١)، ولا يجني على مرتكبه إلا الشر والهلاك، وعلى الأمة بالرجوع والتقليد والفساد، ولقد بين الله -جل وعلا- في كتابه كيف كان الناس في ضلال وجهل فأنعم الله عليهم بالعلم الذي انقذهم من الجهل، قال تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(٢)، وذلك أن "الأمة كانت في جهل وضلال وظلام فأنعم الله عليها بنعمة العلم"(٣) الذي أنهضها وأرشدها إلى الحق وطريق الخير، "ولو ظهرت صورة الجهل لكان منظرها أقبح منظر، وكل شر وفساد حصل في العالم، ويحصل إلى قيام الساعة وبعدها في القيامة، فسببه الجهل ومخالفة العلم"(٤)، وقد أقسم الله -جل وعلا- بآلة العلم وهي القلم الذي تبعث منه العلوم في الكتابة والتأليف، إنها الآلة التي كتب بها القرآن الكريم، مما يدل على قيمة العلم وشر الجهل، قال تعالى ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾(٥)، فالله تعالى يقسم بالحرف والقلم تعظيماً لهما، ولكي يحث خلقه على النهوض بالعلم ويتركوا الجهل الذي أوردهم المهالك، "فقد جاء تعظيم العلم في وسط أمة لم تكن اليوم تتجه إليه، فغلب عليها الجهل، فأصبحت في علم متخلف ونادر، بدلاً من أن تجعل نفسها من هذا العلم أكثر نمواً، وانتشاراً بينها، عملاً بما أكرمها الله به؛ لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض، ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة، قيادة العلم والكتابة التي تعد عنصراً أساسياً للنهوض بهذه المهمة الكبرى"(٦)، وإن الجهل سبيل لدخول الشيطان، حيث إنه يزين لهم جهالتهم، ويوحي لهم بأنهم إنما هم على علم وهداية، وكما قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾(٧)، إن الأمة بجهلها قد

---

(١) ينظر: الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، (٢٩/٦).
(٢) سورة البقرة:٢١٣
(٣) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (٢١٣/١).
(٤) ينظر: ابن القيم، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الجوزية ٧٥١هـ، **مفتاح دار السعادة**، دار الكتب العلمية: بيروت، (١١٦/١).
(٥) سورة القلم:١
(٦) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٣٦٥٤/٦-٣٦٥٥).
(٧) سورة البقرة:١١

نكصت[١] عن الأمانة التي عهدها الله إليها، قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[٢] ، ولعمر الله أنَّ الناظر في حال الأمة اليوم وما أصابها من تخلف في التعليم وسائر العلوم ليتعجب!، ويحزن عليها، ويتساءل هل هذه أمة اقرأ التي نزل عليها القرآن وأخرجها من الظلام إلى النور، الأمة التي أول ما أنزل عليها كلمة (اقرأ)؟!، قال تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[٣]، قال محمد عبده:(لا يوجد بيان أبرع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله كتابه وابتداءه الوحي بهذه الآيات الباهرات، فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى، ولم ينبههم النظر فيه إلى النهوض إلى تمزيق تلك الحجب التي حجبت عن أبصارهم نور العلم، وكسر تلك الأبواب التي غلقها عليهم رؤساؤهم وحبسوهم بها في ظلمات من الجهل، وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين، ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع، فلا أرشدهم الله أبداً)[٤]، إن أمة اقرأ هي الأمة التي بعلمها يئس الشيطان منها، العلم الذي دلها على مكايد الشيطان وحذرها منه، "وذلك أن الشيطان يلعب بأهل الجهل إذا اشتغلوا بأمر من الأمور بغير علم، فإنه يتبعهم ويزين لهم الجهل، ويكيد لهم حتى يحبط عملهم، ثم يضحك ويسخر منهم"[٥]، ومن ذلك التزيين أنك قد تجد جاهلاً وتحثه على العلم، ولكنه يأبى ذلك، وإذا تركته ظن أنك تتكبر عليه أو تسخر منه؛ لأنه يعلم أن الجهل مذموم، فلا يريد أن يتصف به، وليته تركه واتصف بما هو خير منه، "فالجهل قبيح، ولا يحب المرء الاتصاف به، ولا يرضاه، ولو قلت للجاهل: يا جاهل

---

(١) النُّكوصُ: الإحْجامُ والانقِداعُ عن الشيء، تقول: نكصَ على عقبيه: أي: رجع عما كان عليه من الخير، ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عن الخير خاصة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (١٠١/٧).
(٢) سورة الأحزاب:٧٢
(٣) سورة العلق:١
(٤) عبده، محمد، **تفسير جزء عم**، مطبعة مصر: مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٤١هـ، (ص١٢٤).
(٥) ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (١٤٥/٣).

لا تفعل كذا أو لا تقل كذا، لغضب عليك"(١)، وللجهل أثر على وجه صاحبه ونفسه، فتجد فيه "قبح في صورة النفس وسواد في وجهه، ومع ذلك هو ملوم على جهله"(٢).

وإن في إحلال الجهل وذهاب العلم "إيذاناً بفساد وهلاك المجتمع وفنائه، وذلك أن الجهل باب الرذائل، ومدخل الفواحش، وأساس كل الآثام والشرور"(٣)، وظهور الجهل فتنة وعلامة من علامات الساعة، إذ يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا))(٤)، قال الغزالي:(إن الجهل أفحش المعاصي، وأعظم شيء يبعد العبد عن الله)(٥)، والجاهل "ما عصى الله -عزّ وجل- بشيء أعظم وأشر من الجهل"(٦)، قال تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾(٧)، يقول العلماء في هذه الآية: فرق الله "بين العلم الذي يرفع الله به سالكه، والجهل الذي يُهبط صاحبه، وفيها تشريف وتنبيه على فضل العلم"(٨)، وفي قوله ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يخبر-جل وعلا- أن من يعتبر ويتعظ ويتفكر بهذا الفرق وسائر حجج الله هم أهل العلم والعقول، لا أهل الجهل والنقص في العقول؛ لأن لهم علماً وعقولاً ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل،

(١) ينظر: الجزائري، **أيسر التفاسير**، (١٠٥/٤).
(٢) ينظر: الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٣٢٩/٢).
(٣) ينظر: يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٣٠٠).
(٤) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٨٠، (٤١/١)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٦٧١، (٢٠٥٦/٤).
(٥) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (٣٥٠/٣).
(٦) ينظر: أبوطالب المكي، **قوت القلوب**، (٣٩٤/٢).
(٧) سورة الزمر:٩
(٨) ينظر: السمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد ٣٦٨هـ، **بحر العلوم**، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر: بيروت، (١٧١/٣)، والواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (٩٣٠/٢)، والسمعاني، **تفسير القرآن**، (٤٦١/٤)، والزمخشري، **الكشاف**، (١١٨/٤)، والبيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٦٠/٥)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٤٥/٧)، والشوكاني، **فتح القدير**، (٤٥٣/٤)، والآلوسي، **روح المعاني**، (٢٤٦/٢٣).

فإنه يتخذ إلهه هواه"(١)، وليعلم المسلم أن مثل "العلم والجهل في تفاوت الناس فيهما كمثل الجنون والعقل"(٢).

وهناك صورة من صور الجهل التي تحدث عنها القرآن الكريم، وهي أن بعض الناس يصدق أيَّ خبر يسمعه، دون تفكر ولا تعقل ولا سؤال؛ لأنهم لم يرجعوا ليسألوا أهل العلم والاختصاص في ذلك، وليس لديهم الآلة التي يستطيعون من خلالها تمحيص الأخبار التي تردهم، وهي آلة العلم، ولو فعلوا ذلك لعلموا حقيقة ما يردهم، وأمثال هؤلاء كثير في عصرنا الحاضر، وهو ما يسمى اليوم (الإشاعات)، وهذا نابع من جهلهم، قال تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾(٣)، فهؤلاء القوم لم يرجعوا إلى أهل العلم ليعرفوا مدى صدق ما تأتيهم من أخبار وعلوم، "بل ينقلون كل ما يسمعونه من أخبار، فيؤذوا بها الناس دون تمحيص ولا تثبت"(٤)، ومن الصور ما ابتليت به الأمة من بعض الناس الذين يفتون من غير علم، فضلوا وأضلوا، وليتهم رجعوا لأهل الاختصاص منهم، وأخذوا بقول الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾(٥)، ومن مفاسد الإفتاء بغير علم ما بينته السنة النبوية، ففي الحديث عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنه-، قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر، فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم، فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر بذلك فقال:((قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر -(أو يعصب) شك من الراوي- على جرحه

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٢٠٣/٢٣)، وأبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٤٥/٧)، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤٨/٤)، والشوكاني، **فتح القدير**، (٤٥٣/٤)، والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٧٢٠).
(٢) ينظر: أبوطالب المكي، **قوت القلوب**، (٢٣٦/١).
(٣) سورة النساء:٨٣
(٤) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٠٨/٢٢).
(٥) سورة الأنبياء:٧

خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده))(١)، هذا ما كان في نتيجة الجهل، تسببوا في قتل الرجل، ومن ثم أصابتهم أيضاً دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن الجهل أيضاً أن هناك من الناس من يشتغل بعلوم لا تنفعه، فيبقى في ظلمات الجهل غارقاً، قال ابن القيم:(الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضاً إلى مرضه، لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه؛ بسبب جهله بالعلوم النافعة التي هي شرط في صحته وبرئه)(٢).

وللجهل أثر كبير في تدني التعليم، وذلك "أن الجهل وتدني مستوى التعليم لدى الأسرة والشاب، عامل مهم أدى إلى سهولة انقيادهم للمؤثرات الخارجية"(٣)، وقد أدى إلى فساد التعليم، "وجعل الأمة في تخلف وضلال وبعد عن التقدم"(٤)، وجعلها في حاجة إلى غيرها، وعالة عليهم.

ومن أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الجهل هو كتمان العلم، فالبعض عنده من العلم ما ينفع به أقوام، ولكن لا يؤدونه بالشكل المطلوب، فهناك من المعلمين والمختصين يؤدي عمله في عمله الحكومي بشكل ضعيف، وفي خارج العمل كالجهات الأهلية يؤديه بغاية الجودة والوضوح، وهذا من ضياع الأمانة وكتمان العلم، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾(٥) ، فهؤلاء كتموا العلم فضَلوا في ضياعهم للأمانة، وأضَلوا الناس في عدم إتقانهم في توصيل هذا العلم للناس، مما أدى إلى فشو الجهل، "ويلحق بهذا عدم نشر العلوم المفيدة للأمة، التي تساعد على ارتقائها وقوتها، فمن يقوم بحجب هذه العلوم وطمسها، واستبدالها بما لا ينفع الأمة -مهما كان موقعه ومنصبه- فهو في حقيقة الأمر مفسد يستحق

(١) أبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٣٣٦، (٩٣/١)، وبنحوه ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٥٧٢، (١٨٩/١)، صححه الألباني في الجامع الصغير، (٨٠٤/٢).
(٢) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، (١٩/١).
(٣) ينظر: الدخيل، د. محمد بن عبدالرحمن بن فهد، **دور التربية في التصدي لمشكلة المخدرات**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، شوال ١٤٢٣هـ، العدد الأربعون، (٤٧٣/١).
(٤) ينظر: ياسين، **الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، (ص٣٣).
(٥) سورة البقرة:١٥٩

لعنة الله والناس أجمعين"(١)، وإن العلم لا يقود إلا إلى طريق واحد وهو الطريق النافع، والجهل والحماقة لا تؤدي إلا إلى الانحراف، وحتى لو ادعى هؤلاء الجهال والحمقى العلم كما يدعيه الكثيرون"(٢)، فالجاهل أعمى حتى يتعلم، فإن تعلم أبصر حقيقة الجهل الذي كان فيه، قال تعالى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾(٣)، "أعمى عن مشاهدة العلم والخير، لا يعطي للعلم والحق قدره، ولا يتعظ بضرب الأمثال؛ لأنه حائر في ظلمات الجهل "(٤).

فالقرآن الكريم حرص أشد الحرص وحذر في غير موضع من هذا المعوق، فما أعاق الأمة اليوم إلا الجهل، وما جعلها أمة متأخرة لا يعد لها أي حساب إلا بسبب الجهل، وكم من جاهل وقع بسبب جهله في الفواحش والرذائل، وكم من شائعة انتشرت بسبب الجهل، وكم من جاهل ضل بسبب فتوى نابعة عن جهل، وكم أمة أصبحت متدنية في تعليمها نتيجة الجهل، وكم من أمة انقادت للمؤثرات الخارجية بسبب الجهل، بل وكم من أمة تحللت من دينها بسبب الجهل؟!!، وأعظم ما يعيقه هذا الجهل هو عدم التمييز بين الحق والباطل، والله المستعان.

---

(١) ينظر: ياسين، **الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، (ص٣٣).
(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (١٣٦٦/٢).
(٣) سورة الرعد:١٩
(٤) ينظر: أبوالسعود، **إرشاد العقل السليم**، (١٦/٥).

المطلب الثاني: التضليل والغش

إن الإنسان مفطور على الخير، وعلى قبوله الحق دون تكبر، قال تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١)، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء))(٢)، أي: "أن كل مولود يولد على الفطرة التي جُبل عليها، وهي فطرة الإقرار بالله تعالى بأنه خالقهم"(٣)، ومن ثم جاء الشيطان وسعى في تضليلهم عن طريق الحق الذي سلكوه، وأخذ عهداً على الله وعلى نفسه في تضليل بني آدم كما أخرج أبوينا من الجنة، قال تعالى -حاكياً قوله- ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَامِ﴾(٤)، "الإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل، وقيل :الإضلال: هو الإهلاك"(٥)، وفي الآية الشيطان "يدعوهم إلى الضلالة ويزينها لهم، ولو كان بيده إضلال العباد لأضل الكل، ولكن ليس له إلا دعوتهم"(٦)، "والتضليل فيه تلبيس وتدليس على الناس؛ حتى لا يعرفوا الحق، فقد يلبس أحدهم على الناس بين الحق والباطل فلا يستطيعون تميزه، وقد يلبس عليهم في العلم؛ لضعف نفس المتلبس وجهله، وهذا يأتي بدافع الحسد والعداء"(٧)، قال تعالى ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ

---

(١) سورة الروم:٣٠

(٢) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ١٣١٩، (٤٦٥/١)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٦٥٨، (٢٠٤٧/٤).

(٣) ينظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري ٢٧٦هـ، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل: بيروت، ١٣٩٣هـ، (ص١٢٩)، وابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري ٢٧٦هـ، **غريب الحديث**، تحقيق: د.عبدالله الجبوري، مطبعة العاني: بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ، (٣٥٠/١).

(٤) سورة النساء:١١٩

(٥) السمعاني، **تفسير القرآن**، (٦١/١).

(٦) ينظر، النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (٢٥٣/١).

(٧) ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، (٤٢/٨).

تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾[(١)]، فهؤلاء القوم سعوا في تضليل الناس من خلال التلبيس عليهم، وكتمان الحق عنهم، فالتضليل كذب على الناس، وكتمان للعلم الذي يهدي الناس إلى الخير، ويحجب ما يصلح الله به أحوال الأمة في تعليمها ونهوضها، وما أكثر شعارات التضليل اليوم، وإن أكثر من رفع شعارات التضليل هم اليهود منذ قديم الزمان، قال تعالى ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾[(٢)]، ففي الآية "يخبر المولى عن كيد اليهود وتضليلهم للعباد، بدافع الحسد والبغي والمكر"[(٣)]، ومن أساليبهم في الغش والتضليل وصرف الناس عن الحق: الكيد، فالكيد ديدن اليهود، قال تعالى عنهم ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾[(٤)]، فمن كيد اليهود في التضليل "أنهم قالوا لبعضهم البعض: أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك فلعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا، لعلهم ينقلبون عن دينهم، ويرجعون إلى دينكم"[(٥)]، وأسلوب التضليل هذا موجود حتى في التعليم، فهناك من يسهم في تضليل الناس عن الارتقاء بالتعليم، وهذه قد تكون حملات كبيرة وعلى مستوى دولي يتولاها اليهود ومن يقف بجانبهم، حتى لا ينهض ولا يقوم للإسلام قائمة؛ لأنهم يعلمون جيداً أن في تطور المسلمين وارتقائهم في التعليم ضرراً عظيماً عليهم؛ لأنهم أشد أعداء المسلمين، والتضليل في التعليم أخطر الأساليب على الإطلاق، إذ أن فيه تلقيناً للعقول البريئة الصافية الجاهلة، فيأخذ المتلقن ما يسمع دون معرفة أو إدراك بالحقيقة، وهذا أعظم الغش، وهو من التضليل الفكري، ونتيجة ذلك أن الأمة تنشأ دون تميز بين الحق والباطل، بل قد يرون أن الباطل هو الحق نتيجة هذا التدليس والتنزين، وهذا نوح -عليه السلام- يدعو الله أن يزيل هؤلاء المضلين، ويعلل ذلك بأن بقاءهم خطر على العباد، وأن العباد إذا سلكوا سبل الضلال وقعوا في الشر، وبالتالي لا ينتج عنها إلا الباطل، وقد بين الله تعالى ذلك -حاكياً قول نوح- ﴿وَقَالَ

---

(١) سورة آل عمران:٧١

(٢) سورة آل عمران:٦٩

(٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٧٤/١).

(٤) سورة آل عمران:٧٢

(٥) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، (٣١١/٣)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١١١/٤).

نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ۝٢٧﴾(١) "فهؤلاء المضلين يطلقون في جو الجماعة أباطيل وأضاليل، وينشأون عادات وأوضاعاً ونظماً وتقاليد، ينشأ معها المواليد ضُلالاً فجاراً كفاراً، فأراد نوح من دعوته غسل وجه الأرض من ذلك الشر، وجرف العواثير التي لا تجرفها إلا قوة الجبار القدير"(٢) ، فهم بسبب ما مارسوه من غش وتضليل أفسدوا كثيراً من الأمم، إذ يقول نوح عنهم في قوله تعالى ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾(٣).

وإن للملأ من سادة ورؤساء في المجتمع تأثيراً خطيراً على تضليل التعليم، وذلك أن كثيراً منهم وضع يده بيد أعداء الدين، لتضليل التعليم من أجل مصالحهم الشخصية، حتى أن الأعداء من بعض الدول لا يعترفون بالدولة ولا يعطونها امتيازات حتى تساهم في تظليل الناس وغشهم في التعليم تحت اسم الحرية والديمقراطية، حيث إنهم ينفقون الأموال الباهضة من أجل تحقيق رغباتهم الخبيثة، قال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾(٤)، وهناك قراءة ﴿لِيَضِلُّواْ﴾(٥) فهذا فرعون ومعه ملأه ينفقون كل ما لديهم من أموال؛ حتى يستعبدوا الناس ويضلونهم عن ما ينفعهم، فضَلوا أولاً ثم أضَلوا، "فهم إذا ضَلوا في أنفسهم وهم قادة قومهم كان ضلالهم تضليلاً لغيرهم، وكذلك إذا أضلوا الناس فإنهم ما أضلوهم إلا وهم ضالون مثلهم"(٦)، وفي قوله ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ أي: "لتكون عاقبة هذا العطاء إضلال عبادك عن سبيلك الموصل إلى مرضاتك باتباع الحق والعدل والعمل الصالح، ذلك بأن الزينة سبب الكبر والخيلاء والطغيان على الناس، وكثرة الأموال تمكنهم من ذلك وتخضع رقاب الناس

---

(١) سورة نوح:٢٦-٢٧
(٢) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٢٧١٧/٦).
(٣) سورة نوح:٢٤
(٤) سورة يونس:٨٨
(٥) هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمر وابن عامر وغيرهم، على معنى: ليَضلوا في أنفسهم، ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (١٣٩/٣).
(٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٧٠/١١).

لهم"(١)، "وإغراء الناس يكون بأمرين: **الأول:** بمظهر الشخصية التي أمامهم بما لديهم من نعمة، **والثاني:** بما لديه من مال يقوم فيه بتضليل وإذلال الآخرين وإغوائهم، ووجود هذه النعم كلها لا شك أنه يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعمة ابتلاء واختبار"(٢)، وهذا حال كثير من الكبراء والرؤساء، بل والدول كذلك، يأخذون الأموال؛ ليصدوا أنفسهم عن ما ينفعهم، وليصدوا غيرهم عن ما ينفعهم أيضاً.

وهناك من المضلين من يغتر به الناس لجاهه أو منصبه، وهو يسعى في تضليل المجتمعات تعليمياً، فيصدر تصريحات وقرارات تساهم في إضلالهم، ومن ذلك ما تواجهه بعض المجتمعات من تضليل في مناهجها التعليمية، فخلطوا بين الغث والسمين، وهناك من المعلمين من ساهم في تضليله للأبناء، فهناك من ضلل التعليم بإدخال المناهج الغربية التي تسعى لإبعاد وانتزاع العباد عن دينهم، "وقد أدرك المبشرون خطورة التعليم، فاتخذوا منه أسلوباً لاستعباد الأفراد والأمم ومسخهم من دينهم وعقيدتهم وطبعهم بالطابع الغربي"(٣)، وأخطر ما في ذلك: الخلط في الدين، فبعضهم يدس بعض معتقداته الباطلة، مما أدى إلى إضلال كثير من الناس من أصحاب الفطر السليمة، قال تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾(٤)، فهؤلاء القوم لا يريدون ألا أن يكون الناس مشتركين معهم في الضلالة، "فعلى المسلم أن يكون آمناً من العلم الذي يدرسه، فإن كان فيه تضليل فليحذر منه، فإن هذا التضليل يستطيع أن يقتل أمة بأسرها"(٥)، وينتج عن التضليل أيضاً الفساد والهلاك، قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾(٦)، "أفسدوا الناس بصفاتهم

---

(١) ينظر: رضا، **تفسير المنار**، (٣٦٨/١١).
(٢) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (١٨١٧/٣).
(٣) صالح، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، (ص٧١).
(٤) سورة النساء:٤٤
(٥) ينظر: الندوي، أبوالحسن علي الحسني ١٩٩٥م، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، دار الندوة: لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ، (ص١٨٤).
(٦) سورة البقرة:٢٠٤-٢٠٥

الظاهرية، وقاموا بتضليلهم وتضليل أبنائهم حتى أصبحوا يقتدون بهم في التضليل"(١)، وإن بصلاح التعليم تحيا أمم، وبفساده تموت أمم، وقد عبر الفيلسوف المسلم محمد إقبال عن هذا بقوله:(إن التعليم هو (الحامض) الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيماوية، وهو الذي يستطيع أن يحول جيلاً شامخاً إلى كومة تراب)(٢)، ومن الخطط التي ساروا عليها في تضليل المناهج العلمية، ما وضعوه للمدارس والجامعات من خلال:-

١-إخراج القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الإسلام البطولي من مناهج التعليم.

٢-تخريج أجيال مضربة دينياً وعقلياً، مرتبطة بالغرب ارتباطاً وثيقاً.

٣-تجهيل أبناء الإسلام بلغتهم العربية، وبالتالي تراثهم القديم.

٤-وضع تاريخ مشوه للإسلام يدرسه الطلاب، مع تحريم تدريس التاريخ الحقيقي للإسلام، مع التوسع والإسهاب في دراسة تاريخ الغرب النصراني وتمجيده.

٥-وضع نظريات زائفة تتعارض بطبيعتها مع الدين في العلوم الطبيعية والاقتصادية والنفسية والقانونية وغيرها.

وكان الهدف العام في هذا التضليل هو أن يخرج الطالب في النهاية مسخاً، لا قيمة له ولا هوية ولا هدف، يقدس الغرب بأفكاره، ومبادئه وعاداته وتقاليده"(٣).

فهذا المعوق العنيف له أثر خطير جداً على الأمة، إذ أنه يدخل التلبيس على المتعلمين، ويؤدي إلى ضياع الحق نتيجة كتمانه، ويعوق التعليم من خلال جعله تعليماً متدنياً منحطاً، ويساهم بشكل كبير في نشر الأباطيل نتيجة هذا الكذب، وفي النهاية يجعل كثير من المخلصين يفقدون الثقة في التعليم ومؤسساته، وأسوأ من ذلك كله ما يترتب على هذا المعوق من استرخاص للأمة وبيعها، وتضييع لعقولها النيرة والبريئة من خلال أصحاب النفوس الدنيئة الذين باعوها بأرخص الأثمان لأعدائها، ومن خلال الشفاعات -وما يسمى بالجاهيات- والتي تكون على حساب التعليم وأهله، فما أخطر هذا المعوق!، وما أشد

---

(١) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٨٤/١).

(٢) الندوي، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**، (ص١٨٤).

(٣) ينظر: صالح، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، (ص١٥٧-١٥٩)، ويوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٣١١-٣١٢).

إعاقته!، وهذا ما سعى إليه الأعداء، وللأسف فقد حصلوا على ما يريدون، وما غاية هؤلاء الأعداء إلا إبعاد المسلمين عن دينهم، وإن في حصول هذا المعوق الخبيث تترتب عواقب وخيمة، منها:-

١-ترك المسلمين لدينهم.

٢-"تمزق الشباب المسلم وثورته العلمية.

٣-تحلل المجتمعات الإسلامية.

٤-الصراع الداخلي بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة"(١).

٥-انتشار الفاحشة والرذيلة، والانحلال الخلقي.

٦-جعل كثير من المتعلمين يعيشون في حالة ريبة وشك من دينهم وقيمهم.

٧-فقد كثير من العقلاء الثقة في التعليم، لما يمارسه من تضليل.

ولقد توعد الله -جل وعلا- أصحاب التضليل بما جنوه من تضليلهم للناس بأنهم يحملون أوزاراً فوق أوزارهم، قال تعالى ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾(٢)، يستفاد من الآية "أن وزر الإضلال هو وزر النفس الوزارة أيضاً، وأن كل نفس وازرة مهمومة بهمٍّ وزرها متحيرة في أمرها"(٣)، ويخبر -جل وعلا- عن حال أصحاب التضليل ومن استجاب لهم يوم القيامة بقوله تعالى ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾(٤)، تخاصموا فيما بينهم، وكل يرمي وزره على الآخر، أي: "يا ربنا هؤلاء هم من أضلونا عن سواء السبيل، وسنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم، فآتهم عذاباً ضعفاً من النار؛ لأنهم ضلوا وأضلوا، قال: لكل ضعف، أما القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأما

---

(١) ينظر: صالح، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، (ص١٧٣-١٧٤).

(٢) سورة العنكبوت:١٣

(٣) ينظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد ٨٥٠هـ، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، (٥/٥١٢).

(٤) سورة الأعراف:٣٨-٣٩

الأتباع فبكفرهم وتقليدهم، ولكن لا تعلمون ما لكم أو ما لكل فريق"[١]، وعلى هذا فإن الأمة ستبقى متمزقة بتمزق تعليمها ما لم تعود إلى رشدها.

(١) ينظر، البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (٢٠/٣).

المبحث السادس: وسائل علاج المعوقات التعليمية

المطلب الأول: العلم

لقد دعا القرآن الكريم إلى التعلم ونبذ الجهل، وبين أهميته في عدة مواضع، وذلك أن العلم أهم وسيلة يستنير بها العبد، ويرى فيها الحق، وبغيابه يعم الفساد، فهو أهم ركيزة تقوم عليها المجتمعات والمؤسسات التعليمية، وهذا العلم ازدهرت وتقدمت بسببه الكثير من الدول المعادية لدين الإسلام، فقد جعلوا العلم محل اهتمامهم، واعتنوا به أشد عناية، وهيئوا للمتعلمين جميع أنواع الأسباب التي ترفع من حصيلتهم العلمية، وأصبحوا بهذا العلم يقودون العالم بأكمله، فصار المسلمون منقادين لأعدائهم، فلا يأخذون المناهج العلمية إلا منهم، وإذا وقعوا في مأزق ما دفعوا لهم الأموال الباهضة من أجل أن يجيبوهم عن استشارتهم، وليجدوا لهم حلاً لمشاكلهم، وما هذا إلا بسبب بُعد المسلمين عن دينهم، وكيف يتأخرون في العلم وينقادون، ودينهم الإسلامي يحثهم على العلم الذي يبصرون به!، إنها دعوة القرآن منذ مئات السنين، بل إن دعوة القرآن بدأت بالحث على العلم، وافتتحت بالقراءة والكتابة، قال تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾(١)، وقال ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾(٢)، قال قتادة:(القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم لم يقم دين، ولم يصلح عيش)(٣)، "فدل على كمال كرمه سبحانه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا"(٤)، وقد شدد القرآن في اهتمامه بالعلم، حتى أنه وصف صاحب العلم بأنه بصير، يبصر الحق من الباطل، ووصف صاحب الجهل بأنه أعمى، لا يعرف الحق من الباطل، قال تعالى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ

---

(١) سورة العلق:١

(٢) سورة العلق:٣-٥

(٣) ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ، **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية: صيدا، (٣٤٥٠/١٠).

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٢٠/٢٠).

كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾[(١)]، والناس بمعرفة العلم يرشدون، وبالجهل يضلون، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[(٢)]، "جاءت الآية بمنع المساواة بين العالم والجاهل؛ لما قد خص به العالم من فضيلة العلم الذي يبصر به"[(٣)]، وقد وصف أهل العلم بأنهم هم العاقلون، الذين يعرفون خصائص الأمور، ويميزون بين الخير والشر، ويسترشدون به إلى عمارة الأرض، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[(٤)]، "فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم منه زجراً"[(٥)]، فالإسلام حث وأظهر فضل العلم، وأعطى حرية التفكير، وفتح جميع المجالات العلمية التي يستطيع العقل البشري أن يصل إليها، وهذا هو الذي جعل المسلمين -قديماً- ينتجون إنتاجًا علميًّا وعمليًّا وتاريخيًّا وأمة عالمة وحضارة باسقة، وتراثًا زاخرًا"[(٦)].

والعلم أعظم نعمة أنعمها الله على عباده، إذ بها يهتدي إلى طريق الحق، ومن أراد أن يعرف الفرق بين العلم والجهل، فلينظر وليتدبر قصة إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه، قال تعالى ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[(٧)]، فإبراهيم يخاطب أباه ويخبره بما يراه ويبصره من العلم الذي آتاه الله، فقد عَلِمَ بعلمه نهاية الطريق الذي يسلكه أبوه، وأنه طريق ضلال وتزيين من الشيطان وعاقبته النار، ولكن أباه لجهله لم يبصر ما أبصره ابنه، فأبى إلا الجهل والضلال، فامتاز

---

(١) سورة الرعد:١٩

(٢) سورة الزمر:٩

(٣) ينظر: الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص٣٣)، والبيضاوي، **مدارك التنزيل**، (٦٠/٥).

(٤) سورة العنكبوت:٤٣

(٥) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، (ص٣٣).

(٦) ينظر: آل إسماعيل، نبيل بن محمد، **خلق الإنسان في الكتاب والسنة**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، العدد الثلاثون، (١٠١/١).

(٧) سورة مريم:٤٣-٤٦

الابن على أبيه بالعلم، "فالولد وإن كان فرعاً فربما صار بمزيد العلم أصلاً"(١)، وفي هذه دليل على فضل العلم الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، وفيها حث على التمسك بأهل العلم الذين يرشدون إلى الخير.

وقد جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العلم طريق للجنة، إذ يقول:((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر))(٢) ، وكفى بهذا الحديث فضلاً للعلم، وفيه حث على الاقتداء بالأنبياء في توصيل العلم، وألا يبخل بعض أهل العلم على الناس، حتى لا يكون هذا العلم حجة عليه، ولابد من معرفة أن "للعلم محلين:

أحدهما: القلوب الواعية الحافظة.

والآخر: الكتب المدونة.

فمن أوتي سمعاً واعياً وقلباً حافظاً؛ فذلك الذي علت درجته وسمقت منزلته، فإنهما معونة حفظه"(٣).

وإن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تشيد بالعلم، "وإن الشيء الوحيد الذي أمر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يطلب منه الزيادة هو العلم، قال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي

---

(١) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي ٧٧١هـ، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: د. محمود الطناحي ود.عبدالفتاح الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، (٢٦٧/٦).

(٢) أخرجه أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث رقم: ٢١٧٦٣، (١٩٦/٥)، أبوداود، **سنن أبي داود**، حديث رقم: ٣٦٤١، (٣١٧/٣)، والترمذي، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، حديث رقم: ٢٦٨٢، (٤٨/٥)، وابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، حديث رقم: ٢٢٣، (٨١/١)، وابن حبان، **صحيح ابن حبان**، حديث رقم: ٨٨، (٢٨٩/١)، وصححه، وقال شعيب الأرناؤوط عند تحقيقه لسنن ابن ماجه: حسن بشواهده، (١٥١/١)، وصححه الألباني في تحقيقه على سنن ابن ماجه، (٢/١)، والحديث أصله عند مسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ٢٦٩٩، (٢٠٧٤/٤)، من قوله مرفوعاً:((ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة)).

(٣) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني ٣٩٥هـ، **مأخذ العلم**، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية: بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، (ص٢٨).

عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾﴾(١)، كما أن أول خاصية ميز الله بها آدم -عليه السلام- هي العلم"(٢)، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾(٣)، "إن العلم ليس مقصوراً على علم العقيدة، وعلم الفرائض الدينية، بل هو يشمل كل شيء، ويتعلق بالقوانين الطبيعية وتسخيرها في خلافة الأرض تعلقه بالعقيدة والفرائض على السواء، وإن هناك ارتباطاً بين القاعدة الإيمانية وعلم الفلك، وعلم الأحياء، وعلم الطبيعة، وعلم الكيمياء، وعلم الطب، وسائر هذه العلوم المتعلقة بالنواميس الطبيعية والقوانين الحيوية، إنها كلها تؤدي إلى الله، وأي علم لا يؤدي إلى الاهتداء إلى الله، ولا يقوم على إدراك فضل الله في تعليم الإنسان ما لم يعلم، وفي منحه ابتداء القدرة على الإدراك، وفي تسخير النواميس الطبيعية له، فأي علم لا يقوم على هذه الأسس هو علم ضال مضل، وليس هو العلم الذي تقصده الآيات القرآنية وتثني عليه"(٤)، وقد جمع الله تعالى بين العلم الشرعي وباقي العلوم في قوله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾(٥)، "لقد حث القرآن على طلب العلم، وأخبر بأن العبد كلما ازداد علماً ازداد خشية لله، والقرآن الكريم حث على العلم بأنواعه، حتى يعلم الإنسان علم اليقين التوافق بين معطيات العلم، وبين معطيات الوحي، فكلما تقدم العلم الحديث كشف عن جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم العلمي، فتبارك الله أحسن الخالقين"(٦).

ولا يمكن أن تعالج الأمة اليوم الجهل الذي أصيبت به إلا بالرجوع إلى كتاب الله الذي يصلح علمهم الديني والدنيوي، والناظر في التاريخ يجد أن المسلمين في القرون الماضية

---

(١) سورة طه:١١٤

(٢) يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٢٩٦).

(٣) سورة البقرة:٣١

(٤) ينظر: قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، (ص٢٧٦).

(٥) سورة فاطر:٢٧-٢٨

(٦) ينظر: النابلسي، د. محمد راتب، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، دار مكتبي: دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، (٩٤/٢).

تمسكوا بكتاب الله فأعزهم، وأصبحوا يحكمون المشرق والمغرب، وخرج منهم العلماء في مختلف التخصصات، وصار العَالمُ يستفيد منهم، وكفى بهذا العلم رفعة، قال تعالى ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾(١)، "فأفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة: هو العلم والإيمان، ولهذا قرن الله -سبحانه وتعالى- بينهما في الآية، فهؤلاء هم خلاصة الوجود ولبه، والمؤهلون للمراتب العالية"(٢).

ويقترح الباحث ما يلي:-

١-القضاء على الأمية ونشر العلم، من خلال ترغيب المتعلمين وتشجيعهم بالرواتب والمناصب العالية، والمتوافقة مع تخصصاتهم.

٢-معاقبة الأسرة التي تقاعست وتسببت في عدم تعليم أبنائها وعدم اهتمامها بهم، وثبت تفريطها في ذلك.

٣-التركيز على العلم النافع، من خلال تعليم الناس دينهم أولاً في المساجد والمدارس والأعلام.

٤-تشجيع المجتمع على الحضور إلى ميادين العلم، وتحفيزهم وتوفير المسابقات والجوائر لهم.

---

(١) سورة المجادلة:١١

(٢) ينظر: ابن القيم، **الفوائد**، (ص١٠٣).

المطلب الثاني: الصدق والأمانة

لقد أمر الله -جل وعلا- المؤمنين في القرآن الكريم أن يتصفوا بالصدق، وألا يغشوا ولا يضللوا بعضهم البعض، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١)، أي: "الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا، خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة"(٢)، وليعلم أهل الغش والتضليل أن ما تم بينهم وبين أرباب أعمالهم إنما هو عهد وعقد يجب الوفاء به، فالغش خيانة للعهد، ومفسدته على أهل الطلب عظيمة، كما أن في الوفاء به مصلحة عظيمة، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾(٣)، وقد حذر الله من الخيانة في سائر الأمور التي عهدت على العبد ووكلت إليه، قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾(٤)، وقد أثنى الله على المخلصين والموفين لما لعهودهم، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾(٥)، " فكلمة (العقود) و(العهود) تعطي معنى أوسع من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ويكشف عن أن المقصود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله، حياة المرء مع نفسه التي بين جنبيه، وحياته مع غيره من الناس، والإسلام يقيم هذه الضوابط في حياة الناس، يقيمها ويحددها بدقة ووضوح ويربطها كلها بالله سبحانه، ويكفل لها الاحترام الواجب، فلا تنتهك، ولا يستهزأ بها ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات المتقلبة، ولا للمصالح العارضة التي يراها فرد، أو تراها مجموعة أو تراها أمة، أو يراها جيل من الناس فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط، فهذه الضوابط التي أقامها الله وحددها هي «المصلحة»، ما دام أن الله هو الذي أقامها للناس، سواء ما يختص منها بكل

---

(١) سورة التوبة:١١٩
(٢) ابن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص٣٥٥).
(٣) سورة المائدة:١
(٤) سورة الأنفال:٢٧
(٥) سورة المؤمنون:٨

أمر وكل نهي في شريعة الله، وما يتعلق بكل المعاملات مع الناس والأحياء والأشياء في هذا الكون في حدود ما شرع الله- فكلها عقود ينادي الله الذين آمنوا، بصفتهم هذه، أن يوفوا بها"(١)، "والجماعة المسلمة مسؤولة عن أماناتها العامة، مسؤولة عن عهدها مع الله وما يترتب على هذا العهد من تبعات، والنص يجمل التعبير ويدعه يشمل كل أمانة وكل عهد، ويصف المؤمنين بأنهم لأماناتهم وعهدهم راعون، فهي صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة الجماعة إلا أن تؤدى فيها الأمانات وترعى فيها العهود، ويطمئن كل من فيها إلى هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة، الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان"(٢)، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾(٣)، "والأمانة على أنواع، منها: أمانة العبد مع الناس، ومن ذلك رد الودائع إلى أربابها، وعدم الغش، وحفظ السر، ونحو ذلك مما يجب للأهل والأقربين وعامة الناس والحكام"(٤)، "وتشمل الأمانة كلَّ ما يؤتمن عليه الإنسان، ومن ذلك الأمانة في العمل، فيجب أن يؤدي العامل عمله بكل أمانـة وإخـلاص دون غـش أو خيانة سواء بالتساهل بالعمل، أو إفشاء أسراره، أو الـتفريط في أي مـن أدواتـه"(٥).

والغش عاقبته الخزي والخسارة والحرمان، ولقد حذر نبي الله شعيب -عليه السلام- قومه مراراً وتكراراً من الغش وظلم الناس، وبين لهم أنه من الإفساد في الأرض، ولكنهم أبوا ذلك، حتى حل عليهم العذاب من الله جزاء شنيعة أعمالهم، قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٦)، "يستهدف التوجيه القرآني الكريم تربية الإنسان على عدم الإضرار بالآخرين واحترامهم والقضاء على أخلاقيات الغش والخديعة والظلم، وهو

(١) ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، (٨٣٥/٢).
(٢) المصدر السابق، (٢٤٦٥/٤).
(٣) سورة النساء:٥٨
(٤) ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، (٧٠/٥).
(٥) المزيني، د. إبراهيم بن محمد الحمد، **الرؤية الحضارية للعمل عند المسلمين**، مجلة بحوث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، محرم ١٤٢٣هـ، العدد السابع والثلاثون، (٤٨٥/١).
(٦) سورة الأعراف:٨٥

ما أسماه الإفساد في الأرض"(١)، وقد رتب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الغاش الحرمان من الجنة، حيث قال:((ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة))(٢)، والمعلم والمسؤول والداعية والموظف كلهم رعاة على من دونهم، وهم مسؤولون عن ما وكلوا إليه، كما في الحديث الآخر:((ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))(٣)، فينبغي أن يحرص الجميع أن على تولية من هو خير في تعليم أمور الدين والدنيا، من المؤتمنين، والمعروفين بالدين والصجق؛ لأنهم أهم أهل الثقة والصدق، وهم من يستشعرون مراقبة الله في أداء أعمالهم، لاسيما في تعليم أمور الدين التي يحتاجها العباد أشد من احتياجهم للماء والهواء، "فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة، للنظر في أمر الأمة، فإذا قلدوا غير أهل الدين، واستعملوا من يعينهم على الجور والظلم، فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم"(٤).

ولابد من الجميع أن يتعاونوا فيما بينهم في تصحيح ما يجدونه من تضليل أو غش، وألا يسكتوا عن ذلك، كما قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾(٥)، وعليهم أن يتناصحوا فيما بينهم، فمن رأى من زميله أو معلمه أو مسؤوله أمراً يضر بعامة الناس، ككتمان للعلم أو تضليل للحق، فعليه أن ينصحه باللين ويذكره بواجب القسط الذي أمره الله به، قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾(٦)، وتحذيره من عاقبة فعله، من خلال بيان أن هذا من الظلم العظيم، وقد توعد الله الظالمين أشد الوعيد، حيث قال تعالى ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ

---

(١) السمالوطي، **بناء المجتمع الإسلامي**، (ص٢٣٤).

(٢) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٧٣١، (٢٦١٤/٦)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٤٢، (١٢٥/١).

(٣) متفق عليه، البخاري، **الجامع الصحيح**، حديث رقم: ٦٧١٩، (٢٦١١/٦)، ومسلم، **الجامع المسند(صحيح مسلم)**، حديث رقم: ١٨٢٩، (١٤٥٩/٣).

(٤) ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (١٣٨/١).

(٥) سورة المائدة:٢

(٦) سورة النساء:١٣٥

﴿٤٢﴾(١)، فإن لم يرتدع فعله يُحَذر منه، ويفضح أمره، حتى يعلم الجميع خطره فيجتنبوه، فإن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي امتازت به هذه الأمة، والتي امتن الله بها عليهم، كما قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(٢)، وهذا كله من الإصلاح الذي أمرت به الشريعة، فعلى المسلمين جميعاً "أن يتداركوا أنفسهم، وأن يزاحموا الأمم على موائد العلم، حتى يعودوا إلى سالف مجدهم وعزهم، ويتبؤوا مكانتهم الرائدة التي جعلها الله تعالى لهم، وأن يجعلوا العلم وسيلة لخدمة المجتمع وإصلاحه، لا لإفساده وإهلاكه"(٣)، فبهذه التوجيهات القرآنية يسمو الإنسان، ويرتفع إلى المستوى الرفيع، وتنصلح أحوال المجتمعات في جميع جوانبها، وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(٤).

ويقترح الباحث هنا ما يلي:-

١-وضع أصحاب الأمانة والمخلصون من المسؤلين في المكان المناسب.

٢-مراقبة مؤسسات التعليم بحذر، وأن يرعى ذلك نخبة من العلماء والمتخصصين.

٣-اتخاذ أشد العقوبات على من يثبت أنه كذب أو خان الأمانة، ليكون عبرة للمعتبر.

---

(١) سورة إبراهيم:٤٢

(٢) سورة آل عمران:١١٠

(٣) يوسف، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، (ص٣١٥).

(٤) سورة الإسراء:٩

الخاتمة

تشتمل الخاتمة على نتائج توصَّل إليها الباحث، وتوصيات:

أولاً: النتائج

أبرز نتيجة توصل إليها الباحث أن القرآن الكريم يحوي على جميع جوانب الإصلاح، وقام بتفنيد جميع أنواع الإفساد، فهو يذكر المشاكل التي تواجه الأمة وكيف يتم علاجها، وأن هذا القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، لا غنى للمجتمعات عنه -حكاماً ومحكومين-، ومن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر.

وأما النتائج التفصيلية:

١-معوقات الإصلاح من منظور قرآني لها مفهومها الشامل، والمعنى اللغوي متقارب مع المعنى الاصطلاحي، فهي الموانع التي تصرف عن إصلاح الأمور وفعل الخير، أو تثبط حصوله أو انتشاره، والإصلاح هو إقامة الشيء بعد فساده، وهو إزالة الفساد، وإقامة بديله من خير ونفع، ومحاولة تحقيق الاستقامة في سائر الأمور الشرعية والمحمودة باعتدال.

٢-أن الإصلاح له عدة مفاهيم في القرآن الكريم، كلٌ يختلف باختلاف موضوعه وسياقه، مما يدل على أن الإصلاح شامل لجميع الجوانب.

٣-هناك عناصر ترتكز عليها كل أمة إصلاحية، وهي العقيدة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل، والأخلاق، والأمة التي ترتكز على ما يضاد هذه العناصر فهي امة فاسدة.

٤-أن القرآن الكريم بين عدة معوقات عقدية تواجه الإصلاحين وهي: الكفر، والشيطان وما يزيينه ويكيده لبني آدم، وعدم تحكيم شرع الله، وهذه المعوقات قد عالجها القرآن الكريم من خلال: الدعوة إلى التوحيد، والوعظ والإرشاد، والمحاجة والمناظرة.

٥-أن القرآن الكريم لم يغفل عن معوقات الجانب السياسي، فقد بين معوقاته التي كانت سبباً رئيس في ضعف ووهن الدولة وتمزقها، وهي: القوانين الوضعية، وعدم التأسي بالقيادات السابقة، والملأ، وقد بين أن هذا الضعف والوهن لن يتم علاجه واستبداله بالقوة والقيام إلا من خلال العلاج والإصلاح التالي: تحكيم شريعة الله، والتأسي بالسابقين الصالحين، وترسيخ مبدأ الشورى والمساواة بين الناس.

٦-بين القرآن الكريم أن هناك معوقات اقتصادية، وأنها تقف عائقاً أمام كل دولة، وتؤدي إلى ضعف اقتصادها وخسارتها، وأغراقها في الديون، وأنواع الابتلاءات، وهي: الربا، وحبس الزكاة والصدقات، والإسراف والتبذير، والاحتكار، فقد حاربها القرآن الكريم، وبين

طرق إصلاحها، وأبدل الأمة باقتصاد أقوى وأعظم منها، وهو الاقتصاد الإسلامي القائم على: الدعم المالي، ودفع الزكاة والصدقات، والاعتدال والنهي عن التبذير، وحرية الإنتاج.

٧-وأن هناك معوقات اجتماعية أدت إلى تمزيق الأمة، وتفرقها، ونشر العداوة والبغضاء بينها، وهي: العصبية، والتمسك بالعادات والتقاليد المذمومة، والنزاع والخلاف، والظلم وتقسيم المجتمع، وبين القرآن الكريم أنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، جاء ليخرج الناس من هذه المعوقات إلى: تربيتهم التربية الروحية الإيمانية، وتنمية وازعهم الديني، ونشر العدل بينهم، وجعلهم مجتمعاً متعاوناً ومتحاباً فيما بينه.

٨-القرآن الكريم جاء ليبين المعوقات التي تشتت الأسرة وتفرقها، وهي: الطلاق، والنشوز، والعقوق، والخلافات البيتية، وأن هذه المعوقات إذا لم تعالج فقد تؤدي إلى نشر الفحشاء والرذيلة، وإضعاف الأمة، والبغي والاعتداء، وعلاجها يتم من خلال: إصلاح ذات البين، واستخدام الوعظ والهجر والضرب غير المبرح، وبر الوالدين، والإرشاد والعدل بين الأبناء.

٩-القرآن الكريم لم يكتف بهذه الجوانب السابقة فحسب، بل جاء أيضاً ليوضح ويبين المعوقات التي تقف أمام المتعلمين -أفراداً ومؤسسات-، وهي: الجهل، والتضليل والغش، وهذه المعوقات تجعل المجتمع متأخراً ومنحطاً، لا يُقيم أحد له شأناً ولا توقيراً، وتجعله آفة على غيره، ذليلاً لأعدائه، وأن علاجها لا يكون إلا من خلال استبدالها: بالعلم، والإخلاص والأمانة، التي تساهم في رفعة المجتمع، وقيامة بنفسه، حتى يصبح قوياً عزيزاً، دون حاجة إلى غيره.

ثانياً: التوصيات

يوصي الباحث بما يلي:

١-تطبيق منظومة الإصلاح التي دعا إليها القرآن الكريم، والتي أساسها تحكيم شريعة الله -جل وعلا-.

٢-على الأفراد والمجتمعات الاستفادة من الإصلاح الذي بينه القرآن الكريم، فإنه هو الدواء لدائهم، وهو الذي يجعلهم أمة عزيزة شامخة، تهابها الأمم، وتحسب لها ألف حساب، فلابد أن يأخذوه ويطبقوه في مختلف جوانب حياتهم.

٣-على المتخصصين والباحثين أن يسعوا إلى توصيل هذه المعوقات وطرق علاجها إلى المجتمع بصورة حديثة، من خلال استخدام وسائل الأعلام المختلفة.

٤-لابد من استكمال هذه الدراسة من خلال وضع موسوعة إصلاحية حديثة مرتكزة على القرآن الكريم.

وأخيراً، فهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من نقص وضعف ونسيان فهو من نفسي المقصرة ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

• إبراهيم، محمد إسماعيل، (١٩٨٢م)، **القرآن وإعجازه التشريعي**، القاهرة: دار الفكر العربي.

• الأزدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن حميد الحميدي (ت٤٨٨هـ)، **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، الطبعة الأولى، تحقيق: زبيدة عبدالعزيز، مكتبة السنة: القاهرة، ١٤١٥هـ.

• الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ٢٠٠١م.

• ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب (ت٢٨٢هـ)، **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية: المدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

• الإشبيلي، أبومحمد عبدالحق بن عبدالرحمن (ت٥٨١هـ)، **العاقبة في ذكر الموت**، الطبعة الأولى، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى: الكويت، ١٤٠٦هـ.

• الأشقر، عمر بن سليمان بن عبدالله (١٤٢٣هـ)، **عالم الجن والشياطين**، الطبعة الخامسة عشرة، الأردن: دار النفائس.

• الأصفهاني، أبوالقاسم الراغب الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق مصطفى العدوي، مكتبة فياض: المنصورة، ١٤٣٠هـ.

• الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم: بيروت، ١٤٢٠هـ.

• الأصفهاني، أبونعيم أحمد بن عبدالله بن مهران (ت٤٣٠هـ)، **أخبار أصبهان**، لايوجد تاريخ ولا طبعة.

• إلكيا، أبوشجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني (ت٥٠٩هـ)، **الفردوس بمأثور الخطاب**، الطبعة الأولى، تحقيق: السعيد بن بسيوني بن زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٦هـ.

• إلكيا الهراسي، أبوالحسن علي بن محمد (ت٥٠٤هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى علي وعزة عطية، دار الكتب العلمية: بيروت.

• الآلوسي، أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

• الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، **المدونة الكبرى**، دار صادر: بيروت.

• الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبدربه (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٠هـ.

• البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر: بيروت.

• البخاري، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وسننه وأيامه**، الطبعة الثالثة، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير: بيروت، ١٤٠٧هـ.
• البربهاري، أبومحمد الحسن بن علي بن خلف (ت٣٢٩هـ)، **كتاب شرح السنة**، الطبعة الأولى، تحقيق: د.محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم: الدمام، ١٤٠٨هـ.
• البزار، أبوبكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق (ت٢٩٢هـ)، **مسند البزار(البحر الزخار)**، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن: بيروت، ١٤٠٩هـ.
• بشتاوي، آمنه أحمد محمد، (٢٠٠٦م)، **أثر الزكاة في السياسة المالية في الفكر الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد، الأردن.
• ابن بطال، أبوالحسن علي بن خلف بن عبدالملك البكري القرطبي (ت٤٤٩هـ)، **شرح صحيح البخاري**، الطبعة الثانية، تحقيق: أبوتميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٢٣هـ.
• البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٦هـ)، **شرح السنة**، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد الشاويش، المكتب الإسلامي: دمشق، ١٤٠٣هـ.
• البغوي، **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة: بيروت.
• البقاعي، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر (ت٨٥٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ.
• البقلي، أبومحمد روزبهان بن أبي نصر الشيرازي الصوفي (ت٦٦٦هـ)، **عرائس البيان في تفسير القرآن**، (لا توجد بيانات على الكتاب).
• البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار ود.رياض زركلي، دار الفكر: بيروت، ١٤١٧هـ.
• البلخي، أبوالحسن مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٤هـ.
• البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس (ت١٠٥١هـ)، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، تحقيق: هلال مصيلحي هلال، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٢هـ.
• بواعنة، غازي عبدالله عطية، (١٤١٥هـ)، **صفات القائد في الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد، الأردن.
• بواعنه، (١٤٢١هـ)، **صفات قائد الأمة في سياق الكتاب والسنة**، الأردن-إربد: مطبعة الروزنا.
• البيانوني، د.محمد أبوالفتح، **معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية**، الكويت، طبعة اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة.
• البيانوني، (١٤١٥هـ)، **المدخل إلى علم الدعوة**، الطبعة الثالثة، بيروت: الرسالة.
• البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر: بيروت.
• البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٠هـ.
• البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

• تركستاني، أحمد بن سيف الدين، **الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه**، السعودية: طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

• الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى السلمي (ت٢٧٩هـ)، **الجامع الصحيح(سنن الترمذي)**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

• التونجي، عبدالسلام (١٤٢٦هـ)، **الشريعة الإسلامية في القرآن الكريم**، الطبعة الثانية: ليبيا-بنغازي: دار الكتب الوطنية.

• ابن تيمية، أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت٧٢٨هـ)، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية: القاهرة، ١٣٦٩هـ.

• ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي سيد صبح المدني، مطبعة المدني: مصر.

• ابن تيمية، **القواعد النورانية الفقهية**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة: بيروت، ١٣٩٩هـ.

• ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم النجدي، مكتبة التقوى.

• ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ.

• ابن تيمية، **الاستقامة**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود: السعودية، ١٤٠٣هـ.

• ابن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، الطبعة الأولى، دار المعرفة.

• ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة: بيروت.

• ابن تيمية، **قاعدة في المحبة**، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

• ابن تيمية، **جامع المسائل**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد: السعودية، ١٤٢٢هـ.

• الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، الطبعة الأولى، تحقيق: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٣هـ.

• الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (ت٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي: بيروت.

• الثعلبي، أبوإسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، **الكشف والبيان**، الطبعة الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٢٢هـ.

• الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب: بيروت.

• آل جار الله، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم، (ت١٤٠٩هـ)، **من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المداينة**، الطبعة الثالثة، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

• ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله، (١٤٣١هـ)، **الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية**، الرياض: دار الصميعي.

• الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ)، **التعريفات**، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ.

• الجريسي، خالد بن عبدالرحمن، (١٤٢٧هـ)، **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي**، الرياض: مؤسسة الجريسي.

• الجزري، أبوالسعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ.

• ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي: لبنان، ١٤٠٣هـ.

• الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض، (١٤٢٤هـ)، **الفقه على المذاهب الأربعة**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية: بيروت.

• الجصاص، أبوبكر الرازي أحمد بن علي (ت٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد القمحاوي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ.

• ابن جني، أبوالفتح عثمان الموصلي (ت٣٩٢هـ)، **المنصف في شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، دار إحياء التراث العربي القديم: القاهرة، ١٣٧٣هـ.

• ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، **تلبيس إبليس**، الطبعة الأولى، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ.

• ابن الجوزي، **التبصرة**، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار الكتاب المصري: مصر، ١٣٩٠هـ.

• ابن الجوزي، **بر الوالدين وصلة الرحم**، تحقيق: مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن: القاهرة.

• ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٤هـ.

• الجويني، أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف (ت٤٧٨هـ)، **الاجتهاد من كتاب التلخيص لإمام الحرمين**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالمجيد أبوزنيد، دار القلم: دمشق، ١٤٠٨هـ.

• ابن الحاج، أبوعبدالله محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي، (ت٧٣٧هـ)، **المدخل**، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

• الحافظ العراقي، زيد الدين أبوالفضل عبدالرحيم بن الحسيني، (ت٨٠٦هـ)، **طرح التثريب شرح التقريب**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالقادر محمد علي، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٠م.

• الحاكم، أبوعبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، (ت٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١١هـ.

• ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد الدرامي (ت٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان**، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الرسالة: بيروت، ١٤٠٨هـ.

• ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت.

• ابن أبي حديد المدائني، أبوحامد عزالدين بن هبة الله بن محمد، (ت٦٥٥هـ)، **شرح نهج البلاغة**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٨هـ.

• ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت٤٥٦هـ)، **المحلى**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة: بيروت.

• ابن حزم، **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، دار الكتب العلمية: بيروت.

• ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، الطبعة الأولى، دار الحديث: القاهرة، ١٤٠٤هـ.

• الحصين، سليمان بن إبراهيم بن محمد، (١٤١٥هـ)، **المال في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، رسالة ماجستير منشورة، الرياض: دار المعراج الدولية.

• الحكيم الترمذي، أبوعبدالله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، (ت٣٢٠هـ)، **المنهيات**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن: القاهرة، ١٤٠٥هـ.

• الحمد، محمد إبراهيم، (١٤٢٣هـ)، **عقوق الوالدين**، الطبعة الثانية، السعودية: طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

• الحميدي، عبدالعزيز بن محمد، (١٤٠٩هـ)، **المنافقون في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، الرياض: دار كنوز إشبيليا.

• ابن حنبل، أبوعبدالله أحمد الشيباني (ت٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة: مصر.

• ابن الحنبلي، ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم (ت٦٣٤هـ)، **استخراج الجدال في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٨٠م.

• الحواس، عبدالمنعم بن حواس بن محمد، (١٤١٤هـ)، **عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، السعودية.

• أبوحيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، **تفسير البحر المحيط**، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ.

• خالدي، مصطفى، وفزوخ، د.عمر، (١٣٧٢هـ)، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، بيروت: المكتبة العصرية.

• الخرائطي، أبوبكر محمد بن جعفر (ت٣٢٧هـ)، **مساوئ الأخلاق**، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي: جدة، ١٤١٢هـ.

• ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري، (ت٣١١هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٣٩٠هـ.

• الخطيب، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، (ت٤٦٣هـ)، **الفقيه والمتفقه**، الطبعة الثانية، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي: السعودية، ١٤٢١هـ.

• الخطيب، عبدالكريم يونس، (ت١٣٩٠هـ)، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي.

• ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، الطبعة الخامسة، دار القلم: بيروت، ١٩٨٤م.

• الداغستاني، مريم أحمد، (١٤١٤هـ)، **الآثار المترتبة على الطلاق في الشريعة الإسلامية**، الطبعة الأولى، مصر: شركة الأمل للطباعة.

• داغي، علي محي الدين قره، **(١٤٢٦هـ)، وسائل الوقاية من الالتجاء إلى الطلاق في ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة**، المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، الدورة الرابعة عشرة.

• أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد، دار الفكر: بيروت.

• دراز، محمد بن عبدالله، (١٤٢٦هـ)، **النبأ العظيم**، تحقيق: أحمد فضيلة، دار القلم.

• ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، الطبعة الأولى، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٧م.

• ابن أبي الدنيا، أبوبكر عبدالله بن محمد (ت٢٨١هـ)، **الإخلاص والنية**، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار البشائر: دمشق، ١٤١٣هـ.

• الدوري، قحطان عبدالرحمن، (١٣٩٤هـ)، **الاحتكار وآثاره في الفقه الإسلامي**، الطبعة الأولى، بغداد: مطبعة الأمة.

• الدينوري، أبوبكر أحمد بن مروان بن محمد القاضي المالكي (ت٣٣٣هـ)، **المجالسة وجواهر العلم**، الطبعة الأولى، دار ابن حزم: بيروت، ١٤٢٣هـ.

• الذهبي: محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، **الكبائر**، دار الندوة الجديدة: بيروت.

• الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي (ت٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ.

• الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت٧٢١هـ)، **مختار الصحاح**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ١٤١٥هـ.

• ابن رجب، زين الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ت٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحكم**، الطبعة السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٧هـ.

• الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، (١٤٢٤هـ)، **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، الطبعة الأولى، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية عمادة البحث العلمي.

• ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت٥٩٥هـ)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٨هـ.

• رضا، محمد رشيد، (١٩٩٠م)، **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

• الزبيدي، محب الدين أبوالفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

• الزجاج، أبوإسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب: بيروت ، ١٤٠٨هـ.

• الزحيلي، وهبة، (١٤١٨هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الطبعة الثانية، دمشق: دار الفكر المعاصر.

• الزحيلي، **نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي**، الطبعة الرابعة، الرسالة: بيروت، ١٤٠٥هـ.

• الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله (ت٧٩٤هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢١هـ.

• زمان، سعيد الرحمن محمد يوسف خاطر، (١٤١٨هـ)، **الظلم أنواعه وآثاره في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، السعودية.

• الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

• الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

• الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، الطبعة الثانية، تحقيق: على محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة: لبنان.

• أبوزهرة، محمد، (١٣٩٠هـ)، **بحوث في الربا**، الطبعة الأولى، بيروت: دار البحوث العلمية.

• الزوزني، عبدالله بن محمد العبدلكاني (ت٤٣١هـ)، **حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد بهي الله بن محمد سالم، دار الكتاب المصري: القاهرة، ١٤٢٠هـ.

• زيدان، د.عبدالكريم، (١٣٩٦هـ)، **أصول الدعوة**، الطبعة الثالثة.

• السامري، أبوبكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل (ت٣٢٧هـ)، **فضيلة الشكر لله على نعمته**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد الحافظ ود.عبدالكريم اليافي، دار الفكر: دمشق، ١٤٠٢هـ.

• السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي ابن عبدالكافي (ت٧٧١هـ)، **الأشباه والنظائر في الفقه**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

• السجستاني، أبوبكر محمد بن عزير (ت٣٣٠هـ)، **غريب القرآن**، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران، دار قتيبة، ١٤١٦هـ.

• السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ)، **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، الطبعة الأولى، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

• السدلان، صالح بن غانم، (١٤١٧هـ)، **النشوز ضوابطه وأسبابه وحالاته وطرق الوقاية منه في ضوء الكتاب والسنة**، الطبعة الرابعة، الرياض: دار بلنسية.

• السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن**، الإسكندرية: دار البصيرة.

• السعدي، (١٤٢١هـ)، **تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: محمد بن صالح العثيمين، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- أبوالسعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث: بيروت.
- ابن سلام، يحيى ابن ثعلبة (ت٢٠٠هـ)، **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**، تحقيق: هند شلبي، طبعة الشركة التونسية للتوزيع: تونس، ١٩٧٩م.
- سلوم، همام حسن يوسف، (٢٠٠٦م)، **سليمان -عليه السلام- في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.
- السمالوطي، نبيل، (١٤١٨هـ)، **بناء المجتمع المسلم**، الطبعة الثالثة، دار الشروق.
- السمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد (ت٣٦٨هـ)، **بحر العلوم**، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر: بيروت.
- السمعاني أبوالمظفر منصور بن محمد (ت٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن: الرياض، ١٤١٨هـ.
- السميران، محمد مطرود، (١٩٩٤هـ)، **الاحتكار بين الشريعة والنظم المعاصرة**، رسالة جامعية، لايوجد بيانات.
- ابن السني، أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي (ت٣٦٤هـ)، **عمل اليوم والليلة**، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة: جدة.
- الشاطبي، أبوإسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ)، **الموافقات**، الطبعة الأولى، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان: السعودية، ١٤١٧هـ.
- الشاطبي، **الاعتصام**، المكتبة التجارية الكبرى: مصر.
- الشافعي الصغير، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد الرملي، (ت١٠٠٤هـ)، **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٤هـ.
- الشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ) ، **الأم**، الطبعة الثانية، دار المعرفة: بيروت، ١٣٩٣هـ.
- الشافعي، **تفسير الإمام الشافعي**، الطبعة الأولى، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرّان، دار التدمرية: الرياض، ١٤٢٧هـ.
- شاكر، أحمد محمد، (ت١٣٧٧هـ)، **الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدر القوانين**، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة السنة.
- الشبلي، بدر الدين أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحنفي (ت٧٦٩هـ)، **آكام المرجان في أحكام الجان**، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن : القاهرة.
- الشحود، علي بن نايف، **خصائص المنهج الإسلامي في القرآن الكريم**، لا يوجد طبعة ولا تاريخ.
- الشعراني، أبوالمواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي (ت٩٧٣هـ)، **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار(الطبقات الكبرى)**، الطبعة الأولى، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٨هـ.
- الشعراوي، محمد متولي (ت١٤١٨هـ)، **تفسير الشعراوي**، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
- الشنتريني، أبوالحسن علي بن بسام، (ت٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت، ١٤١٧هـ.

• الشقيري، محمد عبدالسلام خضر، (ت١٣٥٢هـ)، **السنن والمبتدعات**، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر.

• الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، (١٤١٥هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر.

• الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر: بيروت.

• الشوكاني، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، دار الجيل: بيروت، ١٩٧٣م.

• ابن أبي شيبة، أبوبكر عبدالله بن محمد الكوفي (ت٢٣٥هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار(مصنف ابن أبي شيبة)**، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد: الرياض، ١٤٠٩هـ.

• الصابوني، محمد علي، (١٤١٨هـ)، **جريمة الربا**، الطبعة الأولى، دار القلم: دمشق.

• صالح، سعد الدين السيد، (١٤١٩هـ)، **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، الطبعة الأولى، الشارقة: مكتبة الصحابة.

• الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ)، **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار**، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة السلفية: المدينة المنورة.

• الصنعاني، **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٧٩هـ.

• صوالحة، محمد كاظم رشيد، (١٤٠٨هـ)، **القيادة المؤمنة كما يعرضها القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن.

• أبوطالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت٣٨٦هـ)، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، الطبعة الثانية، تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٦هـ.

• الطبراني، سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء: الموصل، ١٤٠٤هـ.

• الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق عوض الله وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين: القاهرة، ١٤١٥هـ

• الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٥هـ.

• الطبري، **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، الطبعة الأولى، تحقيق: عيسى الحميري، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ١٩٩٦م.

• الطبري، **تاريخ الطبري**، دار الكتب العلمية: بيروت.

• الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي (ت٧٥٨هـ)، **مقدمة المحقق في كتاب: تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالكريم محمد مطيع الحميداوي، دار الطليعة: بيروت، ١٤١٣هـ.

• الطيب، محمود إبراهيم، (١٤١٣هـ)، **أثر الزكاة في إعادة توزيع الدخل والثروة**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الإسلامية، باكستان.

- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (ت١٢٥٢هـ)، **حاشية رد المحتار على الدر المختار**، دار الفكر: بيروت، ١٤٢١هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٢٨٤هـ)، **التحرير والتنوير**، دار سحنون: تونس، ١٩٩٧م.
- العاملي، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين، (ت١٠٣١هـ)، **الكشكول**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد النمري، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٨هـ.
- عبدالباقي، محمد فؤاد، (١٣٦٤هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة: دار الحديث.
- ابن عبدالبر، أبوعمر يوسف بن عبدالله النمري ٤٦٣هـ، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة الأوقاف: المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ابن عبدالبر، **جامع بيان العلم وفضله**، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ.
- عبدالحي الكتاني، محمد عبدالحي بن عبدالكبير الحسني الإدريسي (١٣٥١هـ)، **تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة**، الطبعة الأولى، المغرب: مطبعة فاس.
- عبدالرزاق، أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، **المصنف**، الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ١٤٠٣هـ.
- ابن عبدالسلام، أبومحمد عزالدين عبدالعزيز بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (ت٦٦٠هـ)، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، دار الكتب العلمية: بيروت.
- عبدالوهاب، محمد، (ت١٢٠٦)، **كتاب التوحيد**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالعزيز الرومي ود.محمد بلتاجي ود.سيد حجاب، مطابع الرياض: الرياض.
- عبده، محمد، (١٣٤١هـ)، **تفسير جزء عم**، الطبعة الثالثة، مصر: مطبعة مصر.
- أبوعبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، **مجاز القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٥٤م.
- أبوالعتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت٢١٠هـ)، **ديوان أبوالعتاهية**، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت: بيروت، ١٤٠٦هـ.
- عثمان، عبدالكريم، (١٤١٣هـ)، **معالم الثقافة الإسلامية**، الطبعة السادسة عشر، بيروت: الرسالة.
- العجاجي، سلطان بن سليمان، (١٤٣٠هـ)، **إصلاح ذات البين وأثره في الوقاية من الجريمة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: الرياض، السعودية.
- ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبدالله (ت٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الفكر: لبنان.
- العزيزي، محمد رامز عبدالفتاح، (١٤٢٤هـ)، **تحريم الربا في الإسلام والديانتين اليهودية والمسيحية**، الطبعة الأولى، دار الفرقان: عمّان.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران (ت٣٩٥هـ)، **الوجوه والنظائر**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، ١٤٢٨هـ.

• العسكري، أبوهلال الحسن بن عبدالله بن مهران (ت٣٨٢هـ)، **جمهرة الأمثال**، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، دار الفكر: بيروت، ١٤٠٨هـ.
• عطا، عبدالقادر محمد، (١٤٢٢هـ)، **المفيد في مهمات التوحيد**، الطبعة الأولى، دار الأعلام.
• ابن عطية، أبومحمد عبدالحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية: لبنان، ١٤١٣هـ.
• عفيفي، أحمد مصطفى، **الاحتكار وموقف الشريعة الإسلامية منه في إطار العلاقات الاقتصادية المعاصرة**، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة: القاهرة، ١٤٢٤هـ.
• العقل، ناصر عبدالكريم، (١٣٩٣هـ)، **التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، السعودية.
• علماء الأزهر الشريف، (١٩٨٨م)، **بيان للناس من الأزهر الشريف**، القاهرة: مطبعة الأزهر.
• علوان، عبدالله ناصر، (١٤١٢هـ)، **تربية الأولاد في الإسلام**، الطبعة الحادية والعشرون، مصر: دار السلام.
• علي، مقداد يالجن محمد علي التركي، (١٤١٣هـ)، **علم الأخلاق الإسلامية**، الطبعة الأولى، الرياض: دار عالم الكتب.
• عليان، شوكت محمد، (١٤١٦هـ)، **التشريع الإسلامي والقانون الوضعي**، الطبعة الأولى، الرياض: دار الشواف.
• عودة، عبدالقادر (١٣٧٣هـ)، **التشريع الجنائي في الإسلام**، بيروت: دار الكتاب العربي.
• عياصرة، بسام محمد قاسم عمر، (٢٠١٠م)، **أحكام الإسراف في الفقه الإسلامي**، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية: عمّان، الأردن.
• العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
• غريب، محمود أحمد، (١٣٩٦هـ)، **المال في القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، بغداد: طبعة وزارة الإعلام العراقية.
• الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، **قواعد العقائد**، الطبعة الثانية، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب: لبنان ١٤٠٥هـ.
• الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة: بيروت.
• الغزالي، **المستصفى في علم الأصول**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٣هـ.
• الغزالي، محمد (١٤٢٤هـ)، **الإسلام والاستبداد السياسي**، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم.
• ابن فارس، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت ١٤٢٠هـ.

- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد النجاتي وآخرون، دار المصرية: مصر.
- فراش، وفاء معتوق حمزة، (١٤٠٥هـ)، **آثار الطلاق المعنوية والمالية في الفقه الإسلامي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، السعودية.
- الفراهيدي، أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، **كتاب العين**، تحقيق كل من: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفنجري، محمد شوقي، **الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول**، مصر: وزارة الأوقاف.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ١٤١٦هـ.
- قاروت، نور حسن، (١٤١٥هـ)، **موقف الإسلام من نشوز الزوجين أو أحدهما**، الطبعة الأولى.
- القاري، أبوالحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي (ت١٠٤١هـ)، **جمع الوسائل في شرح الشمائل**، المطبعة المشرفية: مصر.
- القاسمي، محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: أحمد بن علي وحمدي صبح، دار الحديث: القاهرة، ١٤٢٤هـ.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل: بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ابن قتيبة، **غريب الحديث**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة العاني: بغداد، ١٣٧٩هـ.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة**، الرياض: مطبعة سفير.
- ابن قدامة، أبومحمد عبدالله بن أحمد المقدسي (ت٦٢٠هـ)، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، الطبعة الأولى، دار الفكر: بيروت ١٤٠٥هـ.
- القرضاوي، يوسف، (١٤١٥هـ)، **دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبة.
- القرضاوي، **عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية**، دار الصحوة: القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- القرضاوي، **فقه الزكاة**، الطبعة الثانية، بيروت: الرسالة: ١٣٩٣هـ.
- القرضاوي، (١٤٢٤هـ)، **مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام**، الطبعة السابعة، القاهرة: مكتبة وهبة.
- القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة: دار الشعب.
- القضاة، مصطفى مفلح، (١٤١٠هـ)، **إصلاح المال لأبي بكر بن أبي الدنيا**، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى مفلح القضاة، المنصورة: دار الوفاء.
- قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، **تفسير آيات الربا**، دار الشروق، ١٤١٥هـ.

- قطب، **في ظلال القرآن**، الطبعة السابعة عشرة، دار الشروق: بيروت، ١٤١٢هـ.
- قطب، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، الطبعة السادسة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٣هـ.
- قطب، **هذا الدين**، الطبعة الرابعة عشرة، دار الشروق: القاهرة، ١٤٢١هـ.
- ابن القيم، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر الجوزية (ت٧٥١هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل: بيروت، ١٩٧٣م.
- ابن القيم، **الفروسية**، الطبعة الأولى، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار الأندلس: السعودية-حائل، ١٤١٤هـ.
- ابن القيم، **بدائع الفوائد**، الطبعة الأولى، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا وآخرون، مكتبة نزار الباز: مكة المكرمة، ١٤١٦هـ.
- ابن القيم، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، الطبعة الثانية، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم: الدمام، ١٤١٤هـ.
- ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، الطبعة الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، الرسالة: بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة: بيروت، ١٣٩٥هـ.
- ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن القيم، **الفوائد**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٣هـ.
- الكاساني، علاء الدين أبوبكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (ت٨٥٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي: بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر: بيروت، ١٤٠١هـ.
- الكفوي، أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ)، **الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**، الطبعة الأولى، تحقيق كل من: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٢هـ.
- الكيلاني، د.ماجد عرسان، **أهداف التربية الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار القلم.
- اللحام، محمد سعيد، (١٤٣٠هـ)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، الطبعة السابعة، دار المعرفة: بيروت.
- ابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر: بيروت.
- الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ)، **أدب الدنيا والدين**، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ: بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٠٥هـ.

- الماوردي، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي(شرح مختصر المزني)**، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٩هـ.
- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مصر: دار الدعوة.
- مجموعة من الباحثين، بإشراف: علوي السقاف، **موسوعة الاخلاق الاسلامية**، من المكتبة الشاملة.
- مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، الطبعة الرابعة، جدة: دار الوسيلة.
- محسن، حامد بن محمد بن حسين(-توفي بعد-١٣١٧هـ)، **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**، الطبعة الأولى، تحقيق: بكر أبوزيد، دار المؤيد، ١٤١٧هـ.
- محمد، ظافر عبدالله، (١٤٠٥هـ)، **العادات والتقاليد وأثرها في التغير الاجتماعي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود: الرياض، السعودية..
- محمد، محمد عبدالجواد، (١٩٧٧م)، **كيف حاد العالم الإسلامي عن صراط الشريعة الإسلامية**، بحوث في الشريعة الإسلامية والقانون، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة.
- المحمود، عبدالرحمن بن صالح الحمود، (١٤٢٠هـ)، **الحكم بغير ما أنزل الله -أحواله وأحكامه-**، الطبعة الثانية، الرياض: دار طيبة.
- المخزنجي، أحمد، (١٤١٩هـ)، **الزكاة وتنمية المجتمع**، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.
- المرادي، أبومحمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المصري المالكي (ت٧٤٩هـ)، **روح البيان**، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، ١٣٦٥هـ.
- مسكويه، أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، الطبعة الأولى، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية.
- مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، **(صحيح مسلم) المسمى بـ: المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- مشهور، نعمت عبداللطيف، (١٤١٣هـ)، **الزكاة - الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي**، الطبعة الأولى، القاهرة: طبعة جامعة القاهرة.
- المقبل، عمر بن عبدالله، (١٤٣٣هـ)، **قواعد قرآنية**، الطبعة الثالثة، الرياض: دار الحضارة.
- المقدم، محمد إسماعيل، **سلسلة الإيمان والكفر**، دروس صوتية مفرغة، موقع الإسلام ويب، شريط رقم: ٢٠.
- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، **المصباح المنير**، الطبعة الثالثة، المطبعة الأميرية: مصر ١٩١٢م،

• مكي القيسي، أبومحمد ابن أبي طالب حموش القيرواني المالكي (ت٤٣٧هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، الطبعة الأولى، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية منشورة، جامعة الشارقة بإشراف: الشاهد البوشيخي، طبعة جامعة الشارقة، الإمارات، ١٤٢٩هـ.

• المناوي، عبدالرؤوف (ت١٠٣١هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، ١٣٥٦هـ.

• ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر: بيروت.

• المودودي، أبوالأعلى (ت١٩٧٩م)، **الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية**، لا يوجد طبعة ولا تاريخ.

• المودودي، (١٣٧٨هـ)، **الربا**، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر الإسلامي.

• الميداني، عبدالرحمن بن حسن حبنكة، (١٤٢٠هـ)، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، الطبعة الخامسة، دمشق: دار القلم.

• الميداني، (١٤١٨هـ)، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها**، الطبعة الأولى، دمشق: دار القلم.

• الميداني، (١٣٩٩هـ)، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم.

• الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة: التبشير، الاستشراق، الاستعمار**، الطبعة الثامنة، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ.

• ابن النجار، محب الدين أبوعبدالله محمد بن محمود (ت٦٤٣هـ)، **ذيل تاريخ بغداد**، دار الكتب العلمية: بيروت.

• ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم بن محمد (ت٩٧٠هـ)، **الأشباه والنظائر**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٩هـ.

• النحاس، أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي (ت٣٣٨هـ)، **معاني القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

• الندوي، أبوالحسن علي الحسني (١٣٨٨هـ)، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية**، الطبعة الثانية، لبنان: دار الندوة.

• الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، مكتبة الإيمان: المنصورة، مصر.

• النسائي، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، **المجتبى من السنن(سنن النسائي الصغرى)**، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، ١٤٠٦هـ.

• النسفي، أبوالبركات عبدالله بن أحمد (ت٧١٠هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: عبدالمجيد طعمة حلبي، دار المعرفة: بيروت، ١٤٢٩هـ.

• النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري (ت٦٧٦هـ)، **المنهاج في شرح مسلم**، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٣٩٢هـ.

• النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، الطبعة الأولى، دار الفكر: بيروت، ١٩٩٦م.

• النووي، **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي: بيروت، ١٤٠٥هـ.

- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الطبعة الأولى، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٤هـ.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (ت٨٥٠هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٦هـ.
- الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري (ت٨١٥هـ)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث: مصر، ١٤١٢هـ.
- ابن هشام، أبومحمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت٢١٣هـ)، **السيرة النبوية**، الطبعة الأولى، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل: بيروت، ١٤١١هـ.
- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٩هـ.
- هود، محمد صالح، (١٤٣١هـ)، **النظام العالمي للزكاة**، الطبعة الثانية، الرياض: دار كنوز إشبيليا.
- الهيثمي، شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد ابن حجر (ت٩٧٣هـ)، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية: بيروت،١٤٢٠هـ.
- الواحدي، أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، الطبعة الأولى، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٥هـ.
- الواحدي، **أسباب النزول**، الطبعة الثانية،، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح: الدمام، ١٤٢١هـ.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، (١٤٢٧هـ)، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الطبعة الثانية، الكويت: دار السلاسل.
- ياسين، .يونس محمود صادق، (١٤٣٣هـ)، **الإصلاح السياسي من منظور قرآني**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة العلوم الإسلامية: عمّان، الأردن.
- ياسين، (٢٠٠٦م)، **الإصلاح الأسري من منظور قرآني**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.
- يسار، محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ)، **سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)**، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.
- اليعمري، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد (ت٧٩٩هـ)، **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تحقيق: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٢هـ.
- يوسف، محمد السيد، (١٤٢٨هـ)، **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع**، الطبعة الثالثة، دار السلام: مصر.
- يوسف، محمد إبراهيم أحمد، (٢٠٠٧م)، **إنكار الظلم في ضوء الكتاب والسنة**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.

المجلات والأبحاث والمؤتمرات:-

- رضا، محمد رشيد ١٣٥٤هـ، **مجلة المنار**، رقم المجلد والصفحة: (٧٦٧/١)، (١٧/٢)، (٧٠٥/٢)، (١٠٠/٣)، (٥٦١/٧)، (٥٦١/٧)، (٧٣٧/١٨)، (٧٣/٢١).
- مجلة البيان، الأعداد: (٣).
- **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**: الرياض، الأعداد رقم: (١، ٢، ٥، ٦، ١١، ٢٠، ٢٥، ٣٣، ٤٠، ٥٢).
- **مجلة البحوث الإسلامية**: السعودية، رقم المجلد والصفحة: (٢٦٤/٤)، (وفهارس الأمكنة).
- **مجلة البحوث والدراسات الإنسانية**، جامعة سكيكدة: الجزائر، ٢٠١٠م، (ص٣٥).
- **مجلة أبحاث جامعة الكويت**-كلية الشريعة، الأعداد: (٩، ٧٠).
- **مجلة الجامعة الإسلامية** : المدينة المنورة، الأعداد، (١، ٥٠).
- **مجلة معهد الشاطبي**: السعودية، ١٤٢٨هـ، الأعداد: (٣).
- **مجلة العدل**: السعودية، ١٤٢٠هـ، الأعداد: (٢).
- **مجلة جامعة أم القرى**: مكة المكرمة-، الأعداد: (٢٤).
- **مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية**، الأعداد: (١).
- **مجلة الجامعة السورية**، ٢٠٠٩م، (ص٩).
- بحث **مؤتمر الإصلاح والتغيير ومقاصده الشرعية**: جامعة الكويت، ١٤٣٤هـ، الأعداد: (١).
- بحث **المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية**: جدة، ١٤٧١هـ، (ص٤٥٧)، (ص٦٠٩).
- بحث **المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي**: مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ، (ص١٩).
- مقالة للكاتب: عبدالرحمن فرج، في موقع رابطة النهضة والإصلاح، كتبت يوم الخميس ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، بعنوان: اليونان، الربا الذي قصم ظهر البعير!، **http://www.nahdaislah.com**.

OBSTACLES TO REFORM AND MEANS OF TREATMENT FROM A PRESPECTIVE QUR'AN

BY

Saoud F. Alajmi

Supervisor

Dr. Ahmad Nofal

ABSTRACT

The Holy Quran includes all the reforming aspects that the nation needs and that is an evidence of its validity in every time and place. The Holy Quran explained the reality of reforming and the obstacles that encounter those who are in charge of the reforming process. This study aims to investigate the reforming process that is mentioned in the Holy Quran, also to analyze this process and finally to find out how the Holy Quran presented the solutions on how to treat these obstacles and problems.

This study sheds the light on the concept of the obstacles which are considered as a barrier that prevent the reforming process and spreading the good deeds. It also highlights the concept of reforming and how it removes the corruption and replace it with good and benefits and help in achieving integrity in other aspects in a moderate way. This study also explains that there are several elements that are considered as a cornerstone for each reforming nation such as: the right doctrine، enjoining what is right and forbidding what is wrong, serving justice, good manners. A nation that contradicted the previous elements is considered as a corrupted one.

The Holy Quran explained the obstacles of the doctrine side and how they can be treated in an organized manner such as: to call for monotheism, to preach and guide, and to argue and debate in order to reform. The Holy Quran also explained the political side that the state is build upon and there are several obstacles in its way. These obstacles can be treated by several steps such as: following God's law which in its turn help in applying all other methods of treatment. Also there are economic obstacles that led to weakening the economy of the nation which must be replaced by Islamic economy that is legitimized by the Holy Quran. This will contribute in its turn to strengthen the nation's economy and make it in no need for others. It also demonstrated the there are several obstacles that have resulted to shattering the unity of Muslims and put them in the circle of injustice and abuse. Therefore, Muslims should be brought up in a religious way and increase their inner faith in order to make them a loving corporative nation. It also clarified the problems that the family face and how they can be treated in order to make it strong bonding family. Moreover, it defines the obstacles that hinder educational process of the nation and how it can be treated.